الدكتور فاضل البراك



استراتيجية الأمن القومي

اراء وأفكار

الدكتور فاضل البراك

استراتيجية الامن القومي*

اراء وافكار

---

*الدراسة في الاصل محاضرة القيت في (كلية الدفاع الوطني بجامعة البكر للدراسات العسكرية العليا) بتاريخ ٤/٢/١٩٨٦.

الإهــــداء

الى صانع التاريخ وباني المجد في العراق والوطن العربي، ورمز الارادة العراقيـة الحرة المستقلة المـوحدة المقـاتلة، وحامل راية النهضة القومية العربية الجديدة، الى السيـد الرئيس القائد البطل صدام حسين حفظه الله.

ومن دواعي الفخر والاخلاص والولاء أن يرفع الباحث الى سيادته اسمى ايات الاعتزاز الدائم والامتنان الكبير على قيامه متفضلاً ومشكوراً بتخصيص جزء من وقته الثمـين للاطلاع على مسودة هذه الدراسة وتشريفها بالاراء الثاقبة السديدة والتـوجيهات الدقيقـة الحكيمة التي لولا دورهـا الحاسم واثرها العظيم، ترصيناً وتصويباً، لما استكملنا هذه الدراسة هدفا ومنهجا وموضوعا.

واسأل الله عز وجل ان يحفظ لنا معلمنا ورئيسنا وقائدنا المقدام، وان يديم علينا نعمة الاستنارة بفكره الاستراتيجي الصـائب الملهم، متسلحين بعـزمه الفـولاذي المقتدر الذي لايفتر ولايقهر، دفاعا عن شعبنـا العراقي العـزيز وامتنـا العربية المجيدة والتزاما بمبادىء واهداف حزبنا المناضل.

شكر وتقــــديــــر

يسرني ان أتقدم بالشكر والتقدير الى السـادة الاخوة الكرام المحترمين من الاساتـذة والخبراء الذين لم يبخلوا بوقت أو جهد في تزويدي بالملاحظات القيمة والاستشارات المتخصصة في الميادين العلمية المختلفة. فجزاهم الله خيراً عميماً وتوفيقاً دائما في خدمة العلم والوطن. واذا كان المجال لايتسع ولايسمح الآن بتعداد اسمائهم واحداً واحداً فأني أرجو تفضلهم بأعتبار هذا الشكر والتقديـر موجهـا اليهم جميعا. ولكنني اخص منهم بالذكر الاخوان اعضاء اللجنة التي اشرفت على تقييم البحث، والاخوان الذين اطلعوا على البحث وزودونا بملاحظات قيمة ساهمت بأضافات جدية، ومنهم الدكتور حازم طالب مشتاق والدكتور مازن الرمضاني والدكتور صادق الاسود والدكتور كاظم هاشم النعمة.

ولعلني لا أكون بذلك قد غمطت حقا او أهملت جهدا او نسيت اسما. واحمد الله الذي ربطنا جميعا. صفا واحـدا وبنياناً مرصوصا، بأوثق واقوى وأرسخ روابط الحب المقيم والولاء المطلق للسيد الرئيس القائد صدام حسين حفظه الله والعراق المقاتل العظيم والامة العربية المجيدة.

الفهرســـت

الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة

الفصل الثالث

الموضوع	الصفحة

الفصل الرابع

الملاحق

الموضوع	الصفحة
١ . الملحق (أ) : في العصور القديمة (٢٥٥٠ ق.م ـ ٦٠٤م/ ٦١٠م)	٢٣١
٢ . الملحق (ب) : في العصور الاسلامية (٦٠٤م / ٦١٠م ـ ١٢٥٨م)	٢٤٣
٣ . الملحق (جـ) في العصور الوسيطة والحديثة والمعاصرة (١٥٠٨م ـ ١٩٧٩م / ١٩٨٠م)......	٢٤٨

المقدمة

منذ نهاية الحرب العالمية الثانية في سنة ١٩٤٥، والعالم يشهد جملة من التطورات التي تتسم بقدر عال من الاهمية والخطورة في آن واحد. فمن ناحية، ادى استمرار وتصاعد الصراع الايديـولوجي بين المعسكـر الشرقي الاشتـراكي والمعسكر الغربي الرأسمالي الى امتداد محاولات الاستقطاب الدولية لتشمل جميع دول العالم طراً، مما حرمها من الخيار الحر والتطور المستقل في كثير من الاحيان، او اعاق وعرقل تحررها وتقدمها ونهوضها على الاقل في احسن الاحـوال. ومن ناحية اخرى ادت الثورة التقنية في وسائل الاتصال الى اختصار المسافات واختزال الازمات حتى اصبح عالم اليوم اكثـر اقترابـا وتـلاحمـاً من السـابق. وبغض النـظر عن ايجابياته، تتجسد بعض سلبيات هذا التـطور في اتاحتـه للدول العظمى والكبرى وغيرها فرصا اوسع وظروفا افضل لاختراق الدول الاخرى، وتسميمهـا ثقافيـا وايديـولوجيا. واخيرا ادت الثورة التقنية في الاسلحة الجديدة المتطورة الى ترتيب تغيرات جذرية في طبيعة السياسـة الدولية. فمثـلا ماعادت الحواجز الطبيعية والعوائق الجغـرافية تستـطيع تأدية وظائفها الامنية والدفـاعية بـالصيغ الاستـراتيجية

التقليدية القديمة المعروفة. وساهم تصاعد الاتجاه الدولي نحو التهديد بأستخدام القوة او استخدامها بالفعل في نشر التوتر على صعيد العالم والحيلولة دون الاستقرار الدولي. ويتفاعل ماتقدم مع سمة اخرى من اهم واخطر سمات عالمنا المعاصر، وهي: ضعف الدور الذي تلعبه المنظمة العالمية (الامم المتحدة) في المحافظة على السلام العالمي والامن الدولي. ويعود السبب في جانب من جوانبه على الاقل الى صراعات الدول العظمى التي انعكست سلباً على الوظيفة الامنية للمنظمة الدولية. فكما هو معروف لايستطيع، ان يدرك كل مطلع عليم بشؤون هذه المنظمة العالمية انها لايمكنها التحرك، من الناحية العملية، بأتجاه تنفيذ المبادىء التي قامت عليها والتزمت بها، دون دعم وموافقة الدول دائمة العضوية في مجلس الامن الدولي. وهي نفسها الدول الكبرى المنتصرة في الحرب العالمية الثانية. وكان تمتعها، منفردة دون سواها من الدول الاخرى، بحق النقض (الفيتو)، قد ترك اثرا سلبيا دائما ومزمنا على المنظمة الدولية وطبيعة تكوينها وطريقة عملها.

وفي ضوء هذا الواقع الموضوعي الحي، بكل خصائصه وأبعاده وجوانبه ونتائجه، اصبحت استراتيجية الامن القومي، وخططها واهدافها وحدودها وبدائلها، تشغل حيزا واسعا وشطراً كبيرا من الاهتمامات الرسمية والعلمية

ولاسيما في تلك الدول التي تطمح ان تلعب دورا نشيطا ومتميزا وفاعلا في حاضر ومستقبل السياسة الدولية.

وعلى الرغم من أن الاهتمام العملي العربي بالموضوع، الذي قد تعود بداياته الى منتصف السبعينات تقريبا[1]، قد ازداد وتصاعد، كماً ونوعاً، في الاونة الاخيرة.بيد ان الغموض والتداخل، فضلا عن التركيز على الجوانب النظرية المجردة، على سبيل المثال، لازال يكتنف معظم الدراسات العربية. ومع ان هذا الواقع يمكن تبريره بأرجاعه الى حداثة الاهتمام بالموضوع والحاجة الى الاحاطة بأبعاده النظرية اولا، الا ان تحديات التنمية والتحديث والاطماع الاقليمية والدولية في وطننا العربي، اكدت الان ضرورة مناقشة موضوع الامن القومي واستراتيجيته من جانب المثقفين العراقيين والعرب على نطاق اوسع وبموضوعية اشد وجدية اكبر[2]. واذا كانت الدراسات الاستراتيجية عن الامن القومي ترفا في دول او

---

(١) ولعل كتاب امين هويدي، الامن العربي في مواجهة الامن الاسرائيلي (بيروت، دار الطليعة، ١٩٧٥)، كان من بين بواكير وبدايات الاهتمام العملي العربي بالموضوع.

(٢) ولاحاجة بنا للقول ان هذه الاطماع لاتقتصر على دولة عربية دون غيرها. كما ان حجمها يحول دون ان تستطيع أية دولة عربية، منفردة، على مجابهتها او مواجهتها.

عصور اخرى، فأنها قد اصبحت الان شرطاً اساسيا من شروط الوعي الذي نحتاجه، وسلاحاً حاسمـا من اسلحة الصــراع الذي نخوضــه، في العراق والوطن العــربي. فما احرانا واحوجنا للتوصل معاً الى مفهوم واضح للامن القومي بالحوار البناء والجهد المشترك والتحليل الدقيق والاستقراء المنـظم. وتلك هي الغايـة الاساسيـة التي تتوخـاها هـذه الدراسة الاولية المتواضعة. وقد توزعت على اربعة فصول، بحسب موضوعها ومنهجها وهدفها. وتنـاولنا في كـل منها جانبا من جوانب اهتماماتها، تمهيدا للجانب الاخـر في كل متكامل.

ونرجو صادقين مخلصين، لوجه الله والوطن والعلم، ان نكون قد ادينا الامانة، واستوفينا الحقيقة، ولو بقدر قليل ونصيب محدود. والله لايضيع اجر من احسن عملاً واخلص ضميراً واحب قائداً مؤمناً مجاهدا فذاً وخدم وطنـاً عريقـاً خالداً وشعباً مقاتلاً عظيماً.

المؤلف

١٤/١/١٩٨٨

الفصل الاول

الامن القومي
في تصور استراتيجي مقترح

الامن القومي في تصور استراتيجي مقترح

يرمي هذا الفصل الى تحديد ابرز تلك الخصائص، التي تجعل، وحسب اجتهادنا، من مفهوم الامن القومي اقرب الى الواقع واصلح للتطبيق في استراتيجية الامن القومي، وقبل ذلك كان لابد من الاشارة الى الواقع الامني على الصعيد العربي، وضرورة تناول استراتيجية الامن القومي من منظور واقعي عملي، هذا فضلاً عن تحديد مفهومنا للامن القومي.

منذ ان وجدت الدول القومية الاوربية الغربية في المراحل التاريخية الحديثة والمعاصرة، وهي تولي ضمان امنها القومي اولوية عالية. وفي سبيل ذلك لم تتوان، وعلى مر الزمن عن استثمار قدراتها العسكرية او الدبلوماسية او الاثنين معا، وبالصيغ المعروفة التي يؤكد عليها تاريخ السياسة الدولية. ونلاحظ، في استدراك مدروس وتعليق خاطف، ان بعض المثقفين العراقيين والعرب يسحبون حقائق الواقع الاوربي على حقائق الواقع العراقي والعربي، دون تحديد ولاتمييز، ربما عفواً وسهواً، بالاخص في موضوع «الدولة القومية» ومايتعلق بأمنها القومي. واذا كانت الدولة القومية في الحضارة الاوربية الغربية لم تنشأ الا في العصور

الحديثة والمتأخرة، وظهرت الى الوجود بفعل الثورة الصناعية والطبقة البرجوازية، فأننا قد عرفناها وعشناها في العراق والوطن العربي في وقت متقدم وعصر مبكر.

وكانت الدولة الاسلامية التي اسسها الرسول الاكرم محمد (ﷺ) دولة عربية بكل معنى الكلمة قلبا وقالبا.. واستمرت على هذا النحو في عصور الراشدين والامويين والعباسيين.. فما كان الاسلام نقيضا للحرص على الوجود العربي، ولا كان الالتزام بالوجود العربي بديلا للاسلام. وكانت تلك الدولة دولة قومية ايضا، ليس بالمفهوم القومي الاوربي الطبقي الاقتصادي العنصري التوسعي العدواني، ولكن بالمفهوم القومي العربي الاسلامي الاخلاقي الروحي الانساني الذي يعني الوعي بالذات والاحساس بالنفس واحتضان المواطنين العرب من غير المسلمين من اخوتنا في الوطن، والشعور بالتمايز عن الاخرين من المسلمين غير العرب من اخوتنا في الدين، دون حرج ولا غرور ولا استبداد ولا استعلاء. ونطالع هذا المفهوم واضحا وضوح الشمس في رابعة النهار في صفحات تاريخنا القومي على تعاقبها وفي ادبيات تراثنا الثقافي على تعددها. بل ان التاريخ القومي العربي الاسلامي الطويل الحافل يمكن ان يفهم حاليا وان يكتب مجدداً في ضوء منظور الدفاع عن الامن القومي والكيان العربي.

تلك وقفة ضرورية وملاحظة مطلوبة، تعيدنا الى دراسة الامن القومي بالمفهوم الاوربي السائد في العالم المعاصر، بالروية والبينة والنظرة الخصوصية المتميزة الواعية الواضحة. وعلى كل حال، اذا كانت طبيعة المراحل التاريخية الاوربية التي سبقت الحرب العالمية الثانية والخصائص التي تميزت بها لم تؤد الى مايسمى حاليا بأشكالية الامن (او الازمة الامنية)، ان مجمل سمات مرحلة مابعد هذه الحرب قد ارتقت بالموضوع الى مستويات عالية الخطورة. فنتائج التطور الكمي والكيفي في ادوات الدمار المعاصر، والثورة التقنية في وسائل الاتصال، والصراع على الموارد الاولية الاساسية، متفاعلة مع خاصية انعدام الثقة بين الدول عموما والمتصارعة خصوصا، رتبت مجموعة من تلك الظروف التي جعلت من التطلع نحو الامن المطلق غاية لاتدرك[1]. فالدول اضحت تدرك حقيقة التقاطع بين مصالحها الايديولوجية والاستراتيجية، وان الطرف الخصم قد لايتردد، عندما تحين الظروف المناسبة والفرص الملائمة، عن استخدام قدرته ضدها. وتبعا لذلك صار الامن الذي

---

(١) يتفق الرأي العلمي حول هذه الحقيقة. انظر د. محمد مصالحة، «مسألة الامن العربي بين المفاهيم، الواقع والنصوص» مجلة شؤون عربية، العدد (٣٥)، كانون الثاني ١٩٨٤ ، ص ٢٨.

تحققه احدى الدول لنفسها يعني، بالضرورة انتفاء الامن عن سواها من الدول بهذا القدر او ذاك[٢]. ومن هنا، تدخل الدول في سباق من اجل الامن. فالكل يريد الامن المطلق. ولكن الكل، في الوقت ذاته، لايستطيع ان يحقق الا الامن النسبي. وبسبب من ظاهرة القلق الامني على الصعيد الدولي، صار التعامل مع اسوأ الاحتمالات احدى السمات الاساسية للدولة المعاصرة.

وفي ضوء هذه الظاهرة، التي تنسحب حتى على الدولتين العظميين، نتساءل: هل استطاع العرب تحقيق الحد الادنى، على الاقل، من الامن النسبي؟ والجواب الموضوعي العلمي ينفي ذلك. فالعرب، وعلى الرغم من القدرات التأثيرية العالية التي يتمتعون بها وتراكم تجربة التعامل على المستوى الدولي، هم اقل أمناً الان مما كانوا قبل سنوات قليلة[٣].

---

(٢) انظر مثلا، د. علي الدين هلال، «الامن القومي العربي دراسة في الاصول»، مجلة شؤون عربية، العدد (٣٥)، كانون الثاني ١٩٨٤، ص ١٣.

(٣) وفي محاولتها استشفاف هذا الواقع، ذهبت بعض الاراء العربية الى ربطها بنوعية وحجم التحديات والتهديدات التي يتعرض لها الوطن العربي. انظر مثلا، د. محمد مصالحة، مصدر سبق ذكره. اما اراء اخرى فقد ربطت الموضوع بعجز الاداء العربي ارجع مثلا الى د. سيد عليوه الأداء السياسي العربي في النظام الدولي، مجلة الباحث العربي، لندن، العدد (٩) ١٩٨٦.

فالتحديات والتهديدات الداخلية والاقليمية والدولية صارت اليوم أكثر، كما ونوعاً، واشد خطراً. ومن الحقائق التي ادت الى غياب الامن العربي، او الى مايسمى بالازمة الامنية العامة[٤]، الحالة الاستثنائية التي يمر بها الوطن العربي. فالتشتت القومي والتشرذم العربي، وتحول بعض التناقضات الثانوية الى رئيسية، هذا فضلا عن الانكفاء الى التوجه القطري والاقليمي، على سبيل المثال، ادى الى عدم استثمار القدرة العربية الفاعلة لاغراض التأثير الاقليمي والدولي لصالح الاهداف القومية العليا.

ومن هنا اضحى الامن القومي العربي يتعرض، في بعض المواقع الاساسية، لعدوان خارجي مستمر، ولتهديدات بالعدوان في مواقع اخرى.

وانطلاقا من الواقع الامني العربي وانعكاساته السلبية على حاضر ومستقبل المصير العربي الواحد، كان من البديهي ان يثير موضوع الامن القومي العربي اهتماما واسعا وجديا وعلى شتى المستويات. ومن هنا نستطيع ان نتلمس الابعاد الحقيقية لتلك الدعوات المتكررة، رسميا وجماهيريا، الى

---

(٤) برهان غليون «الخوف: الاستراتيجية وقضايا الامن في الوطن العربي» دراسات عربية، العدد (٢١) كانون الاول ١٩٨٦، ص ٣٧.

استراتيجية عربية امنية موحدة، تحقق، في الوقت الراهن، الحد الادنى من المصالح القومية العليا على الاقل.

ومع ان هناك صعوبات عديدة تكتنف الخوض في مثل هذا الموضوع الهام والحساس، غير ان الواجب الوطني والقومي، فضلا عن الايمان بأن اليوم الذي سيشهد ميلاد استراتيجية قومية عليا للامن العربي الشامل لابد ان يكون قادما، هو الذي يبرر تناوله. فهل يحتاج المرء الى التأكيد ان الامن القومي العربي كان ولايزال كلا لايتجزأ؟ وهي الحقيقة الحية الواضحة المشهودة، التي تقررها المصائر والوشائج والمصالح الواحدة المشتركة الشاملة.

ولكننا نود الاشارة، بهذا الصدد، الى مسألة تبدو لنا على قدر عال من الاهمية، وهي ان نتناول موضوع استراتيجية الامن القومي من منطلقات واقعية عملية، وليس، بالتالي، من منطلقات نظرية مجردة. والدعوة الى التركيز على الجانب الواقعي العملي لاتعني اننا، وبأي حال من الاحوال، ننتقص من شأن المعرفة النظرية، او نقلل من دورها المهم في تعزيز فاعلية الحركة السياسية، وطنياً وقومياً، بعناصر مضافة. فالدراسات الاساسية (النظرية) ليست ضرورة فحسب وانما مفيدة وممتعة كذلك. بيد اننا، مع ذلك، نرى ان جدوى العلم النظري انما تكمن في مدى ودرجة الاستفادة منه

لاغراض صنع السياسة او تحديد الاستراتيجية. فالمعرفة النظرية التي لاتسمح بأستثمارها عملياً، لاتفيد كثيراً.

ويعترف العديد من الاكاديميين، ومن دول مختلفة، بضآلة اهمية نسبة عالية من الدراسات النظرية المجردة. فمثلا ينقل عن برجنسكي قوله: ان مايقارب ٩٠٪ من البحوث النظرية في الجامعات قد خلت من الفائدة العملية لصناعة القرار. وفضلا عما تقدم، تدعو الطبيعة الخاصة التي تتسم بها استراتيجية الامن القومي الى رؤية الموضوع، رؤية واقعية وعملية. فهذه الاستراتيجية بمعنى الاستثمار الامثل للامكانات المتاحة تحقيقا لاهداف الامن القومي، هي حالة فريدة من نوعها ومستقلة بنفسها وقائمة بذاتها لاتتكرر ولاتستنسخ، ولايمكن نقلها او تقليدها. لانها ترتبط، ارتباطاً عضوياً مباشرا بالخصوصيات الوطنية والقومية لكل دولة على حدة وحقائق واقعها السياسي داخليا وخارجيا. وفي ضوء ماتقدم، يصبح واضحا ان مفاهيم الدول عن امنها القومي واستراتيجية ترجمته الى واقع ملموس لايمكن ان تكون متجانسة او متطابقة. فالواقع الدولي يؤكد انتفاء وجود مفهوم واحد ومشترك للامن القومي بين الدول ذات المصالح والاهداف المختلفة. ولعل الدول العربية هي من ابرز الحالات الاستثنائية في هذه القاعدة، وان كانت لاتنفيها عن الدول الاخرى.

فأرتباط الدول العربية مصيريا ببعضها يجعل من امنها غير قابل للقسمة او التجزئة. وفي ضوء ماتقدم نتساءل: بماذا ينبغي ان يتميز مفهوم الامن القومي لكي يصبح مفهوما مستقلا، واقرب الى واقعنا كعراقيين وبعثيين وعرب واصلح للتطبيق في استراتيجية الامن القومي؟ وقبل الاجابة عن هذا السؤال، لابد، اولاً، من تحديد مضمون مفهومنا للامن القومي، وبأختصار.

لفترة طويلة من الزمن تم ادراك الامن القومي، ولازال كذلك في بعض الاوساط حتى الان، بدلالة عسكرية فقط[٥]. وقد بررت تلك القناعة توجهها بالقول ان تهديدات الامن القومي انما هي تهديدات عسكرية خارجية ولاغير.. ومن هنا، تم ربط ضمان الامن بالقدرة العسكرية للدولة وبالسياسات التي تعبر عنها، كسياسات التسلح والتوازن الاستراتيجي والردع مثلاً، انطلاقا من المقولة المعروفة:

---

(٥) انظر على سبيل المثال، هارولد جي كليم، وستانلي ال فولك، ظروفية الامن القومي، ترجمة جامعة البكر، للدراسات العسكرية العليا، بغداد: ١٩٨١، ص ٩، الذي يفهم الامن القومي بمعنى قدرة الدولة على دحر الهجوم الخارجي الذي تتعرض له، وانظر كذلك مجمل التعاريف ذات المضمون الاستراتيجي العسكري التي ينقلها، د. عبدالمنعم المشاط، نحو صياغة عربية لنظرية الامن القومي «مجلة المستقبل العربي، العدد ٥٤ في ٨ / ١٩٨٣ ص ٥ ـ ٧».

اذا اردت السلم فكن مستعدا للحرب. ولاحاجة بنا للقول ان مثل هذا المفهوم على قدر عال من الاهمية، سيما وان القدرة العسكرية كانت وستبقى، بمثابة الاداة الاولى والاخيرة لضمان الامن القومي. بيد ان ماتقدم يكاد ان يقتصر على تلك الدول المتقدمة والمستقرة داخليا، وقد لاينسحب على غيرها، خصوصا دول العالم الثالث. فمشكلة الامن في هذه الدول لاتكمن في احتمالات العدوان الخارجي فحسب، وانما كذلك في تحديات التنمية والتحديث ومتطلبات تعميق الوحدة الوطنية. وفي تنوع وتعدد تحديات الامن، داخليا وخارجيا، في العالم الثالث خصوصا، اكتسب مفهوم الامن القومي معنى اكثر اتساعا.. إذ صار يفهم بدلالاته المجتمعية. فالامن اصبح لايرتبط بجانب دون سواه.. وإنما اصبح قضية شاملة متعددة الابعاد تشمل الكيان الاجتماعي وعلاقاته المختلفة[٦]. ولانختلف نحن في العراق

---

(٦) د. علي الدين هلال «الوحدة العربية والامن القومي العربي»، مجلة الفكر العربي، بيروت العددان (١١ و ١٢) ١٩٧٩، ص ٩٤ و ص ٩٩. وكذلك انظر د. عبد المنعم المشاط، «نحو صياغة عربية لنظرية الامن القومي»، مجلة المستقبل العربي، العدد ٥٤، ١٩٨٣/٨ ص ٨ والرؤية السابقة التي تركز على البناء والاستعداد العسكري فقط بدأت، حتى في الدول المستقرة داخليا، تتحول تدريجيا بأتجاه الرؤية الشاملة لجوهر الامن. ولنستذكر هنا، مثلا، المقولة المعروفة لروبرت =

عن دول اخرى في العالم الثالث. فنحن، وكما أكـد السيد الرئيس القائد حفظه الله سنتحسب للحرب، كأنها ستستمر، وسنعمل للحياة وكأن الحرب ستنتهي غـدا.[٧] والواقع ان حرص العراق على الدفاع والبناء معاً، في كل الاوقات، انما ينبع من حقيقة ان مفهومنا للامن القومي إنما هـو مفهوم شمولي كلي، لايقتصر، تبعـا لذلك، على بعـد مجتمعي دون سـواه، وانمـا يمتـد ليشمـل كـافـة الابعـاد العسكـريـة والاقتصادية والاجتماعية وغيرها.

وفي ضوء ماتقـدم،نرى ان الضـرورة تقتضي ان يتميز مفهوم الامن القومي بالخصائص الاتية: ـ

اولاً : ينبغي ان يكون مفهوما نسبيا. ومرد هذه الضرورة الحاجة الدولية للامن المشترك، كمـا يسميها معهـد بحوث السلام الدولي في السويد.

واساس هذه الحاجة ذلك الادراك الذي مفاده ان الدول، طالما انها لاتستطيع ضمـان امنها بصـورة

=ماكنمارا: «الامن هو التنمية، وبدون تنمية لايمكن ان يوجد أمن». انـظر، روبرت مـاكنمارا، جـوهر الامن، تـرجمة يـوسف شاهـين (القاهرة : الدار القومية، ١٩٧٠)، ص ١٢٥.

(٧) السيد الرئيس صدام حسين، الارادة مفتاح النصر (بغداد: دار الحرية للطباعة، ١٩٨٧) ص ٣٢.

مطلقة لانه يتقاطع وأمن غيرها، عليها تبعا لذلك، ان تتعايش مع بعضها، ضمانا لامنها والامن الدولي. اي ان مفهوم امنها ينبغي ان يكون نسبيا لامطلقا. وفي سياق ونسبية مفهوم الامن، تجدر الاشارة الى حقيقة اساسية مفادها ان استراتيجية الامن القومي ليست حالة ثابتة وجامدة، وانما هي حالة حية متغيرة ومتطورة تتوقف على طبيعة المراحل والظروف التاريخية ونوعية التهديدات والاخطار الامنية تتأثر بها وتتعدد بتعددها، وتختلف بأختلافها وتتغير بتغيرها من عصر الى عصر في الدولة الواحدة، ومن دولة الى دولة في العصر الواحد. ومن هنا تبرز الحاجة والضرورة للتمييز بين الثوابت والمتغيرات، وكذلك التمييز بين الحد الاعلى والحد الادنى للأمن القومي، في كل مرحلة من المراحل، تحقيقا وتطبيقا وتنفيذا، بالحقائق المحسوسة القائمة فعلا، وليس بالنوايا المستحصلة فكرا او الاهتمامات المتوقعة تصورا، عملا بالمثل القائل: «عصفور في اليد خير من عشرة على الشجرة».

ولاحاجة بنا للقول ان ماتقدم انما يرتب مسؤولية القيام بالجهد المنهجي المدروس للوصول الى اعلى مستوى ممكن واقصى حد مستطاع من مستويات

وحدود الامن القومي في كل مرحلة او لحظة حاسمة، او فترة حرجة وربما خطيرة.

<u>ثانيا</u> : ينبغي ان يكون مفهوم الامن مفهوما مرنا واسعا وعريضا حيا ناميا متطورا، يوحد ولايبدد، يجمع ولايقطع، يوفق ولايفرق، يبني ولايخرب، يستقطب ولايستنفر او يستعدى او يستبعد.

وفي ضوء ماتقدم، نميل الى الاعتقاد ان مفهوما حقيقيا حيويا للامن القومي في العراق الجديد، والى امد بعيد في المستقبل المنظور، ينبغي، في طبيعة تكوينه وطريقة عمله، ان يشمل العناصر الاساسية التالية :-

أ . ان يكون مفهوما واضحا ومقبولا ومستساغا يستقطب ولاء المواطنين العراقيين جميعا على اختلاف وتعدد قومياتهم واديانهم في وطنهم الواحد المشترك: العراق.

ب . ان يكون مفهوما مقبولا يحظى بالاقتناع الحقيقي والالتزام الواعي لدى المناضلين البعثيين.

جـ . ان يكون مفهوما ينال تأييدا واستحسانا لدى كافة المواطنين في الوطن العربي الواسع الكبير، حكاما وشعوبا، على اختلاف وتعدد اقطارهم ودولهم

وانـظمتهم الاجتماعيـة والاقتصاديـة والسياسيـة وعلاقاتهم الدولية.

وفي سبيل ذلك لابد من ان نتصدى لمشكلتين وان نتغلب عليهما وان نخرج منهما بالحـل الذي يحقق الهدف: الاولى، اننا نريد مفهوما واقعيا عمليا ممكنا للامن القومي صالحا للتطبيق زمانا ومكانا وانسانا. والثانية، اننا نريد مفهوما للامن القومي يحقق توازنا وتواصلا وارتباطا بين العراقيين والبعثيين والعرب.

فيلزمنا اذن ان نتوصل الى صيغة للامن القومي توفق بين هذه العناصر الثلاثة، وتحقق الحد الادنى، على الاقل، من الفهم المشترك بيننا كعراقيين وبعثيين وعرب. فيتلاقى العراقي والبعثي والعربي على حدود هذا المفهوم عن قناعة واعية وبينة واضحة، وبذلك نستطيع ان نتجاوز واحدة من المشاكل الاساسية التي استمرت تحول دون استراتيجية عربية موحدة للامن القومي، وهي مشكلة عدم الاتفاق على: من اين تبدأ والى اين تنتهي حدود الامن القومي العربي.

ثالثا : ينبغي ان ينطوي المفهوم الذي نريده للامن القومي علـى تصور واضـح لمصادر ومضـامين التحـديات والتهديدات التي يتعرض لها الان او قد يتعرض لها

في المستقبـل. وبهذا الصـــدد نتساءل: متى يتهــدد الامن القومي عموما ؟ وقبل الاجابة عن هذا السؤال من المفيد الاشارة، بايجاز، الى ان الدول وجدت من اجل انجاز وظائف اساسية: فبالاضافة الى الوظائف الداخلية المعروفة، تسعى الدول الى تحقيق وظائف خارجية متعددة ومتنوعة. ولعل من ابرزها واهمهـا وظيفة حمايـة الوحدة الكيـانية للدولة واستقـلالها السياسي وضمان اسلوب حياتها المتميز، وغيرها من المصالح الاساسية، من العدوان الخارجي، بأشكاله المعروفة. وفي ضوء ماتقدم، يتعرض الامن القـومي للتهديد والخطر، اذا تعرضت اسسه وثوابتـه التي يرتكز عليهـا جوهـر الوظيفة الخـارجية للدولة، الى عدوان مباشر او وشيك او محتمل.

واذا كانت الحكمة والضرورة تقتضي ان ينطوي مفهوم الامن القومي على تصور واضــح للتحديـات والتهديدات الاساسية والثـانويـة، فإنـه ينبغي، في الوقت ذاته، ان يتضمن ادراكا لا لبس فيه ولا غموض لمسألة اساسية اخرى، هي: من هم الاعداء، ومن هم الاصدقاء في السياسة الدولية؟ والصديق في المفهوم الدولي، كما حدده السيد الرئيس القائد حفظه الله، هو الذي يكون اقرب الى فهم مصالحنا المشروعة وحقنا

في الحيـاة والاستـقـلاليـة، وفي البنـاء الان وفي المستقبـل[٨]. وبداهـة ان العدو هـو من يكون عـلى العكس من ذلك.

رابعاً : ينبغي ان يعتمد مفهـوم الامن القومي عـلى رؤية واعية لكيفية تحويل عناصر القوة : مادياً ومعنوياً الى قدرة مؤثرة. فالعبـرة، كما هـو معروف، لاتكمن في مجـرد وجود هـذه العناصر فحسب، وأنمـا تكمن اساسا في عملية استثمارها وتوظيفها توظيفـا حيا متجددا، فمن خلال التوظيف الحكيم يمكن ترتيب ظروف واوضاع ملائمة تساعد على انجاز الاهداف المتوخاة بأقل خسارة ممكنة. فمن طبيعة الاشياء في ممارسة استراتيجية الامن القومي استخدام ادوات القـوة بجانبيهـا، السياسي والاكـراهي، لاغـراض الدفـاع عن مقومـات واركـان الدولة ومصـالحهـا الحيوية. فالقوة ليست مادية فقط، وليست معنويـة فقط، وانما هي محصلة لهمـا معا. وللقـوة اشكال مختلفة وحالات متعددة. فالعلم والتكنولوجيا قـوة. والذكاء والمرونة قوة. والثقافة والمعرفة قوة. وفضلا عن ذلك،فأن القوة ليست حالة مطلقة ثابتة. ولكنها

---

(٨) من نص الحديث الصحفي الشامل للسيد الرئيس القائد صدام حسين للتلفزيون الامريكي (بغداد : وعي العمال، ١٩٨١)، ص ٢٩.

حالة نسبية متغيرة. فالى جانب القوي يوجد دائما من هو اقوى، والى جانب الضعيف يوجد دائما من هو اضعف. ثم ان قوي اليوم كان ضعيف الامس. وضعيف اليوم يمكن ان يكون قوي الغد.. والليالي حبالى، والتاريخ فيه هذا وذاك وفيه الكثير من الكر والفر. فالقوي لم يكن قويا دائما في الماضي. ولن يكون قويا الى الابد في المستقبل. وكذلك الضعيف.

تلك هي صورة او معادلة القوة في الحقيقة الموضوعية للامن القومي. وهكذا، قد تكون الدولة اليوم ضعيفة في جانب معين من الجوانب، ولكنها قد تصبح غدا متفوقة في هذا الجانب بالذات. وتتوقف النتيجة في النهاية على الانسان وارادته وتضحيته وحكمته وشجاعته وقدرته وحسن استثماره للفرص وتطويعه للظروف. وكل امة تنال ماكسبت يداها. وهناك في الامن القومي للدول العظمى مايسمى بحدود القوة، او ضعف القوة او عجزها احياناً. او بمعنى ماتستطيع ومالا تستطيع القوة ان تفعله.

وقد لاحظنا من استقرائنا للتاريخ وتتبعنا للاحداث في العالم ان القوة اذا تعاظمت قد تقود الى الضعف في بعض الحالات. امريكا مثلا دولة عظمى.

ولكنها جويهت مثلا في لبنان بمشاكل مستعصية ومنيت بخسائر فادحة اضطرتها الى الانسحاب كما فعلت في فيتنام من قبل. والاتحاد السوفيتي من جهة اخرى يعتبر ايضا قوة عظمى. ولكنها مازالت واقعة تحت وطأة مشاكل وجودها في افغانستان، ومن الواضح ان هذه الامثلة تتعلق بالتدخلات العسكرية للقوى العظمى، وبالتحديد الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة الامريكية، وبالاخص في الظروف العالمية الراهنة التي تتميز بالتوازن الدولي والتعادل النووي النسبي والردع المتبادل مع استمرار الصراع الاستراتيجي بأشكال مختلفة واساليب غير مباشرة بين الطرفين المتفوقين تفوقا مطلقا على الدول الاخرى، مجتمعة ومنفردة. ولكن الامثلة التي ضربناها عن خصائص وحدود القوة لاتتعلق على الاطلاق بالحروب التقليدية الشاملة التي عرفناها في النصف الاول من هذا القرن، وبالتحديد الحربين العالميتين الاولى (١٩١٤ ـ ١٩١٨) والثانية (١٩٣٩ ـ ١٩٤٥)، اوبالوضع العالمي السائد الان.

ففي ظل هذا الواقع قد يتحول الضعف النسبي الى قوة. ففي احيان قد تستطيع دولة صغيرة ضعيفة نسبيا ان تسدد ضربة محدودة ومؤذية الى هيبة

دولة كبـرى او قوة عـظمى، دون ان تتمكن هـذه بدورها ان ترد على الاولى بضربة قاصمة قـاضية نهائية. تماما كما ان النحلة تستطيع ان تلسع الفيل او تزعجه او تؤذيه، دون ان يستطيع ان يردها او يصدها او يردعها او يمنعها او حتى يعاقبها. لانك لاتقتل النملة بالسيف، ولاتسحق البعـوضة بقنبلة يدوية، ولاتبعد شر واذى الحشرة الطيارة السامـة بقذيفة صاروخية او بشحنة من الديناميت.

يبدو جليا اذن ان القوة العسكرية المتطورة، اذا تجاوزت في حجمها وزخمها وطاقتها التدميرية حدا نسبيا معينا، يصبح من الصعب، وربما من المتعذر، على صاحبها ان يطلقها الى درجتها القصوى او ان يستخدمها بطاقتها النهائية. وتلك هي الظاهرة التي اصطلح الخبراء الاستراتيجيون على تسميتها تارة بعجز القوة او تارة اخرى بضعف القوة. ومن هنا، يبدو جلياً ايضـا، ان حجم القوة العسكـرية التي تستخـدمها، كمـاً ونوعـاً، يتناسب في المعتـاد من الاحوال تناسبا طردياً مع حجم القوة المعادية التي تستهدفها مقرونا بطبيعة الغاية الاستراتيجية التي تتوخاها. فيمكن بالتالي ان يقال: ان القوي المتفوق عسكريا يستطيع في حالات معينة من هذا النوع، كما

فعل الامريكيون في فيتنام وكما يفعل السوفيت الان في افغانستان، ان يضيف قوة جديدة الى قوته العاملة المقاتلة في سوح المعارك وميادين العمليات. ولكن ثبت من هذين المثالين ان هذه القوة المضافة لاتغير الوضع السائد تغييرا جوهريا، ولاتجدي نفعا، ولاتوفر مخرجا، ولاتحسم صراعاً، اذا افتقرت الى الادوات الاخرى. لأن الوسيلة العسكرية تبقى، مع اهميتها الفائقة، مجرد وسيلة واحدة من وسائل متعددة ومختلفة، ولايمكن ان تكون بديلا او نقيضا لادوات الحركة الاستراتيجية الاخرى. فالحياة، وكما قال السيد الرئيس القائد حفظه الله: «.. لاتعمل برافد واحد من روافدها، وإنما لابد من تشغيل كل روافدها بأتجاه المصب المطلوب للخروج بنتيجة صحيحة»[٩].

ويؤكد التاريخ صوابية هذه الرؤية الحكيمة فالتاريخ يكاد ان يخلو من مثال على حركة ناجحة اعتمدت على اداة واحدة فقط. ولكن القياس مع

---

(٩) من نص حديث السيد الرئيس القائد صدام حسين مع وفد جمعية المعلمين الكويتين، صحيفة الجمهورية العراقية، بغداد، العدد. ٥٨١٠ في ١٩٨٥/٧/٣.

الفـارق ولسببين : الاول، ان هـذا التحليل يسلط الاضواء على التدخلات العسكرية للقـوى العظمى حصرا وتحديداً واقتصاراً، فلا ينسحب بالضرورة المحتومة على الدول المتوسطة او الصغرى، ولاحتى على القوى الاقليمية الفاعلة. ومن المؤكد ان التعميم غير جائز وغير صحيح في معظم الاحيان. والثاني، ان النجاح الذي حققته دولة بأستخدام خطط ووسائل واساليب معينة في ظروف خاصة، لايعني بـاليقين القـاطع ان دولة اخرى ستحققـه ايضا في ظروف مختلفـة بـأستخـدام نفس الخـطط والوسـائـل والاسـاليب.. لانها حـالة نسبية وظاهـرة منفردة، وليست حالة مطلقة وظاهرة متكررة. ونعود الى تحليل ظاهرة القوة بوجه عام. هناك حدود للقوة كما رأينا.

وهنـاك ايضا خصـائص وقواعـد وقوانـين للقوة. وماأقرب مفهوم القوة في السياسة من مفهوم القوة في الفيزياء. يقول علم الفيزياء ان الجسم الديناميكي المتحرك سوف يستمر بالحركة الى ان يستهلك طاقته او يصـطدم بجسم متحرك آخـر مساو له بـالزخم ومضاد له بالاتجاه فيوقفه. واذا كان الجسم الثاني اعـظم زخماً فسيـدفـع بـالجسم الاول الى الوراء ويعيده الى الخلف من حيث اتى.

واقرأ التاريخ وانظر الى كل الامبراطوريات التي ظهرت في العالم، واسأل: هل هناك امبراطورية او قوة عالمية او دولة عظمى وصلت الى حدود معينة على الارض او في النفوذ، ثم اكتفت بما حققته وقنعت من الغنيمة بالاياب، وتوقفت عن الامتداد، واعلنت انها قد استكملت اقصى مداها واستوفت كامل مقصودها؟ يقينا سوف يكون الجواب نفيا قاطعا وأكيدا. ونحن لانبحث هذه الظاهرة من الناحية المثالية والاخلاقية والعاطفية، بل نبحثها من الناحية الواقعية والتاريخية. ويبدو واضحا ان القوة تميل بأستمرار الى الامتداد، وتتوقف اذا اصطدمت بقوة اخرى مساوية لها في الزخم ومضادة لها بالاتجاه، او تتراجع اذا جوبهت بقوة اخرى اقوى منها واعظم.

خامساً : لابد، كذلك، من التمييز الدقيق والمدروس بين تيارين للامن مختلفين اختلافا جذريا بالطبيعة والنوعية عن بعض بأعتبارهما ضدين متعاكسين وطرفين متنافرين، وليس بأعتبارهما مرحلتين متعاقبتين في تطور معين او درجتين من نوع متجانس او طريقتين متباينتين في اجتهاد يتصل بخط مشترك واتجاه واحد.

الاول ونسميه المفهوم الدفاعي للامن القومي. وهو مفهوم مشروع وعادل. ومن حق كل دولة ان تنتهجه وان تمارسه دفاعا عن الوطن والاستقلال والمصير، حقا مطلقا دون قيد ولاشرط. ومثاله مفهومنا للامن القومي في العراق.

والثاني ونسميه المفهوم الهجومي التوسعي، وهو مفهوم ظالم باطل. لانه يقوم على التعصب والعدوان والتوسع، ويطالب لنفسه مايحرمه على غيره او يحاول ان يفرضه عليه او يغتصبه منه. وذلك هو الامن القومي بالمفهوم الصهيوني وكذلك بالمفهوم الايراني في دولة الكهان وسلطة الملالي، والذي يبدو واضحا مكشوفا في مايسمى بمبدأ تصدير الثورة الذي لايعني الا تصدير التخلف والظلم والاستبداد والطغيان والدمار والخراب الى دول المنطقة وتعريض امنها، الذي صار يرتبط ارتباطا وثيقا بالامن الدولي، للخطر.

سادسا : واخيرا تجدر الاشارة الى مسألة على قدر عال من الاهمية، وهي : ان المفهوم الذي نريده للامن القومي لايستطيع، ولوحده أن يحتوى تهديدا، او يمنع خطرا، او يتخذ قرارا ويحدد موقفا، لانه

يبقى بحاجة الى القيادة التاريخيـة الملهمة، التي تستطيع، بحسهـا وتجاربهـا وحكمتها ورؤيتهـا الاقـدر والاشمل والابعـد، ان تتصوره وتفهمـه وتدركه وتترجمه الى واقـع محسوب وعمـل حي وبنيان رصين. فكأنها على موعـد تاريخي وقـدر محتوم مع الحقيقة الموضوعية للامن القومي. ومن فضـل الله (سبحانـه وتعالى) عـلى بعض الدول والامم ان يتحقق هذا الموعد وان يتم هذا اللقاء.

فينقلب الامن القومي من حقائق موضوعية تنتظر بـطلها وتبحث عن فـارسها الى خـطط وقرارات وسياسات تعود بالخير العميم والنفع الجم على تلك الامم والدول. وهذه هي بالضبط حـالنـا الان في عراقنا العزيز المقاتل، الذي وجد قائده التاريخي في شخص السيد الرئيس القائد صدام حسـين حفظه الله. فالقائد صدام حسين حفظه الله هو هبة الله تعـالى للعراقيـين ليقودهم، سـواء في مرحلة السلم او في مـرحلة الخطر الاعـظم والامتحـان الاصعب والصراع الاشق نحو النصر، ويـرتقي بهم والعرب، في سلم الصعود التاريخي، الى قمته حيث ينبغي ان يكون موقعهم، شأنه في ذلك شأن اولئك القلة من القادة العظام، الذين يذكر التاريخ

ان الارتقاء لدولهم ماتحقق الا بسبب من دورهم التاريخي المتميز والفاعل.

تلك هي بعض التصورات والاستنتاجات والملاحظات التي خطرت على بالنا عند التفكير في دراستنا للمفهوم الواقعي العلمي والعملي التطبيقي للامن القومي. طرحناها بأيجاز وعرضناها بأختصار، وهي مفتوحة للمناقشة وخاضعة للتجربة.

الفصل الثاني

المنهجية
في استراتيجية الامن القومي

١ . التعريف بالمضمون

ابتداءاً، نود الاشارة الى اننا لانفهم، ولانستخدم تبعاً لذلك، كلمة المنهجية الواردة في عنوان هذا الفصل بدالتها الاكاديمية المتعارف عليها: اي كيفية البحث العلمي في الظاهرة موضوع الاهتمام. وأنما نقصد بها، اساساً، اسلوب العمل، أو بعبارة اخرى، طريقة الاداء المنهجي (او النظامي) لاغير. وبالقدر الذي يتعلق بموضوع اهتمامنا في هذه الدراسة اضحى متعارفا عليه ان ضمان الامن القومي انما يستند في فاعليته على مدى عملية (اي واقعية) تدابيره التنفيذية، وليس على صوابية مفاهيمه النظرية حسب. فالعبرة في الامن القومي لاتكمن، تبعاً لذلك في العلم النظري، وانما العبرة هي في مدى الاستفادة من نتائجه العملية لاغراض توطيد وتطوير وتعزيز العمل الاستراتيجي بعناصر فاعليته. فالعلم ينبغي ان لايكون مجرد علم مجرد فحسب. ففي هذا العالم الذي صار فيه نجاح اي حركة خارجية يتوقف على مدى قدرتها على تغيير البيئة، العالمية او الاقليمية، التي تتحرك بداخلها، لصالحها، اضحت فاعلية اي استراتيجية للامن القومي لاتقاس صوابيتها الا على محك التجربة. فمن خلال التجربة تغتني هذه الاستراتيجية

وتتعمق وتزداد وضوحا ورسوخاً، وتكتسب ابعادها ودلالاتها الحقيقية، وتترسخ قدرتها على التعامل مع التحديات والتهديدات تعاملاً فاعلاً ومقتدراً. بيد ان التفاعل الوثيق بين استراتيجية الامن القومي والتجربة المباشرة الحية والممارسة الواعية لاينفي فائدة التعرف على ادبيات وتجارب الامن القومي للدول الاخرى، ولاسيما تلك المؤثرة منها عالميا واقليميا. فهذه الادبيات والتجارب تساعد على استخلاص معرفة عامة، وتسهل امتلاك ركائز فكرية مرنة ليس فقط لاغراض استشفاف اخطاء السابقين والمعاصرين للاعتبار بها او التعلم منها، بل ايضا للتعرف، على وجه التحديد، على الكيفية التي ترى بها الدول غيرها وانعكاس ذلك على تعاملها واياها، هذا فضلاً عن نظرتها الى امنها القومي، ادراكا وتخطيطا وصنعاً وتنفيذاً، استباقاً للاحداث وتوقعاً للقرارات والسياسات وتحسباً واستعداداً للتعامل الكفوء مع المتغيرات المستجدة. ولنتذكر، بهذا الصدد، المقولة المأثورة للسيد الرئيس القائد حفظه الله: «ان ارقى العقول هي التي تتعلم من تجارب الاخرين ومن تجارب الشعوب والامم مايكفي في تعاملها مع الحياة في السلم وفي الحرب، وان من أكثر العقول غباءاً او سوءاً في التدبير تلك التي لاتتعلم من تجاربها وتجارب شعوبها بما يكفي من تحسب صحيح للتعامل مع الحياة ومتغيراتها، وبما يكفي تجنب الغفلة

المؤذية او القاتلة»[1].

وفي ضوء ماتقدم، لاحاجة بنا للقول ان الثروة الفكرية العملية التي تتضمنها الادبيات المنشورة للسيد الرئيس القائد حفظه الله، فضلاً عن ادبيات وتجارب الامن القومي للدول الاخرى وغيرها من ادبيات السوق (الاستراتيجية) والسياسة الدولية هي الركائز الاساسية التي اعتمدنا عليها في صياغة مضمون هذا الفصل.

٢ . مستلزمات الاداء في استراتيجية الامن القومي

لقد صار معروفاً ان فاعلية كل حركة، وبضمنها بالضرورة استراتيجية الامن القومي، لاتستطيع ان تحقق اهدافها المتوخاة دون ذلك التفاعل الخلاق بين الاعداد المسبق والدقيق لمستلزمات النجاح وبين الادارة الواعية والحكيمة لهذه الحركة. فالربح، الذي يتمثل في انجاز الاهداف، لايبدأ كما يؤكد السيد الرئيس القائد حفظه الله.

«.... من النتائج، وإنما يبدأ قبل ذلك، يبدأ عندما تكون

---

(١) من خطب واحاديث الرئيس القائد صدام حسين في معركة قادسية صدام، الجزء الخامس (بغداد : وزارة الدفاع، مديرية التوجيه السياسي، ١٩٨٦)، ص ١٣٣.

البداية بأستنباط الوسائل والاهداف الناجحة[٢]. (وكذلك) عندما تكون ادارة المعركة صحيحة[٣]....» وانطلاقا من حقيقة ان امتنا العربية المجيدة تواجه اليوم تحديات كثيرة وخطيرة، يدرك السيد الرئيس القائد حفظه الله ان الضرورة تستدعي تشخيص هذه التحديات وتحديد الوسائل الصحيحة في العمل القومي [٤].

وفي ضوء ماتقدم، سنتناول ادناه، بالتحليل بعض تلك المستلزمات التي نرى ضرورتها وجدواها للاداء الكفء والهادف في ميدان الامن القومي، وهي كالاتي: ـ

أ . الوضوح:

ابتداءاً، تجدر الاشارة الى ان استراتيجية الامن القومي، كأي معركة، انما تنصرف الى التعامل مع معطيات

---

(٢) من خطب واحاديث الرئيس القائد صدام حسين في القوات المسلحة ومعركة قادسية صدام، الجزء الاول، مصدر سبق ذكره، ص ٤١٣.

(٣) من خطب واحاديث الرئيس القائد صدام حسين في معركة قادسية صدام، الجزء الخامس مصدر سبق ذكره، ص ١٧١.

(٤) من خطب وأحاديث الرئيس القائد صدام حسين في معركة قادسية صدام، الجزء الثاني، (بغداد : وزارة الدفاع، مديرية التوجيه السياسي، ١٩٨٢)، ص ٢٨.

موضوعية من نوعين: ثابتة (او مرئية) ومتحركـة (او غير مرئية)(٥). ولأن التعامل مع هذه المعطيات يقتضي اولاً تقدير (او تعريف) الموقف المرتبط بها، تقديرا صائبا، تؤكد ادبيات الاستراتيجية والسياسة الدولية على ضرورة التمييز بـين الواقع الموضوعي، كما هو، وبين الواقع كما يدرك او يفهم ذاتياً، او كما يتمناه المرء. ولخطورة سحب معنى الواقع كما يفهم ذاتيا على دلالات الواقع الموضوعي، كما هـو، تقتضي استراتيجية الامن القومي ضرورة التمييز الواضح الدقيق بين الاثنين. لان الخلط العفوي بينهما انما يدفع الى ادراك الحقائق ادراكا خاطئا وبالاتجاه الذي قد يحد من القـدرة الذاتية على حماية الامن القومي، سيما وان الانـطلاق من الحقائق والادراك الصائب والسليم لدلالاتها يعتبر في الفكر الاستراتيجي بمثابة الشرط الاساس للسلوك الفاعل الذي يتسم بخصائص الحرص وسرعة التأقلم والتكتيك المنفتح المرن.

وكرجل دولة كان ولايزال السيد الرئيس القائد حفظه الله يؤكد على ضرورة اعتماد الحقيقة في العمل. فسيادته قال:

---

(٥) هذا التصنيف مأخوذ من تصنيف السيد الرئيس القائد حفظه الله للظروف الموضوعية المؤثرة في نتائج المعركة. من خطب واحاديث الرئيس القـائد صـدام حسين في معـركة قـادسية صـدام، الجزء الخامس، مصدر سبق ذكره، ص ١٧٠.

«...لابد ان تعتمدوا الحقيقة مثلما هي وليس كما تتمنوها...»[٦]. واضافة الى ماتقدم يؤدي الخلط العفوي الى غياب التصور الواضح لكيفية الحركة بين ماهو ممكن في ظل الواقع وبين ماينبغي ان يكون عليه هذا الواقع في ظل المثل والاهداف العليا. ولاحاجة بنا للقول ان الوضوح يعتبر شرطاً ضروريا واساسيا من شروط العمل الكفء في كافة الميادين الحيوية، ومنها بالضرورة الامن القومي. فالوضوح لايلغي المفهوم الغامض او المشوش الذي يعتبر من اشد الأمور اضراراً في محصلة كل عمل فحسب، وانم يساعد كذلك على ترتيب الظروف على نحو يجعل النتائج المتحققة اجدى وانضج على صعيد العمل بأتجاه الاهداف الاساسية.

وفضلاً عن ذلك يدفع الوضوح الى ايلاء اهمية خاصة على مسألة اخرى خطيرة وهامة، هي الحاجة الى الدقة المتناهية واللامعية في اسلوب التعامل مع مفاصل او مفردات قضايا الامن القومي اقترابا او ابتعادا. ومرد ذلك حقيقة مفادها ان مستوى المسؤولية في ميدان الامن القومي انما تختلف، موضوعياً، عن المستويات الاخرى. فمع ان مسؤولية العمل في اجهزة الدولة خطيرة، الا ان مسؤولية العمل في الامن

(٦) من خطب وأحاديث الرئيس القائد صدام حسين في معركة قادسية صدام، الجزء الخامس، مصدر سبق ذكره، ص ١٠٥.

القومي هي بأعتقادنا مسألة اخطر. فـأمن كل دولة انمـا يتوقف، في جانب اساس منه، على مدى كفاءة اجهزة أمنـها القـومي، سيما وان وظيفتهـا تكمن في الحصول عـلى تلك المعلومات الحقيقية التي تسهل عملية احتواء كل مايمكن ان يهدد الامن القومي للدولة. فكما ان السيادة والكرامة، عندنا في العراق، تمثل اعلى سلم الدرجات، كذلك هو الحـال مع الامن القومي. ولان القائد صدام حسين حفظه الله يعبر عن ضمير واهداف وارادة الشعب العـراقي، اكد مـرارا، وفي مناسبات عـديدة، عـلى اولوية السيـادة والكرامـة والامن القومي[٧]. وترتبط بالموضوع اعلاه مسألة اخرى على قـدر عال من الاهمية، وهي ان نوعية المسؤولية التي تتحملهـا اجهزة الامن القومي انما تنبع كذلك من طبيعة علاقتها مع مركز اتخاذ القرار. ولاهمية هذه العلاقة تناولتها العديد من الدراســات الاستراتيجيـة والسياسيـة والدولية بـالدرس والتحليل. وتؤكـد العديـد من الدراسات المتخصصـة ان العلاقة بين مركز اتخاذ القرار واجهزة الامن القومي يمكن تشبيهها بالعلاقة التي تقوم بين المستهلك والمنتج. فالمستهلك

---

(٧) وعلى سبيل المثال، راجع من خـطب واحاديث الرئيس القـائد صدام حسين في القوات المسلحة ومعركة قـادسية صـدام، الجزء الاول، مصدر سبق ذكره، ص ١٥١.

يطلب المعلومات، والمنتج يقدمها مع تقييمه الدقيق لها، مقرونا بأقتراحاته، على صيغة بدائل لكيفية التعامل مع الموقف. وبهذا الصدد تجدر الاشارة الى مسألة توليها ادبيات الامن القومي والسياسة الدولية اهمية غير اعتيادية، هي ان صنّاع القرار (والمستهلك بالقياس) كلما كانوا اوضح في طلباتهم، كلما كانت اجهزة جمع المعلومات (او المنتج بالقياس) اكثر قدرة على انجاز وظيفتها بصيغة ادق واكثر كفاءة.

وفي عراقنا كان ولايزال السيد الرئيس القائد حفظه الله يؤكد دوماً وابداً على ضرورة الوضوح في العمل. فالقائد يدرك ان غياب الوضوح لابد ان ينعكس سلباً على محصلة كل عمل هادف. فمثلاً قال سيادته مخاطباً قيادات عسكرية مسؤولة «ان من مستلزمات نجاح المقرات المسؤولة ومنها المقرات القيادية هو أن يكون لها رد فعل واضح تجاه اي فعل مقابل، ويقتضي الامر احيانا ان يسبق الفعل السريع بالفكرة الصحيحة فتكون الحركة والعمل المبني عليها لاحقة له، ويجب ان يكون هناك وضوح في تصميم المعركة لكل المستويات المسؤولة عن ادارتها، فكل واحد حسب مسؤولياته، يجب ان يعرف بالاستقراء والاستنتاج المسبق كيف يتصرف عدوه اتجاهه في الاسلوب والاهداف

والمسالك....»[٨] وبتأكيد السيد الرئيس القائد حفظه الله على الوضوح، وضع سيادته حدا نهائيا للنظرة التقليدية والعقلية الموروثة واتاح للاجهزة المتخصصة مجالا واسعا للعمل الحقيقي والاداء الفاعل المتجدد والمتطور بما يخدم اهداف مفهومنا للامن القومي. وعلى الرغم من ضرورة الوضوح في ميدان الامن القومي، فانها لاتعني ان تكون خطط واساليب الاداء مكشوفة للاخرين. لانها، حينذاك، ستكون مجالاً للاستغلال المعادي والاضرار بالامن القومي. ومن هنا، نستطيع ان نفهم لماذا تحرص كافة الدول على العمل الصامت في هذا الميدان وفرض مايمكن تسميته، مجازاً، ستاراً كثيفا من الكتمان على نشاطاتها الخاصة بالامن القومي[٩].

---

(٨) من خطب وأحاديث الرئيس القائد صدام حسين في معركة قادسية صدام، الجزء الخامس، مصدر سبق ذكره، ص ١٣٣ ـ ١٣٤.

(٩) ولقد حرص السيد الرئيس القائد على رفض الاجابة عن اسئلة بعض الصحفيين الاجانب الذين يقابلهم سيادته عن بعض الامور لأن، كما قال سيادته «... الكلام المحدد في هذه الامور يؤذي الامن القومي العراقي.» من خطب وأحاديث الرئيس القائد صدام حسين في معركة قادسية صدام، الجزء الثالث، مصدر سبق ذكره، ص ١٨٣.

ب . الواقعية الثورية

لقد تمت الاشارة في اعلاه الى ان الضرورة تقتضي ادراك الواقع كما هو. ولاحاجة بنا للقول ان مثل هذا الادراك الموضوعي انما يستدعي ان تكون صيغ واساليب التعامل معه واقعية المضمون. بيد ان هذه الواقعية ليست سمة موروثة، وانما هي سمة تكتسب من خلال التجربة والتفاعل الحي مع الواقع المتغير.

ولهذا تؤكد امثلة عديدة من التاريخ القومي الخاص والانساني العام على ان الكيفية التي يتم من خلالها مثلا تعامل حزب ثوري، يخوض غمار النضال السري للوصول الى السلطة، مع الواقع تتطور وتختلف، من حيث الكم والنوع، وفي بعض الجوانب على الاقل، بعد استلامه مسؤولية ادارة الدولة وبناء الحياة الجديدة. فلو نظرنا الى منهجنا، كبعثيين، قبل الثورة، لوجدناه قد اختلف، في جوانب محددة، عنه بعد الثورة. وكذلك لو قارنا انماط سلوكنا في المراحل المبكرة للثورة مع المراحل اللاحقة، لوجدنا ان الاخيرة قد اختلفت ، في بعض المجالات، ايضا عن الاولى. فمثلا يقول السيد الرئيس القائد حفظه الله: «نحن كنا نتصور قبل ان نأتي الى الحكم مثلا ان صديقك يموت معك وتموت معه في الحياة والمعارك... هذه الامور بعد ان جئنا

للحكم ومارسناها لم نجد كذلك...» [١٠]. فالحرب علمتنا «... بأنه لايجوز ان تعتمد على الصديق كما تعتمد على نفسك بل ولايجوز ان تبني احكامك اعتمادا على الصديق دون ان تلمس هذا بالتصرف لكي لاتقع في الوهم[١١]...».

ومرد اختلاف بعض انماط سلوكنا في الوقت الراهن عما كان عليه الحال سابقا مجموعة حقائق. فمن ناحية يعود الى اتساع دائرة مسؤولية الحرص في العراق على مضامين مفهومنا للامن القومي. فكما يؤكد السيد الرئيس القائد حفظه الله اضحت: «.... مسؤوليتنا (تشمل) كل العراق وكل مايتعلق بالعراق وفي الخارج بما في ذلك مشاكل الامة العربية»[١٢] اما من الناحية الاخرى فالامر يعود الى اننا، كبقية العرب[١٣] علمتنا التجارب وصقلتنا المواجهات وثقفتنا المشاكل، فضلاً عن الحلول التي استوحيناهامن حركة الواقع الموضوعي الجديد مستهدين بمبادىء حزبنا وتوجيهات السيد الرئيس القائد حفظه الله. وهكذا اصبحنا

---

(١٠) من خطب وأحاديث الرئيس القائد صدام حسين في القوات المسلحة ومعركة قادسية صدام، الجزء الاول، مصدر سبق ذكره، ص ٢٥٤.

(١١) نفس المصدر، الجزء السابع، ص ٢٣.

(١٢) نفس المصدر، الجزء الخامس، ص ١٩.

(١٣) نفس المصدر، الجزء الثاني، ص ٥٨.

نحن العراقيين بوجه عام والبعثيين من ابناء العراق بوجه خاص الان اغزر حكمة واوسع تجربة وانضج حنكة وخبرة. بيد اننا، مع ذلك لانغرق، في الواقعية، ولاننسى اننا ابناء حزب قومي ثوري. وتبعا لذلك اصبح مفهومنا للحركة التاريخية الهادفة والمؤثرة، مفهوما واقعياً، لان القفز على الواقع انما يؤدي الى ان تصبح الحركة التي تتعامل واياه تسبح في عالم من الاحلام. وبهذا الصدد يقول السيد الرئيس القائد حفظه الله: «ان اي حركة لتغير واقع ما، اذا انعزلت عن مكونات ذلك الواقع اثناء تغيره الى الامام ستقع بخطأ التقدير ولاتخرج بالنتائج التي تستهدفها في عملها الذي تريد القيام به»[١٤] هذا من ناحية ومن الناحية الثانية استمر مفهومنا للحركة التاريخية ثوريا. لان «... انتفاء الصيغ والاساليب الثورية من مسيرة الثورة، بدون ربطها بالعقلانية التي تحددها سياسة الثورة، يفضي الى الانحراف على طريق مايسمى في ادب العمل الثوري بالاصابة بمرض الطفولة اليسارية»[١٥].وتبعا لما تقدم، كان من البديهي ان

---

(١٤) صدام حسين، الثورة والتربية الوطنية (بغداد: دار الحرية للطباعة، ١٩٨٠).

(١٥) صدام حسين، طريقنا خاص في بناء الاشتراكية (بغداد : دار الحرية للطباعة، ١٩٧٧) ص ٥٩ ـ ٦٠.

نجمع انماط الحركة العراقية، بكافة انواعها، بين خصائص الاثنين، اي بين خصائص مايعبر عنه السيد الرئيس القائد حفظه الله بالواقعية الثورية، التي تؤكد على ثبات المبادىء واستمرارها مع التكيف المرن في الصيغ العملية تعبيرا عنها وتطبيقا لها بموجب الظروف والامكانات والخطط. ومن هنا، اصبحنا لاننسى التطلع نحو الشمس، ولانخضع خضوعاً مطلقاً لمعطيات الواقع، كما هي. ولذلك وبموجب مبدأ الواقعية الثورية لانتنازل، او نتراجع عن المبادىء والقيم الاساسية من جانب ولانقفز على حقائق الواقع وصولاً الى الطموح من جانب آخر، وانما نعمل من اجل الاهداف الاستراتيجية عبر خطوات مدروسة ومحسوبة ومتوازنة ودقيقة لاتخضع المبادىء الى الظروف والمراحل، ولاتستبدل الاهداف الاستراتيجية بالاهداف التكتيكية. ويفيد ماتقدم اننا لسنا، كغيرنا من دول العالم الثالث وغيرها، قانعون وراضون، اخلاقياً وعقائدياً وانسانياً عن هذا العالم، كما هو. ولكننا ندرك ان مثل هذا العالم غير قابل للتطور على نحو جديد يتماشى مع ماتتمناه الشعوب والامم الا من خلال دعم قوانين التطوير الكامنة بداخله. ومن هنا، وكما يؤكد السيد الرئيس القائد حفظه الله: «... نحرص على ان لايكون سلوك العراق متعارضا مع قوانين العصر فحسب، وانما الحرص يمتد الى الرغبة والسعي لان نشارك في صنع هذه القوانين

ونشارك في تعزيز قدرة قوانين التطور على اسعاد الانسانية وعلى احلال السلام والحرية في أرجاء المعمورة....»[١٦].

ولاحاجة بنا للقول ان هناك ضمن الاطار العالمي والاقليمي الذي تتفاعل الدول بداخله مع بعض، مجموعة ضوابط وحدود للحركة ومقاييس حساسة للتمييز بين شيء مشروع وآخر غير مشروع، او بين شيء قانوني وآخر غير قانوني.

وهذه الضوابط والحدود والمقاييس، التي جرت العادة على تسميتها بالمحددات الدولية، قد تستطيع الدولة أن تتجاوزها، ولكن على حساب سمعتها وهيبتها الدولية. ويكفي ان نتذكر، وكمثال حي، واقع النظام الايراني الراهن، وكيف اصبح بسبب من عدوانه على قطرنا العزيز واصراره على استمرار العدوان، رغم نداءات السلام العراقية والدولية، في جهة، ومعظم الرأي العام العالمي والدولي في جهة اخرى مناهضة له. صحيح، اننا، وبسبب من انسانية المبادىء التي نؤمن بها، نتمنى ان يكون المجتمع الدولي اكثر عدالة وانسانية واخلاقا. ولكننا مع ذلك ندرك ان واقع هذا العالم

---

(١٦) من خطب واحاديث الرئيس القائد صدام حسين في معركة قادسية صدام، الجزء الثالث، (بغداد : وزارة الدفاع، مديرية التوجيه السياسي، ١٩٨٣)، ص ٢٦٦.

يفرض ضرورة الاعتماد على الذات من أجل الدفاع عن العراق والاستمرار في عملية البناء. وقد اكد السيد الرئيس القائد حفظه الله على ذلك مرارا. ففي سياق كلام سيادته عن حال العراق في الحاضر والمستقبل، قال: «.. اننا سنتحسب للحرب وكأنها ستستمر، وسنعمل للحياة وكأن الحرب ستنتهي غدا»(١٧).

جـ . المرحلية

قبل ان نتناول هذا الموضوع، كأحد المستلزمات الضرورية للاداء الفاعل في ميدان الأمن القومي، من المفيد الاجابة، اولاً، على السؤال الآتي : متى وكم نكون واقعيين، ومتى وكم نكون مثاليين في ميدان الأمن القومي؟ ان الجواب الذي تمليه احكام الضرورة وحقائق العصر الراهن، يقول بأيجاز: أننا في هذا الميدان، لامناص من أن نكون واقعيين في جميع الظروف والاحوال. والا سقطنا في شراك وافخاخ ومصائد الغفلة والسذاجة والعفوية. وحينذاك ربما اوردنا اوطاننا وشعوبنا في موارد التهلكة والندامة. وبهذا الصدد كان السيد الرئيس القائد حفظه الله ولازال يوصي بأيلاء

---

(١٧) السيد الرئيس صدام حسين، الارادة مفتاح النصر (بغداد : دار الحرية للطباعة، ١٩٨٧) ص ٣٢.

التحسب المحسوب بدقة واهمية خاصة. فمثلا قال سيادته:
«وأهم ناحية اوصي بها العراقي هو ان لايصاب بالغفلة...
فمزيدا من الانتباه.. يفوت الفرصة على العدو»[١٨].

وتبعاً لمطلب الواقعية في ميدان الأمن القومي قد يرى البعض ان ضمان الأمن القومي إنما يقتضي اللجوء الى جميع مايراه المرء ملائما للرد على التحديات والتهديدات، وذلك انطلاقا من مقولة ميكافيلي : الغاية تبرر الوسيلة. ومع أن الرد على تحديات وتهديدات الأمن القومي وبالصيغة التي تحتويها وتحجمها يعتبر حقاً طبيعياً من حقوق الدفاع عن النفس، بيد ان دواعي الحنكة العملية والحكمة الواقعية تقتضي ان يتجنب المرء تلك الافعال التي تعتبرها الدول الاخرى تدخلا في شؤونها الداخلية او تجاوزا على حقوق سيادتها او تهديدا لها.

وتبعا لذلك لاحاجة بنا للقول ان الخطوات والتدابير التي يراد بها صيانة وحماية الامن القومي ينبغي ان تتزامن وتتوازن مع ذلك الجهد الذي يجنب استعداء واستفزاز الدول الاخرى بما يسيء لها او يعرض مصالحها للخطر. ففي احتفاظ الدول بأحترامها لك واعترافها بك وتشجيعها على

---

(١٨) من خطب واحاديث الرئيس القائد صدام حسين في قادسية صدام، الجزء الرابع، مصدر سبق ذكره، ص ١٨٢.

التجاوب مع مصالحك المشروعة، ضرورة ماسة وفائدة عالية لاتنكر. وانطلاقا من ايمانه بالمبادىء متفاعلاً مع ادراكه ضرورة نشر الالتزام العالمي بتلك القواعد التي ارتضتها الدول لتنظيم العلاقات فيما بينها سلمياً، حرص العراق على ان تبنى علاقاته مع غيره على اساس هذه المبادىء، ومن بينها مثلا عدم التدخل في الشؤون الداخلية لاي بلد، فضلاً عن نظرته الانسانية المسؤولة. وبهذا الصدد أكد السيد الرئيس القائد حفظه الله: «.. نحن لانتصرف تجاه اية امة او أي شعب او أية دولة على اساس هل نستطيع أو لا نستطيع وانما على اساس هل أن التصرف الذي نتصرف به مشروع وهو على حق ام غير مشروع وليس على حق...»(١٩).

وفي ضوء ماتقدم، نتساءل ايضاً: كيف ينبغي تحقيق اهداف استراتيجية الامن القومي وبأقل خسارة ممكنة؟ من المعروف ان مضمون كل استراتيجية للامن القومي انما يعبر عن خصائص مجتمعها، ومن هنا،نسعى الى تحقيق قيمه الاساسية، فضلا عن المصالح والاهداف المركزية النابعة منها، والدفاع عنها في آن واحد. وفي سبيل تحقيق

---

(١٩) من خطب وأحاديث الرئيس القائد صدام حسين في القوات المسلحة وقادسية صدام، الجزء الاول، مصدر سبق ذكره، ص ٣٤٩.

الاهداف المناطة بها، لاتختلف استراتيجية الامن القومي عن غيرها في نمط حركتها التدريجية. ففي ضوء سياسة الخطوات المتتالية المتوازنة والمنسجمة والمنسقة تتحرك بأتجاه اهدافها الاستراتيجية. ومرد ذلك حقيقة مفادها ان الأمن، كممارسة، ليس حقيقة ثابتة دائمة تحققه الدولة، اية دولة، مرة واحدة والى الابد، بل حقيقة متغيرة[٢٠]. وتبعا لذلك، من المنطق أن اهداف الامن القومي لايمكن ان تتحقق تحقيقا كاملاً دفعة واحدة، بين عشية وضحاها، بل يمكن ان يتم ذلك على مراحل مترابطة ومتعاقبة. فمن طبيعة الاشياء، ان عملية تحقيق اهداف كل عمل تاريخي لابد ان تمتد على فترة زمنية طويلة وان يصاحبها جهد منظم ومثابر واستثمار عال للفرص المتاحة وبالاتجاه الذي يؤدي الى الاقتراب من الهدف تدريجيا بخطوات متسلسلة واشواط متصلة.

ولنتذكر ان الصبر وسياسة النفس الطويل هي احدى السمات الاساسية التي ينبغي ان تتميز بها كل استراتيجية تسعى الى تحقيق اهداف تاريخية، ومن بينها بالضرورة استراتيجية الامن القومي.

---

(٢٠) د. علي الدين هلال، الامن القومي العربي ـ دراسة في الاصول، مجلة شؤون عربية، تونس، العدد ٣٥، كانون الثاني ١٩٨٤، ص ١٢ ـ ١٣

ولأن الصبر، في حضارة العراق قديم الجذور[٢١]، كان من البديهي ان ينعكس هذا التقليد على سياستنا وبالاتجاه الذي جعلها تتميز «... بالصبر الثوري والنفس الطويل»[٢٢]، وتبعا لذلك كان من الطبيعي ان تعتبر سياسة التدرج والمرحلية، وهي من طبيعة الاشياء بحد ذاتها، هي السياسة التي تعتمد في سعينا الجاد والدؤوب نحو تحقيق اهداف مفهومنا للأمن القومي. ولكن دون ان نجعل من اهداف هذه السياسة اهدافا نهائية لنا. فأنطلاقا من الايمان بالوحدة العربية متفاعلاً مع رؤية موضوعية صافية لكيفية التعامل مع الواقع العربي وانعكاساته على مسيرة العمل العربي المشترك، دعا السيد الرئيس القائد حفظه الله انطلاقا من سياسة الخطوة خطوة (اي المرحلية) الى الوحدة العربية فمثلا قال سيادته: «.... نحن نؤمن بالوحدة ونتمناها ولكن أي لقاء قبلها لانعتبره بديلا لها ولكن ايضا لانعطله في انتظار

---

(٢١) يقول السيد الرئيس القائد حفظه الله: «...ان الذي بنى بابل هم العراقيون، وان الذي يبني حضارة مثل حضارة بابل لابد أن يكون صبورا....» انظر من خطب واحاديث الرئيس القائد صدام حسين في قادسية صدام، الجزء السابع، مصدر سبق ذكره، ص ٢٥٩.

(٢٢) من خطب واحاديث الرئيس القائد صدام حسين في معركة قادسية صدام، الجزء الخامس، مصدر سبق ذكره، ص ٣٢.

الوحدة كما نتصورها او نتخيلها...»[٢٣] فنحن «لانقف ضد اية خطوة تكون على الطريق..»[٢٤]. وأن «مما نحرص عليه اشد الحرص هو أن يخطو العرب كل يوم خطوة ايجابية بقدر وحسب الظروف ومعطياتها وبما يعمق علاقات الاخوة والمحبة مع الجميع....»[٢٥] وفي ضوء ماتقدم لنتساءل: ماذا تتضمن المرحلية؟ بدون الدخول في التفاصيل، تتضمن المرحلية ضرورة الاحتفاظ بجسور ممتدة ومعابر وثيقة بين المراحل المختلفة والمتعاقبة. فتولد كل مرحلة من احشاء المرحلة التي سبقتها وتستولد المرحلة التي لحقتها في علاقة سببية ومنطقية هي علاقة السبب بالنتيجة، في كل حالة من الحالات. وحينذاك يعتبر الحد الاعلى في المرحلة السابقة بمثابة الحد الادنى في المرحلة اللاحقة فلا تنفصل المراحل بنفسها عن بعضها ولاتنفي احداها الاخرى ولايحل الجزء محل الكل. بل أن كلاً من هذه المراحل تقرب المسافة من الهدف المطلوب. وهنا تجدر الاشارة الى أن المرحلية عندما تغيب عنها الرؤية الاستراتيجية الواضحة تنقلب الى فوضى وحركة متقطعة ونزوة عابرة وحلقة مفرغة، فاتحتها هي

---

(٢٣) من خطب واحاديث الرئيس القائد صدام حسين في معركة قادسية صدام، الجزء الثاني، مصدر سبق ذكره، ص ٧٧.

(٢٤) نفس المصدر، الجزء الاول، ص ٢٥٧.

(٢٥) نفس المصدر، الجزء الثالث، ص ٢١٢.

خاتمتها وبدايتها هي نهايتها، وخطوتها الاولى هي خطوتها الاخيرة. اي انها تصبح، بعبارة اخرى، اعجز من ان تستطيع التأثير في الواقع السلبي بأتجاه التغيير، تدريجيا نحو الهدف الاستراتيجي المطلوب.

وترتبط بهذه المسألة التي ذكرناها في اعلاه، مسألة اخرى على قدر عال من الاهمية، وهي ان الدول، وحتى الاقوى والاكثر تأثيرا على الصعيدين العالمي او الاقليمي، لاتستطيع تحقيق اهداف الحد الاعلى لامنها القومي. لانها، على الاقل، لاتعيش في عالم يخضع لسيطرتها المطلقة. ولكنها في الوقت ذاته، لاتستطيع التنازل عن الحد الادنى من أهداف امنها القومي[٢٦]. لأن مثل هذا التنازل يحول دون تحقيق اهداف الحد الاعلى، كما انه قد يعرض وجودها نفسه الى الخطر.

ومن هنا،تكون سياسة الانطلاق من الحد الادنى بأتجاه الحد الاعلى هي السياسة الواقعية التي تساعد على تجنب الاخطاء وتقلل العيوب وتفتح آفاق المستقبل في البناء

---

(٢٦) يقول السيد الرئيس القائد حفظه الله:«ان التنازل عن الحد الادنى الذي اتفق العرب عليه في مؤتمر قمة بغداد غير مسموح به» من خطب واحاديث الرئيس القائد في معركة قادسية صدام، الجزء الثاني، مصدر سبق ذكره، ص ١٢٧.

الصحيح وفي الخطوة الصحيحة والتفكير الصحيح[٢٧]. وفي ضوء ماتقدم،ينبغي إذن، ان يتأسس العمل في ميدان الامن القومي على معادلة دقيقة ومتوازنة بين الحد الاعلى والحد الادنى.وعليه، وبالقدر الذي يتعلق بالامن القومي، نتساءل:

ماذا يشكل الحد الاعلى وماذا يشكل الحد الادنى؟ ومع ان الجواب على هذا السؤال لايمكن ان يكون قاطعاً ومحدداً لأنه يتأثر بنوعية وجدية التحديات والتهديدات التي تجابه بها الدولة، اية دولة على امتداد العالم، في وقت معين، الا اننا نجتهد ونرى ان الحد الاعلى للامن القومي إنما يتجسد في ديمومة عدم تعرض القيم الاساسية للمجتمع والدولة، أي مقدساتها لاي نوع من الخطر. ومثالها : وحدتها الكيانية (الارض والشعب) سيادتها ونمط حياتها المتميز وتطلعها نحو البناء بمعناه الشامل. اما الحد الادنى فيعكس ضمان مجموعة من تلك الاهداف، كالاستقرار السياسي والرفاهية الاجتماعية مثلا، التي تعتبر بمثابة المقدمة الضرورية نحو إنجاز تلك الاهداف التي ترتبط بالقيم الاساسية للمجتمع والدولة. ومن هنا، يمكن تشبيه العلاقة بين الحد الادنى والحد الاعلى بمثل العلاقة بين الاهداف القومية والاهداف

---

(٢٧) ومن خطب وأحاديث الرئيس القائد صدام حسين في معركة قادسية صدام، الجزء الثالث، مصدر سبق ذكره، ص ١٦٧.

الوطنية. فكما ان تحقيق الاولى يدفع بالضرورة الى انجاز الثانية، كذلك يؤدي انجاز الثانية الى ترتيب الظروف المواتية لتحقيق الاولى.

وفي سبيل ترتيب الظروف المؤاتية لضمان الحد الأعلى من الاهداف دون التنازل عن الحد الادنى، تجدر الاشارة الى ان الحكمة تقتضي ان يكون الهدف المطلوب تحقيقه متوازنا مع الامكانات المتاحة في وقت معين. وانطلاقا من ادراكها ان الطموح شيء والممكن شيء آخر، حرصت ادبيات الاستراتيجية والسياسة الدولية على تناول هذا الموضوع بعناية خاصة[٢٨]. وقد أكدت ان الهدف الذي لاترفده قدرات ترتقي الى مستوى اهميته، تكون محصلته الفشل. ولهذا، فأن الحاجة العملية تقتضي في ميدان الامن القومي الحرص الشديد على الموازنة الدقيقة بين الاهداف والامكانات، فالعكس يجعل المرء يواجه مشكلة المصداقية. والمصداقية

---

(٢٨) يقول مثلا د. اسماعيل صبري مقلد ان التناسب بين حجم الاهداف وحجم الامكانات يجعل تحقيق الاهداف في دائرة الامر الممكن، بينما يؤدي فقدان هذا التناسب الى تصعيب الحصول على الاهداف التي تقررها الدول... العلاقات السياسية الدولية، دراسة في الاصول والنظريات، ط ١، الكويت : جامعة الكويت، ١٩٧١، ص ٨٧.

عندما تنتفي، تنتفي معها، وبالضرورة، القدرة على التأثير. ولهـذا من الضروري ان ينبني التخـطيط للاسـتـراتيجية المتصورة في الامن القومي، على مستوى الدفاع عن الدولة، وطنا وشعبا ونظاما ومصيرا، على اساس المثل الدارج (مد قدميك على قدر غطائك). ويترتب على ماتقدم بعض النتائج العملية، التي يمكن تلخيصها بالآتي :ـ

١ . لاتقدم على عمل يفوق قدراتك الحقيقيـة المتاحـة. اي اطلب الممكن بأتجاه الطموح.
٢ . لاتقل مالاتستطيع ان تفعـل حتى تستطيـع ان تفعل ماتقول[٢٩].
٣ . لاتهدد[٣٠] الا اذا كنت قادرا على تنفيذ تهديدك.

ويمكن تلخيص هذه المعاني والدلالات التي تشتق منها وتقوم عليها وتتأكد بهـا المصداقيـة الاستراتيجيـة للامن

---

(٢٩) يؤكد السيد الرئيس القائد حفظه الله (نحن نقول الكلام الذي نقتنع به والذي نؤمن به والذي قررناه في عقولنا وفي ضمائرنا) من خطب واحاديث الرئيس القائد في معركة قادسية صدام، الجزء الاول، ص ٤٣١.

(٣٠) يقول السيد الرئيس القائد حفظه الله (نحن غير متعودين ان نهدد، هذه اللغة لانستخدمها ولكن عندما نعنيها نستخدمها..) نفس المصدر، ص ٣٢٨.

القومي بالآتي: ـ

تجنب الهدف الذي تعلم يقينا ان الأمكانات والظروف لاتساعدك على انجازه وتحقيقه، وابتعد عن التعرض له والاعلان عنه والتبجح به، لان الاقدام على موقف لفظي او حماسي دون ترجمته الى واقع ملموس سيؤدي الى فقدانك للمصداقية، ويجعل اقوالك وافعالك تدخل ضمن مايسمى بسياسة الخداع او «البلف». وهي السياسة التي يراد بها دفع الطرف المقابل (الخصم كقاعدة) نحو عدم القيام بفعل غير مرغوب به من خلال التهديد بأنزال اشد العقاب عليه. وتبعا لمضمونها تدخل هذه السياسة ضمن اطار سياسات التهديد بأستخدام القوة العسكرية، المعروفة في السياسة الدولية، دون استخدامها فعلا. وعلى الرغم من أن العديد من الدول لجأت، ولاتزال تلجأ الى هذه السياسة، لكلفتها الواطئة. لاحاجة بنا للقول إن نجاح هذه السياسة انما يتوقف، بالدرجة الاساس، على نوعية ادراك تقييم الطرف الخصم لها. وعندما يدرك انها تنبني على الخداع او «البلف»، يكون الفشل كقاعدة من نصيبها والعكس كذلك صحيح.

وتاريخ السياسة الدولية يتضمن العديد من الامثلة التي تؤكد ذلك. وفي ضوئه يمكن تشبيه غياب المصداقية عن

الفعل الذي تقوم بها بمثل تلك الحالة التي تكون فيها وكأنك قد رميت بسلاحك من يدك، وتنازلت للعدو عن حقك في الدفاع عن نفسك وأتحت الفرصة الذهبية التي قد ينتهزها الخصم للتسلل الى قلعتك ومهاجمتك من الداخل. ولامكان هنا للاهداف غير الواقعية في الاستراتيجية العقلانية للامن القومي. ومن الاضمن والافضل الابتعاد عن الاهداف غير الواقعية، ولنأخذ مثلا الشعار الذي رفعه بعض العرب احيانا في مراحل سابقة، والذي يقضي بالقاء اليهود بالبحر. كان شعارا اجوفا فارغا يفتقر ليس الى القدرة على التنفيذ فقط، بل ايضا يشوه الحقيقة الانسانية للامة العربية ولايمكن للامة العربية ان ترتكب عملا بشعا من هذا النوع حتى ولو كانت قادرة على تنفيذه. لانه يتنافى وقيمها وعقائدها واخلاقياتها وتقاليدها التي تكونت وترسخت عبر اجيال متعاقبة وعصور طويلة. وقد اصابنا هذا الشعار بضرر فادح وعرضنا الى اذى عظيم. لانه برر مسبقا العدوان الاسرائيلي على امتنا، واظهرنا بمظهر المعتدي، ونحن في الحقيقة الطرف المعتدى عليه. دعونا نضرب مثلا آخر من واقعنا الحي وتاريخنا القريب، استكمالا وايضاحا للمعنى الذي نقصده، نحن في العراق نخوض الآن حربا دفاعية مصيرية فرضها علينا العدو الايراني الظالم ونحن في الوطن العربي نعاني من وضع سيء وتمزق رهيب لانجد مايفوقه في السوء حتى في

احلك صفحات تاريخنا القومي الطويل. وفي مثل هذه الظروف المأساوية، يدفعنا اخلاصنا الواعي وحبنا العميق للعروبة وللامة العربية الى البحث عن حد ادنى من التعاون والتضامن بالمستوى الواقعي الممكن الحكيم، يتيح بصيصاً من النور وبارقة من الامل للمستقبل في هذا الظلام الدامس الكثيف. ثم يأتي شخص او آخر، حتى ولو بحسن نية على افتراض احسن الاحوال وافضل النوايا، فيرفع شعار الوحدة العربية، ويطالبك ان تقاتل دفاعا عنها وتحقيقا لها.

ونتساءل : كيف يمكن تحقيق هذا الهدف القومي النبيل بالحد الاعلى اذا لم يمكن في الظروف الراهنة تحقيق الحد الادنى من العمل العربي المشترك؟ واذا كانت بعض الدول العربية، على الرغم من شعاراتها الوحدوية، تصطف دون حياء ولاخجل في الخندق الايراني الاجنبي ضد العراق العربي المسلم! من الواضح ان هذا الهدف لايتناسب الآن مع الواقع، ويثبت مدى الضرر الذي يمكن ان يصيب الامة من القول الذي لايمكن ان يحققه فعل هذا الشعار الذي يرفع من غياب القدرة على تنفيذه.

وخلاصة القول ان الحكم في ميدان الامن القومي يقتضي ان ندرك كيف يمكن للهدف القريب الذي تحقق ان يوصلنا الى الهدف النهائي. وهذا الموضوع يرتبط مباشرة بالفهم

الصحيح والادراك السليم للعلاقة بين الاستراتيجية والتكتيك. اي بين التصور الاستراتيجي والعمل المرحلي، وبين الطموحات والامكانات كما اوضحتها دراسات علمية وابحاث متخصصة تنتمي الى مذاهب ومدارس مختلفة في دول عديدة، فما الفائدة من تحقيق انجازات تكتيكية ناجحة ومكاسب ميدانية عديدة، اذا لم تؤد تلك الانجازات والمكاسب الى تحقيق الاهداف الاستراتيجية الكبرى. او بعبارة اخرى، ماالفائدة من الربح التكتيكي قصير المدى، اذا كان لايؤدي، تدريجيا، الى الربح الاستراتيجي بعيد المدى. ولجدوى انماط الحركة المترابطة، ضمن اطار شمولي، بافاق المستقبل، نرى ان النجاحات التكتيكية تنطوي على جوانب مهمة، لان كل الاعمال التاريخية العظيمة التي عرفناها لم تتحقق في يوم واحد، او سنة واحدة، او خطوة واحدة، وانما تحققت تدريجيا وشيئاً فشيئاً عن طريق مراحل عديدة متعاقبة متصلة. ونحن، العراقيين والبعثيين والعرب الشرفاء الطيبون امامنا اهداف تاريخية كبرى لانستطيع ان نحققها في يوم وليلة. وانما نرجو ان نحققها على مراحل في خطة مدروسة، تحقق الربح، في الحاضر والمستقبل لكافة اقطار الامة. فالعمل العربي الوحيد الذي نتصوره هو ذلك الذي يعكس، كما يؤكد السيد الرئيس القائد حفظه الله:

«... الحالة الواحدة بالاتجاه العام والحالة التي تنتفي فيها

التناقضات على الامور الاساسية في مصلحة الأمة مع وجود انظمة ورؤساء...»[٣١].

وفي ضوء قياس العلاقة المتفاعلة بين الاهداف المرحلية والنهائية، يتدرج العمل بين الممكن والطموح. ونحن نسمي الاهداف المرحلية بالاعمال التكتيكية، ونسمي الاهداف النهائية بالغايات الاستراتيجية وتلك هي الحقيقة التي حدثنا عنها ونبهنا اليها السيد الرئيس القائد حفظه الله بقوله المأثور : «وأنت تعمل بالممكن لاتنسَ الطموح». وليس من المتوقع او الممكن ان نحقق الاعمال التاريخية في غفلة من الزمن، او غفوة من الوقت. وأنما نحققها بأستجماع القوى وتركيز الجهود وتحشيد الطاقات وتوحيد السواعد والقلوب في مرحلة معينة، ودفعها بأتجاه المقاصد الكبرى والغايات الاستراتيجية. كل ذلك عبر رؤية واقعية ومتطورة في العقل والنفس مفادها : «ان العرب الآن ٢٢ دولة وعلينا ان نتصرف على هذا الاساس»[٣٢]. وفي ضوء ماتقدم، يبدو واضحاً ان المرونة في السلوك، والواقعية في العمل، والقدرة

---

(٣١) من خطب واحاديث الرئيس القائد صدام حسين في معركة قادسية صدام، الجزء الثاني، مصدر سبق ذكره، ص ١٩٨.

(٣٢) من خطب واحاديث الرئيس القائد صدام حسين في معركة قادسية صدام، الجزء الرابع، مصدر سبق ذكره، ص ٢١٢.

على التوقف عن انجاز هدف معــين وفق حسابـات محددة تحقيقا للاهداف التي تتمتع بأولوية اعلى واهمية أكبر، فضلاً عن الموازنة المحسوبة بين الاهم والمهم، هي من القضايا التي تكتسب اهميــة قصـــوى في حســابــات الأمن القــومي. فأستراتيجية الأمن القومي قد تقتضي، في أحيان، التضحية بهدف اقل اهمية من غيره في سلم الاهداف، او تجميد هدف آخر بحسابات دقيقة للوصــول الى الهدف الاهم، أوتبـريد موضوع معين او تحريك او تنشيط موضوع آخر في مرحلة من المراحل، او تسليط الضوء وتركيز الاهتمـام مثلاً عــلى موضوع معين دون آخر او على حساب موضوع آخر. وقد تقتضي الحسابات والخطط كذلك تحويل النظر عن هدف معين او ابعاده مرحليا عن دائرة الضوء بتوازن دقيق للوصول الى هدف آخر أكثر اهمية. فكما هو في الحرب[٣٣]، كذلك هو الحال في استراتيجية الامن القومي. فأعادة ترتيب الحركة مرة الى الخلف ومــرة الى الامام، حيثمـا كان ذلك افضــل لتحقيق الهدف المطلوب بأقل خسارة، لايتعارض مع متطلبات الفعل

---

(٣٣) وقد قال السيد الرئيس حفظه الله «ان اعادة ترتيب دفاعاتنا الى الخلف مثلما هي الى الامام، حيثما كان ذلك افضل لايتعارض... مع مبدأ الاصرار على القتال حيثما بدا ذلك ضرورياً..» راجـع خطب واحاديث السيد الرئيس القائد صــدام حسين في معـركة قـادسية صدام، الجزء الثالث، مصدر سبق ذكره، ص ٢٠٣.

الهادف والمؤثر. بيد ان اعـادة ترتيب الحـركة وفق حـدود استراتيجية الامن القومي، ينبغي ان يتم ضمن اطار واضح من الرؤيـة والتقديـر السليم للفرق بـين الاهداف المهمـة والاكثر اهمية وبين الاهداف المهمة والاقل اهمية. فضلاً عن التمييز بين الاهداف الرئيسية والاهداف الثانوية التي ترتبط بها وتؤدي اليها.

وقد يرى البعض ان الهدف الذي يتم التوقف عنه انه حيـوي، في حين انـه بحسابـات الواقع الحي والتخـطيط الحقيقي الذي يمـارسه صـانـع القـرار في ضـوء التقييم التاريخي، يعتبر ثانويا في مرحلة معينة بالقيـاس الى هدف آخر اكثر اهمية منه. تلك هي حكمة وضرورة وفائدة المرونة والواقعية في التعامل والموازنة المحسوبة بين مايمكن التخلي عنه والتوقف عنـده في هذه المـرحلة او تلك وبين مـاينبغي التمسك به في كل الاحوال وجميع المراحل. وقد علمنا السيد الرئيس القائد حفظه الله ان نفرق بين التوقف والتخلي[٣٤]. فبينما الاول حالة مؤقتة، بعكس الثاني حالة دائمة، «لأنه يرتبط بفقدان الايمان..» وأيماننا بحتمية انتصارنا على كل

---

(٣٤) من احاديث وخطب الرئيس القائد صدام حسين في القـوات المسلحة ومعركة قادسية صدام، الجزء الاول، مصدر سبق ذكره، ص ٢٦١.

اعدائنا وتحقيق اهداف مفهومنا للامن القومي لاتتزعزع. وفي ضوء ذلك تجدر الاشارة الى مسألة في غاية الاهمية، وهي اننا ينبغي ان نكون واضحين ودقيقين فنعلم علم اليقين ان المهمة الصعبة في الربط والتنسيق والاختيار لايمكن ان يتولاها على الوجه الصحيح الاكمل، الا قائد الشعب وصانع القرار بتقديره الابعد وتصوره الاشمل وعلمه الاوسع والادق بتفاصيل ومفردات وحقائق الاوضاع والاحداث والتطورات على المستويات الوطنية والقومية والاقليمية والدولية.

وفي ضوء ما اجملنا في اعلاه، يبدو واضحاً ان الامن القومي هو موضوع لايمكن تحقيق ابعاده الاساسية تحقيقا كاملا في حدود زمن قصير وربما حتى ولا في زمن طويل نسبيا. وبهذا المعنى يكون الامن القومي مشغولية مزمنة ومستمرة. وليس مشغولية وقتية تنتهي بتحقيق غاية مقصودة، او مشغولية مرحلية تصل الى خاتمتها بأنقضاء فترة معينة من الزمن. فالتصور الذي مفاده ان مجرد تحقيق هذا الانجاز او ذاك، هنا وهناك، يؤدي الى تحقيق الأمن القومي كاملاً غير منقوص هو تصور ينطوي على خطأ كبير. اذ يدفع الى النوم على حلم جميل والأستيقاظ على واقع قد يكون صعباً ورهيباً. وفي ضوء ذلك، دعونا اذن لاننسى الحقيقة الاساسية وهي: انك لاتستطيع مهما فعلت او

صنعت وليس من طبيعة الأشياء أن تستطيع تحقيق جميع اهداف وابعاد امنك القومي دفعة واحدة في مرحلة معينة، ففي عالم من هذا النوع الذي يحيطنا الآن، من العبث أن تتوقع او تنتظر نهاية حاسمة ونهائية للمشاكل التي تتحداك والقضايا التي تواجهك على مستوى الامن القـومي. فهذه غاية صعبة البلوغ وعسيرة المنال. ولكن من المؤكـد ان ما لايدرك كله، لايترك جله. غير اننا نستطيع ان نحقق الحد الممكن من الامن القومي في ضوء حساباتنا للواقع في كـل مرحلة معينة من مراحل استراتيجيتنا التاريخية الكبرى، ثم البناء عليه صعودا بأتجاه الحد الاعلى من الاهداف.

وبناء على ماتقدم، فأن التمتع بالاستقرار والوحدة في ظل ميـزات الامن القومي، وعـلى طول الخط، ولكـل المراحـل التاريخية لاي بلد في العالم، يعد هدفا مستحيلا وليس هدفا ممكنا. وعلى سبيل المثال، توخيا للايضاح، لا وجود لقوة في عالم اليوم تستطيع ان تلعب دورا سياسيا حاسما في كـل مكان وفي نفس الوقت. وحتى القوى العظمى لاتستطيع ذلك. فهذه قد تلعب دورا حاسما في مكـان واحد تـوليه اولويـة قصوى في زمان معين. او تستطيع ان تلعب مثل هذا الدور في مكانين او اكثر في نفس الوقت، مع وضـع الجهد الاعـظم والثقل الاكبر على مكان معـين بالذات. أو، بعبـارة اخرى، تستطيع القوى العظمى ان تدخل مواجهات اساسية واخرى

ثانوية في مسارح متعددة من العالم. ولكنها لاتستطيع ان تدخل عددا غير محدود من المواجهات الاساسية في كل مكان وفي نفس الوقت.

وفي القياس عينه، اذا تواجدت القوة العظمى في مكان معين، فأن ذلك لايعني انها قادرة على القيام بدور سياسي حاسم بالضرورة وبمجرد وجودها في ذلك المكان. لأن مجرد التواجد في مكان معين لايعني شيئاً ان لم يقترن بالفعل والتأثير. ومن جهة اخرى، يمكن لأية دولة عظمى الآن ان تمكث داخل حدودها، وان تمتلك في نفس الوقت نفوذاً حقيقياً ودوراً سياسياً مؤثراً وفعالاً في منطقة بعيدة تقع خارج حدودها، اكثر بكثير مما لو كانت تمتلك تواجدا عسكريا ماديا محسوسا في تلك المنطقة. ويبدو هذا الوضع واضحاً في الاثر الذي تحدثه العلاقات التسليحية والمصالح الاقتصادية والاتفاقيات السياسية او الاعتبارات الاستراتيجية على الروابط او التحالفات بين الدول.

د . موضوعية ادراك التهديد

لنتساءل : متى تشعر الدولة بالامن ومتى تشعر بعدم الامن؟ وللاجابة عن هذا السؤال لابد، اولا، من تناول

الجـوانب التي يتـأسس عليهـا مفهـوم الامن القـومي وبأختصار. يؤكد خبـراء الامن القومي ان الأمن القـومي يتضمن جـانبـين متفـاعلين[٣٥] : احـدهمـا ذاتي والاخـر موضوعي. يرتبط الجانب الذاتي بحالة غياب الخطر الآني، اي بحالة عدم تعـرض القيم والمصالح الاسـاسية لخـطر التهديد الخـارجي. اما الجـانب الموضـوعي فيعكس حالة الاطمئنان. اي يجسد قدرة الدولة، عبر وسـائلها الفـاعلة والمؤثرة، على مواجهة الخطر، في حالة حدوثـه، واحتوائـه لصالحها. ومع ان التفاعل الايجابي بين هذين الجانبين يدفع نحو الشعور بالامن، بيد ان العكس، اي التفـاعل السلبي بينهما، يؤدي الى مايسمى بالمشكلة الامنية. فهذه الحـالة تنجم عندما تدرك الدولة، اية دولة، ان قيمها ومصالحهـا اضحت تتعرض للخطر، وان كمية ونوعية امكاناتها الذاتية لاتتيح لها المقاومة الفاعلة لمصدر، او (مصادر)، التهديـد.

ومن هنا، يمكن القول ان الشعور بالامن او الشعـور بعدم الامن انما يجسد محصلة التفاعل بين التحديات وبين مدى قدرة استراتيجية الامن القومي عـلى احتوائهـا. والعكس كذلك صحيح. ولذلك تبـرز الحاجـة الى دعم استراتيجيـة

---

(٣٥) انظر بالتفصيل، في السياسة الامنية الخارجية، مجلة الامن والجماهير، بغداد، العدد (٢)، نيسان، ١٩٨٠ ص ٤٤.

الامن القـومي بتلك المستلزمات التي تجعـل منهـا، وعـلى الدوام، قادرة على خلق شعور وطيد بالامن ليس في الحاضر فحسب، وانما في المستقبل كذلك، سيما وان البعد الزمني للامن القومي يشمل الحاضر والمستقبل معا. ولنتذكـر ان انتفاء التحديات، او عدم جـديتها، في وقت معـين لا ينفي غيابها او عدم فاعليتها في كل الاوقات خصوصا، عندما تتغير وتتبدل البيئة الداخلية والدولية للامن القومي. فهذه البيئة هي التي تشكـل الاطار الذي يتم بـداخله صنـع وتنفيـذ استراتيجية الامن القومي. وبسبب من تأثيـرها، يصبـح واضحا ان على استراتيجية الامن القومي ان تتعامـل، في نفس الوقت، مع نوعـين مختلفين، زمنيـاً، من التحديـات: تحديات الحاضر وتحديات المستقبل. اوبعبارة اخرى، مع ما هو كائن ومع ما يمكن ان يكون. واذا كان من السهل ادراك تحديات وتهديدات الحاضر، فأن الامر ليس كذلك بالنسبة الى ادراك التحدي والتهديد في المستقبل. اذ حيال ذلك تنبع مجموعة من التعقيدات من مشاكـل اساسيـة، اهمها تلك المشكلة التي مفادها: كيف يمكن تقليص هامش المجهول او احتواء عدم الثقة بالمستقبل؟ وتؤكد بعض الاراء ان الخطوة الاساسية لاحتواء مثل هذه الحالة انما تكمن في تحديد من هي الدولة المعادية والتي تمتلك القدرة المادية على تهـديد المصالح الوطنية، تهديدا جديا.ومع صواب هذا الرأي، بيد

ان الحكمة في ميدان عمل الامن القومي تقتضي الحذر الشديد من التعامل مع التحديات بصيغة رد الفعل تحت ضغط الوقت. فضغط الوقت لايؤدي، مثلا الى ان تكون بدائل الحركة الفاعلة محدودة فحسب، وانما كذلك الى ان تكون المعلومات الضرورية اما ناقصة او متناقضة.ولهذه السلبيات وغيرها لامفر اذن من الركون الى التخطيط لاغراض الاستعداد المسبق للتعامل مع اسوأ الاحتمالات وتجنبا للمفاجئات. فالتخطيط، وعلى شتى المستويات، اصبح اليوم احد السمات الاساسية لكل دولة تريد ان تعيش روح العصر وترنو الى تحقيق اهدافها بأقل قدر ممكن من الخسائر.

وفي ضوء تحديات الحاضر واحتمالات المستقبل دعونا نضرب مثالا من واقعنا في العراق. فبسبب من عدوانها السافر والمباشر ، نحن في حالة حرب مستمرة مع ايران. وقد تستمر لفترة اخرى غير محددة، علما اننا «... نلمس ان الاتجاهات الجدية لانهاء الحرب تنمو على المستوى الدولي والاقليمي رغم انها تبدو احيانا بأنها لاتسير سيرا متصاعدا مضطردا بلا توقف او تردد، فأن الخطوات الى امام تزداد لتحسم الموازنة ضد الخطوات الى خلف»[٣٦]. والحرب مع

(٣٦) السيد الرئيس صدام حسين، بعض ماهو قبل الحرب واثناءها، مصدر سبق ذكره، ص ٢٥.

ايران لايمكن ان تستمر الى مالا نهاية. فمن طبيعة الاشياء ان تنتهي. فكما قال السيد الرئيس القائد حفظه الله «نحن كنا دائما، ومازلنا نؤمن بأنه سيأتي اليوم الذي ستتوقف فيه الحرب ويتحقق السلام الشامل....»(٣٧). والسؤال هو: عندما تنتهي الحرب ويتحقق السلام، هل ستنتهي معها المخاطر التي قد يتعرض لها امننا في العراق؟ الجواب الموضوعي ينفي ذلك. فمع اننا نعتقد اعتقادا واعيا ان ايران بعد الحرب ستبقى مشكلة مزمنة للعراق مثلما كانت في المراحل السابقة. وان انظارنا، نحن العراقيين، ستبقى مشدودة الى جهة الشرق، (اي الى ايران)، الى الامد البعيد.

كما ورد في العبارة المأثورة للسيد الرئيس القائد حفظه الله المنقوشة في لوحة على نصب الجندي المجهول العراقي. ومع ذلك قد تصبح دولة اخرى، غير ايران، في مرحلة تاريخية لاحقة ومختلفة، خطراً اساسياً يهدد امننا القومي. وتبعاً لذلك ليس من الواقعية في شيء على الاطلاق ان نعتقد او نتوهم أنه سيأتي يوم على العراق لايتعرض فيه الى اخطار وتهديدات على الاطلاق، شأنه في ذلك شأن كل دولة من الدول في العالم، ولاسيما دولة مثل العراق تقع في منطقة حيوية مثل

---

(٣٧) السيد الرئيس صدام حسين، الارادة مفتاح النصر، مصدر سبق ذكره، ص ٢٣.

المنطقة العـربية. ويمكن تشبيـه التهديـد الخارجي للامن القومي عموما بالمرض الذي يتهدد الجسم الصحيح. انت في الحالات الاعتيادية انسان سليم ومعافى. ولايعني ذلك خلو جسمك من المكروبات والجراثيم التي تهاجمه بـأستمرار. ولكنه يعني ان خلاياك الصحيحة وعوامل المناعة في جسمك قد انتصرت على عوامل المرض والمكروبات والجراثيم التي تهاجمه. فأذا حدث خلل عضوي او انهيار داخلي ادى الى ضعف المقـاومة وأنكمـاش المناعـة فستهاجمـك الجراثيم والمكروبات هجوم مقتدر وتؤدي الى اصابتك بالمـرض. وما أشبه الدول بالاجسام العضوية الحية من هـذه الناحيـة. فتمتعها بالسلامة والصحة والحيوية والقوة لايعني غيـاب الجراثيم والمكروبات أو انتفاء الاخطار والتهديدات. ولكن الدولة اذا تعرضت الى الخلل او العطل او الشلل في امنها القومي، ضعفت مناعتها وتقلصت مقاومتهـا وقدرتهـا على ضمان امنها. فلا تتوقع انك سليم سلامة تـامة عـلى طول الخط في كل وقت، ولا أنك اذا مرضت سوف لاينفعك الدواء ولايفيـدك العلاج. تعـالوا اذن الى كلمـة سـواء. دعـونـا نستخلص النتيجة الواضحة ونتفق عـلى الحقيقة الثـابتة. وهي ان التهديد قـائم وموجـود في كل مكـان وزمان عـلى اختلاف وتعدد المصادر والاتجاهات من مرحلة الى اخرى بحسب اختلاف وتعدد المراحل والظروف. ولكنك كلما كنت

قويا حازما وحذرا متحسبا، تـأخذ كـل الاحتمالات بنـظر الاعتبار والاستعداد، كلما كانت مصـادر الخطر ومكـامن التهديد في حالة نسبية من الخمود والانزواء والانكماش.

في ضوء هذه الاعتبارات، يكون واضحاً ان الامن القومي يبدأ بأمتلاك التصور وتقدير الاحتمال، وان خططه تتوقف على الحسابات الموضوعية الشاملة والدقيقة، وأن حساباته تتوقف اولاً وأخيراً على رصد الحقائق والوقائـع والظروف والمتغيـرات والقوى والمصـالح، وتحليل المعلومـات تحليلاً منهجيـاً علمياً واضحـاً، واستخلاص النتـائـج المنـطقيـة الصحيحة، وتحديد البدائـل المختلفة والخيـارات المتعددة سلباً وايجاباً. ولكن التصور ليس خيـالاً يداعب العقـول، وليس الاحتمال حلماً يراود النائمين. ويطلق العسكريون على هذا المنهج اسماً اصطلاحيا هو تقدير المـوقف. فالحقيقـة المشهودة هي ان كل عمل ينطلق من فكر ويبدأ بتصور. وأن الامن القـومي بأعتبـاره عمـلاً مخـططاً يـولد من العـدم ولايتحرك في الفراغ. ولكنه تصور عن وعي واضح بالحقائق الموضوعية، وأدراك سليم للحسابات الدقيقة، واحتمال يقوم عـلى العلم وليس التخبط. وبـدون تصور مسبق من هـذا النوع، لاتستطيع ان تنفذ عملاً أو تحقق نجاحا في ميدان الامن القومي. ونرى ان هناك من مطالب العمل مايحتـاج

بطبيعته الى قدرة معينة على التصور وشكل منهجي محدد من أشكال الخيال العقلاني المنضبط المتوازن الواسع الشامل. فتستطيع بذلك ان توسع من افق رؤيتك، وان تزيد من درجة استعدادك، انطلاقا من تصورات واقعية وموضوعية وعملية وعقلانية مدروسة ومحتملة ومحسوبة ودقيقة. ومن هنا، فأن استراتيجية الامن القومي، تصوراً وتخطيطاً وتنفيذا ينبغي، ان تقوم بالضرورة على الوقائع وليس النوايا، وتأخذ بالحقائق وليس العواطف. لانها على درجة فائقة من الأهمية والحساسية والخطورة بحيث انك لو اخطأت في جانب واحد من جوانبها حتى ولو كان ثانوياً وطفيفاً وصغيراً فستترتب عليه وتنجم عنه نتائج سلبية في جميع الجوانب الأخرى. وتنعكس على الصفحات اللاحقة من تلك الأستراتيجية. ومع ذلك، فأننا «في الوقت الذي نقر بأن السياسة الدولية تقتضي التعامل مع المعطيات لا الهواجس. فأننا مطالبون، دائما بأن لانسقط الهواجس كخلفيات لابد منها لمراقبة ساحة نشاطات وتصرفات الجميع»[٣٨]. ويكتسب هذا القول اهمية مضاعفة ومتزايدة، بالاخص اذا كانت تلك الهواجس تقوم على سوابق متكررة

---

(٣٨) من افتتاحية جريدة الثورة، بعنوان مبادرة انهاء الحرب الى اين، العدد ٦٢٦٤ في ٢٠/٧/١٩٨٧.

وتــراكمات محســوسة. لابــد اذن من امتــلاك تصــورات، والهواجس من ضمنها. ولكن التصورات ستبقى نوايا دفينة في القلوب وممكنات تداعب العقــول، ان لم تتوفــر الخطط والموارد والجهود المنظمة التي تترجمها الى وقائع ومواقف وسياسات. وفضلا عن ذلك، ينبغي اختيار وتحديد الوسائل الفاعلة واللازمة لتحقيق الاهداف المتوخاة بصيغة تضمن التوازن بين الاثنين. وفي جميع الاحوال، يفترض ان تكون اهدافك واضحة الى اقصى حد ممكن عملياً. الا في الحالات التي ربما تكشف عن خصائص اســاليبك وابعــاد خططك فتفقدك مزايا وميزات المفاجأة التي تتوخاها في مواجهتـك للاعداء. وتلك هي الحقيقة التي اوصانا بها ونبهنا عليهـا السيد الرئيس القائد حفظه الله بقــوله : «وانت تعمل مــع الجماهير، حافظ دائما على درجــة من الوضوح. ولكنــك في المواجهات التي تدخلها مع الاعداء، حافظ دائما على درجة من المضموم، بما يجعل العدو واقعــا تحت حالة الصــدمة الاشد والمفاجأة الاعظم».

ويرتبط بما تقدم سؤال مهم هو : ماهي جدوى مراجعة الاساليب المستخدمة في ميدان الامن القومي ؟

لقــد أكد الواقــع ان من بين اهم مستلزمــات النجاح، مراجعة قدرات واساليب العمل بين فترة واخرى. لان هذه المراجعة تلعب دورا اساسيا وربمــا حاسمــا في قياس تلك

القـدرات والاساليب مـرحليا واتخـاذ ماتتـطلبـه الظروف الجديدة والموازين المتغيرة والدروس المستفـادة من خطط وقـرارات وسياسـات. ففي ميـدان الامن القـومي تقتضي الحكمة ان يتساءل المرء : هل مازالت اساليب العمل تؤدي وظائفها بالشكل الصحيح في هذه المرحلة كما كانت تفعل في المرحلة التي سبقتها، أوهل طرأ عليها جديد سلبا او ايجابا؟ ومرد هذا التسـاؤل رؤية، طالمـا أكد عليهـا علماء الادارة الحديثة، وهي صعوبة المراهنة على ان الانسان، في مرحلتين مختلفتين ومتعقابتـين من الزمان، سيكـون انجازه واداؤه الوظيفي او القتالي بمستوى معين، اومتغيرا نحو الافضل او الاسوأ؟ ومن هنا، تصبح المراجعة المستمرة والمراقبة المكثفة الدائمة والابتكار في صيغ التعامل مع المتغيرات، موضوعا اسـاسيا في عمـل اجهزة الامن القـومي. ومن اجل تجنب المفاجآت والتعامل الكفء مع المعطيـات والمتغيرات، كـان السيد الرئيس القائد حفظه الله ولازال يعلمنا ويوصينا دائما بضـرورة استنباط الدروس بعـد كل معـركـة ومـراجعـة الاساليب وتطوير الخبرات وعـدم تكرار الاخـطاء وأبتكار البدائل الجديدة. فمثـلاً وضمن سياق تشخيص سيـادته لخصائص الاقتدار[٣٩] قال : «.. إن من يعرفون كل ماينبغي

---

(٣٩) في التفاصيل، انظر : من خطب وأحاديث الرئيس القائد صدام حسين في معركة قادسية صدام، الجزء الخامس، مصدر سبق ذكره.

ومايجب ويحسبون لكل ماهو تدقيقه، ويكون عملهم جيدا، فأن يقينهم يكون عالياً....»[٤٠]. وبالطريقة التي علمنا اياها السيد الرئيس القائد صدام حسين حفظه الله، استطعنا، في ظل ظروف الحرب المتغيرة، ان نحقق قدرا عاليا من التوازن وان نرتقي بأستعدادنا الدفاعي الى مستوى التحدي المعادي. وان نحقق النصر وندافع عن روحه.

هـ . التكامل بين الاجهزة المختصة

لا احد ينكر الان حقيقة الامن القومي باعتبار أن نشاطها لايتوقف ولاينتهي، كما اوضحنا. ولكن هذه الحقيقة ترتبط عمليا وموضوعياً بحقيقة اخرى يؤكد عليها الرأي العلمي، ومفادها ان مجموعة الخصائص التي يتسم بها عالمنا الراهن قد ادت الى زيادة اهمية الوظيفة الامنية بمعناها الشامل. وقد دفع ماتقدم الى ان يصبح الامن القومي موضوعا تختص به كافة اجهزة الامن القومي وتشترك فيه بكل طاقاتها[٤١]. فبسبب من اهميتها وحساسيتها لايمكن ان تحقق الوظيفة الامنية فاعليتها الا اذا كانت اجهزة الامن

---

(٤٠) نفس المصدر، ص ١٣١.

(٤١) د. حامد ربيع، في المضمون السياسي للحوار العربي ـ الاوربي، المتغيرات (القاهرة، دار غريب للطباعة، ١٩٧٩)، ص ١٩٤.

القومي تتفاعل مع بعض كما يتفاعل اعضاء الفريق المتكامل والمصر على التفوق والنجاح[٤٢]. ولايحول دون ذلك مسألة التخصص الدقيق في العمل. فتوزيع ساحات العمل على الاجهزة المعنية ينيط بالكوادر السياسية المكلفة بشؤون الامن القومي مسؤولية خاصة، لدورها في تحديد مناهج عمل دقيقة وشاملة تتناسب وخصائص الواقع الوطني والقومي والاقليمي والدولي تحقيقا لاهداف الامن القومي. وحول هذا الموضوع، نود الاشارة الى اننا قد قمنا بجولة فكرية واسعة وطويلة في أدبيات دول عديدة ومختلفة، واطلعنا بشيء من التفصيل على نظم واجهزة الامن القومي في تلك الدول وطبيعة تكوينها وطرق عملها. ولاحظنا ان بعض الاوساط في عدد من اجهزة الامن القومي في تلك الدول قد اختلف وتباين في نظرته الى طرائق تنفيذها للواجبات التي تطلب منها وتكلف بها وتوكل اليها. فيميل طرف الى تأكيد ضرورة الاتفاق المسبق بين تلك الاجهزة في الدولة الواحدة في الرأي والتحليل والتصور والاستنتاج. وبالمقابل، وجدنا طرفاً آخر يميل الى ترجيح فائدة الاختلاف الموضوعي الدائم بين تلك الاجهزة في

---

(٤٢) لقد سبق لنا ان أكدنا على ضرورة ان تكون الاجهزة الامنية موحدة في المبدأ والهدف ومتعاونة في التنفيذ والاداء. انظر، مؤلفنا. استراتيجية الامن الداخلي (بغداد: دار الحرية للطباعة، بلا تاريخ) ص ٤٧ مثلا.

الاستنتاجات التي تستخلصها والاقتراحات التي تقدمها. ومن الواضح أن هذين الطرفين يمثلان قطبين متعارضين وموقفين متضادين. والواقع ان الانحياز انحيازا كاملا مطلقا الى احدهما ربما ينطوي على قبول غير مبرر بالسلبيات التي يتضمنها، وربما يؤدي بالتالي الى الوقوع في التباسات واخطاء، انطلاقا من الوهم ان الحل الناجح او الجواب المفيد الذي حققه انسان معين في زمان معين ومكان معين، لابد بالضرورة ان يناسب كل انسان في كل زمان ومكان. ويبدو ان الموقف الصحيح والحل الصائب والمنطلق السليم يفترض بديلا اجدى واصلح من هذين الموقفين، يتناسب مع الخصوصيات المختلفة والظروف العملية للدول المتعددة.

والاهم في جميع الاحوال ان تعتمد اجهزة الامن القومي في عملها على اسس ومنطلقات تقوم على النظرة الموضوعية والدراسة العلمية والمعرفة الدقيقة والمتابعة اليومية الراصدة للمتغيرات الطفيفة والصغيرة التي قد لايكون من السهل ان تنتبه لها وان تتعرف عليها. هذا هو المهم، وليس ان تعدد القنوات واختلاف تصوراتها واستنتاجاتها واقتراحاتها، يخدم مصلحة الدولة ويفيد مركز صنع القرار. لانه يوفر مجالا اوسع وميداناً اعرض وافقا ارحب من البدائل والخيارات. واعتماد هذه الاجهزة على الدراسة

العلمية والنظرة الموضوعية والمعرفة الدقيقة والمتابعة اليومية للمتغيرات في هدف معين او موضوع خاص، سيضيق الى حد بعيد من نطاق الاختلافات في التصور والتحليل والاستنتاج.

ولنتذكر ان تعدد الصراعات او الخلافات او الادراك ولو على مستوى فهم الموقف لابد وأن يضعف من فاعلية الجهاز الامني بمعناه الشامل الاعم(٤٣). ومن المتوقع احيانا، ان يحدث اتفاق عام في التصور والتحليل والاستنتاج بين الاجهزة المتعددة. واذا حدث مثل هذا الاتفاق، فأنه سيكون مؤشرا على احتمال وجيه وقريب من الواقع. وفي ضوء ماتقدم، وبالاخص مايتعلق منه بالرصد اليومي الدقيق والشامل للمتغيرات الطفيفة والصغيرة، فأن السيد الرئيس القائد حفظه الله لايمل ولايكل من توجيهنا الى البحث ليس عن الظاهر على السطح في كل موضوع، بل عن الغاطس تحت الماء الذي لاتراه العين ولاتبصره، ولكن يمكن ان يدركه العقل وان يكتشفه الانسان بالملاحظة الذكية الواعية الحاذقة الثاقبة. فالسيد الرئيس القائد حفظه الله حذر من السكون، لانه «... يفقد العناصر الحية في الانسان قدرتها على الفعل بقدر او بآخر. أما العمل والحركة والابداع

---

(٤٣) د. حامد ربيع، نظرية الامن القومي (القاهرة، دار الموقف العربي ١٩٨٤)، ص ٥٠:٠.

المستمر فأنها تزيده قدرة على ذلك...»[٤٤]. ثمة ملاحظة اخيرة تتعلق بهذا الجانب من البحث الذي طرقنـاه الان. ونعتقد انها على درجة من الاهمية والخطورة تدفعنـا الى التركيـز عليها والتنبيه لها والتحذير منها. وبهذا الصدد نود ان نؤكد مسبقا ان الظاهرة التي سوف نتطرق اليها ادناه، هي ظاهرة عالمية شبه شاملة تعرضت لها وعانت منها الاجهزة الخاصة العاملة في ميدان الامن القومي والتابعـة الى دول عديـدة مـختلفـة، وبالاتجـاه الذي عرض الامن القـومي فيهـا الى الضرر والخطر. وهي ظاهرة التنافس البيروقراطي بين تلك الاجهـزة. وبأختصـار نجمت هذه الظاهـرة عن مجموعـة اسباب، كما هو الحال مثلاً مع تباين درجة اعتمادية واسناد الاجهزة المعنية على بعضها البعض بسبب من ندرة قنوات الاتصال، او على الاقل ضعف التنسيق فيما بينها، او عدم قناعة بعضها بالدور الذي تنجزه ومن ثم تطلعّها الى دور اكثر تأثيرا، هذا فضلا عن الصراع الذي قد ينشب بينها حول نصيبها من الموارد المتاحة. وقد ترتبت على ماتقدم مجموعة نتائج سلبية. ولعل من بين البارز منهـا ان عملية اختيـار البدائل لاتتم على اساس افضلها واقلها كلفـة وانما عـلى اساس الحلول الوسط لارضاء الاطراف المتصارعة. هذا من

---

(٤٤) من خطب واحاديث الرئيس القـائد صـدام حسين، الجـزء الخامس، مصدر سبق ذكره، ص ١٢٥.

ناحية. اما من الناحية الثانية دفع التنافس البيروقراطي الى انتفاء التنسيق بين الاجهزة الامنية وبالاتجاه الذي ادى الى ان تتحرك في اتجاهات مختلفة، ان لم تكن، أحيانا، متعارضة. وقبل كل ذلك ادى بها الى ان تخفي المعلومات عن بعض، او قل لوي عنق الحقيقة، وتطويع المعلومات، وتفصيلها على مقاس القناعة المسبقة والمصالح البيروقراطية الخاصة وتفنيد المعلومات الاخرى التي قد تخالفها.

اما الامن القومي في منظور الدراسة العلمية والمنهجية الموضوعية والمعرفة الدقيقة، فأنه نمط مختلف وطريق آخر. صحيح انك تبدأ بأفتراض معين. ولكنك مفتوح، لاتنحاز الى جانب من المعلومات، ولاتحيد عن البحث سعيا للوصول الى القرائن الموضوعية والنتائج الصحيحة. وهكذا تقودك الدراسة العلمية للحقيقة الواقعة الى نتيجة اخيرة قد تثبت تلك الفرضية او تنفيها، وربما تصححها وتستكملها وتزيدها وضوحا ونفعا. ويبقى ان نعلم ان المعلومات اشمل واوسع بكثير من مجرد عرض الاحصائيات وجمع الارقام وخزن البيانات. لانها تنطوي على عنصر الاستقراء التاريخي والتحليل المقارن والتصور العقلاني المتولد من الاحتكاك الدائم بالواقع الحي والوضع الوطني والقومي الخاص المتميز. وانني لاأجد قولاً سديداً يكون خاتمة مناسبة للبحث عن الجانب المنهجي في الامن القومي افضل واجمل وأكمل

من العبارة المأثورة الحكيمة التي طالما رددها على مسامعنا السيد الرئيس القائد حفظه الله بقوله : «ان الارقام ليست حقـائق نهائيـة مطلقـة كما يـظن البعض، وانني لاأشعر بالاطمئنان ابدا في التعامل مع حاصل جمع الارقام الصماء المجردة، الا اذا اقترنت بالعقل الواعي والدور الانســاني الحقيقي والواقع الحي الذي يعلم دروسا قد تقصر الارقام في الوصول اليها والتعبير عنها».

الفصل الثالث

اسس وثوابت
الامن القومي في مفهومنا

الثوابت والمتغيرات والاولويات

مقدمات وتعاريف وحدود

للامن القومي مفهوم علمي واضح دقيق لابد ان يميز بين ثلاث مقولات، هي على التوالي: الثوابت والمتغيرات والاولويات. وكل بلد من البلدان في هذا العالم يتميز بمفهوم معين للامن القومي، يختلف ويتعدد بأختلاف وتعدد الخصائص والخصوصيات والظروف الموضوعية والتاريخية والجغرافية. وتختلف وتتعدد بالتالي سلالم وجداول ومقولات الثوابت والمتغيرات والاولويات. فماذا نعني بالثوابت؟ وماذا نقصد بالمتغيرات؟ وكيف نفهم الاولويات؟ نعتقد من مطالعتنا المحدودة للادبيات المتاحة ومعرفتنا المتواضعة بالتعاريف المختلفة والآراء المتعددة، ودون الدخول في تفاصيلها الدقيقة وجزئياتها المتشعبة، أن نظرتنا المبسطة والوجيزة الى هذه المقولات يمكن عرضها عرضاً اولياً واضحاً ودقيقاً.

ويبدو أن الثوابت هي تلك العوامل المادية والاعتبارية التي تتمتع بدرجة نسبية من الرسوخ والثبات والاستمرارية والصلابة. والارجح انها تنشأ من أسباب موضوعية. وتتولد من تطور تدريجي وتراكم بطيء في فترات تاريخية طويلة.

ولكنها إن تغيرت، فأنها لاتتغير تغيراً فورياً أو مفاجئاً أو سريعاً، ومن هنا تتمتع بعمر اطول وديمومة اكثر استقراراً من المتغيرات. ومن أبرز ظواهر هذه الثوابت مايتعلق منها بالوضع الجغرافي والتكوين البشري والتاريخي والموارد الطبيعية. وتختلف المتغيرات[1] عن الثوابت في الامن القومي بكونها أقل استقراراً وأكثر تعرضاً للانتقال من حال الى حال وحتى من ضد الى ضد احياناً، بفعل عوامل وظروف وعناصر داخلية وخارجية شديدة المرونة، سريعة التبدل، ومن أبرز هذه المتغيرات مايتعلق منها بالعلاقات السياسية والمصالح الاقتصادية والتحالفات الدبلوماسية والروابط الدولية. ومع ذلك، فان قولنا بأنها شديدة المرونة وسريعة التبدل لايعني انها تتقلب تقلباً عشوائياً اعتباطياً جامحاً، ولكنها تخضع للحسابات الدقيقة والموازنات الحساسة والاعتبارات الموضوعية.

وتتميز مقولة الاولويات بخصائص مرجحة ضمن مرحلتها، وفي نطاق الامكانات بأنها مختلفة تماماً عن مقولتي الثوابت والمتغيرات معاً. ومن اهم وأبرز خصائص الاولويات

---

(١) في هذه الدراسة لانفهم المتغيرات بدلالاتها الاكاديمية المتعارف عليها وبنوعيها الاساسيين: المتغيرات الخاضعة (أي الظاهرة المراد تغييرها) والمتغيرات المستقلة (أي الاسباب التي تغير الظاهرة الاولى)، وانما نفهمها بمعنى العوامل المتغيرة بسرعة، فقط.

أنهـا تتمتع بمـرونة مـطلقة وقـدرة قصوى عـلى الحركـة السريعة. وتتوقف كلياً عـلى الظروف والوقائـع والاحداث والتطورات، المحتملة أو المفاجئة وغير المحسـوبة. وتختلف بأختلاف الظروف والمراحل والتهديدات وحجمها وطبيعتها ودرجة خطورتها. فماذا نفهم من مقولة الاولويات بالتحديد الواضح؟ يمكننا ان نقول إن الاولويات هي سلالم ودرجات من الاهمية في ترتيب الاهداف تميز تمييزاً واضحاً ودقيقاً في كل مرحلة من المراحل بين الاهم والمهم وغير المهم، أو بين المهم والاهم والمهم الاقل اهمية ومـا ليس مهماً بـوجه من الوجوه او مقياس من المقاييس، أو بين الاتجاهات الاساسية والثانوية والطارئة، والاهداف القريبة المتوسطة في كل ظاهرة من الظواهر. وتقتضي الواقعية أن تتم مراجعة سلم الاولويات والاهداف في كل مرحلة من المراحل، لانها قد تختلف وتتغير وتتبدل بأختلاف الظروف والمراحل والحسابـات والوقائـع والاحداث[٢].

ومن هنا، قد تتقدم ثوابت على ثوابت في سلم الاولويات

---

(٢) ويـطلق بوفـر على مـانسميـه بـالاولويـات لفـظة الافضليـات. والافضليات تتميز عنده كذلك بالتبدل السريع، فضـلاً عن صعوبة تحـديد شـدتها لتبـدلها السـريع. انـظر الجنرال انـدريه بـوفر، استراتيجية العمل، تعريب المقدم هيثم الايوبي (بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر، ١٩٧٠)، ص ٧٦.

والأهداف او تتقدم متغيرات على متغيـرات في هذا السلم ايضـاً، او قد تكتسب متغيـرات درجة أعـلى من الاهميـة والخـطورة من ثـوابت في نفس هـذا السلم. ولعـل الميـزة الاوضح والسمة الابرز للاولويات أنها تتعامل مع الثوابت والمتغيرات على حد سواء، تقديماً وتأخيراً، تشديداً وتخفيفاً، في درجة ونسبة الخطورة، تعاملاً حراً مرناً مرونة مطلقة، وليست نسبية فقط، لايتقيد بغير خصائص الظروف وطبائع المراحل وحسابات المصالح والقوى وحجم وخطورة الضغوط والتهديدات. تلك هي نظرة اولية وخلاصة مكثفـة للثوابت والمتغيرات والاولويات، يمكن في ضـوئها ان نفهم الابعـاد والمستويات القـطرية والقـومية والاقليميـة والدولية للامن القومي في منظورنا.

١ . مفهومنا للامن القومي على المستوى القطري

أ. الوضع الجغرافي

يلعب الوضع الجغرافي دوراً اساسياً بارزاً وربما حاسماً في تحديد اهداف واولويات الامن القومي[٣]. ولايختلف العراق في هذا المبدأ العام عن سواه من الدول. فخصائص الوضع الجغرافي للعراق قد فرضت موضوعياً خصوصيات معينة على مفهومه للامن القومي. ولعل من اهم وابرز مايميز العراق عن الدول العربية الاخرى في هذه المنطقة من العالم، أنه الدولة العربية التي ارادها القدر القومي والمصير التاريخي ان يكون حصناً حضارياً وثغراً امامياً وخندقاً متقدماً للدفاع عن العروبة.

ومن هنا، كان وصف العراق بأنه البوابة الشرقية للامة العربية تعبيراً واقعياً دقيقاً عن هذه الظاهرة الجغرافية. وتلك هي الحقيقة الجغرافية التي فرضت على العراق واجباً

(٣) ومع هذه الحقيقة، ينبغي أن نتذكر أن نوعية التأثير الذي تتمتع به الجغرافيا، في حركة كل دولة، انما يتحدد سلباً او ايجاباً في ضوء محصلة تفاعلها مع عوامل اخرى. فالواقع الجغرافي مثلاً يصبح عاملاً سلبياً عندما تنتفي عن الدولة القدرة العسكرية للدفاع عن حدودها. والعكس كذلك صحيح.

قومياً من الناحية الاستـراتيجية، جعلتـه القلعة الامـامية المتقدمة للامة العربية على الارض في جميع مراحل وعصور التاريخ القومي. ومن أهم وابرز النتائج المادية المحسوسة التي انطوت عليها وأدت اليها هذه الحقيقة الجغرافية هي أن حدود العراق مع ايران مثلاً اطول من حدود أيـة دولة عربية مع اية دولة اجنبية تجاورها وتحاذيها على الاطلاق. فيبلغ طول حـدود العراق مـع ايـران ١١٨٠ كم. ويتميـز التكوين الجغرافي للعراق في ضوء هذا الواقع الجيوبوليتكي بما يمكن أن نسميه بالخصر النحيف الذي يصفه السيـد الرئيس القائد حفظه الله بغبن الجغرافيا(٤). ويشبه العراق مثلثين متساويي الضلعين، تتجه القاعدة الاعرض في المثلث الاعلى الى الشمال، وقاعدة المثلث الاسفل الى الجنوب، وتقع بغداد في مركز القلب من المنطقة التي يتداخل فيها الرأس المـدبب من كل مثلث مـع الآخر. وتلك هي منـطقة الخصر النحيف وغبن الجغرافيا. وتتميز الحواضر الكبرى والمراكز المأهولة والمدن الكثيفة السكان بقربها نسبياً من الحـدود وانكشافها للاخطار والتهديـدات. وتكتسب هذه الصـورة خطورة أشد واهميـة اعظم اذا علمنـا أن بغداد عـاصمة العراق تبعد عن الحدود الدولية مع ايران بمسافة ١٣٩ كم،

---

(٤) السيد الرئيس صدام حسين، نقاتل نيابة عن التاريخ لكي ينهض العرب (بغداد ـ دار الحرية للطباعة، ١٩٨١) ص ١٦.

في حين ان طهران عاصمة ايران تبعد عن الحدود الدولية مع العراق بمسافة ٨٣٢ كم.

ويبدو واضحاً ان العراق دولة شبه برية بالدرجة الاولى، لاتطل على بحار مفتوحة ومحيطات واسعة الا في منطقة ضيقة ورقعة صغيرة هي شبه جزيرة الفاو في اقصى الجنوب من العراق الذي يطل على اقصى الشمال من الخليج العربي. وتحيطه حدود مفتوحة على الارض مع دول عربية واجنبية مجاورة من جميع الجهات، الا بحر في اسفل قاعدة المثلث الاسفل الذي وصفناه كما سبق. فأذا أراد العراق مثلاً أن يصل الى البحر الابيض المتوسط لابد أن يمر بسوريا او بتركيا. واذا أراد ان يصل الى خليج العقبة للدخول الى قناة السويس من طرفه الجنوبي او البحر الاحمر من طرفه الشمالي، فلابد ان يمر بالاردن. واذا أراد ان يصل الى البحر الاحمر مباشرة في طرفه الاوسط فلابد ان يمر بالسعودية واذا أراد ان يصل الى البحر العربي او المحيط الهندي فلابد أن يمر بمضيق هرمز الذي تقع سلطنة عمان على ساحله الغربي، وتقع ايران على ساحله الشرقي، فتلعب دوراً معيناً اصبح واضحاً معروفاً للجميع. ومن دلائل غبن الجغرافيا ايضاً، أن حال العراق في الخليج العربي كحال الاتحاد السوفيتي على سبيل المثال في البحر الاسود جنوباً او بحر البلطيق شمالاً. ومن الواضح ان الخليج العربي بحيرة

مغلقة يقع مفتاحها في مضيق هرمز، تمـاماً كمـا ان البحر الاسود يعتبر بحيرة مغلقة يقع مفتاحها في مضيق البسفور، او بحر البلطيق الذي تمسك بمفتاحه المانيا الغربية والدول الاسكندنافية فتفتح او تغلق بابه المؤدي الى بحر الشمـال متى تهـوى وتشـاء في اللحـظات الحـرجـة او الظروف الحساسة. ومن هنا،فأن البصرة في الخليج العربي تشبه في موقعها من هذه الناحية ميناء سواستوبل في البحر الاسود او ميناء لينينغراد في بحر البلطيق. وتلك هي الحقيقة الجغرافية التي ادت الى نتائج استراتيجية ودبلوماسية معينـة. ومن هنا، كان العراق، سواء بسواء مثل الاتحاد السوفيتي، من الدول التي تطالب بحقوق الملاحة الحرة والتجارة المفتوحة البريئة في اعالي البحار، على خلاف ايران التي تتخذ موقفاً مضـاداً وتطالب بـالهيمنة عـلى مضيق هرمـز، فضلاً عن احلامها التوسعية بالسيطرة عـلى الخليج العـربي سيطرة كاملة. وبالاضافة الى مـاتقدم تفـرض اطلالة العراق عـلى الخليج العربي، بأعتباره منفذه البحري الوحيـد، ضرورة منع أيـة محاولة اقليمية تستهدف عرقلة حركة تجارته الدولية من ناحية، والمساهمة الجـادة، بأعتبـاره دولة خليجية، في ضمان الامن القومي العـربي في هذه المنـطقة من نـاحية اخرى.

تلك هي الخصائص الجغرافية الاساسيـة التي تتحكم

بمفهومنا للامن القومي علّى المستوى القطري. وتنطوي تلك الخصائص على بعض الملاحظات، وتؤدي الى بعض النتائج، التي سنتطرق لها ونتحدث عنها الآن بأيجاز واختصار. وفي مقدمتها ان ايران دولة لاتفوقها دولة اخرى في استمرارية حقدها وشراسة عدائها للعـراق. وسندرس هـذه الظاهرة تفصيـلاً بالوقـائـع والحقـائق والارقـام دراسـة تحليليـة واستقرائية وموضوعية ومقارنة في بند لاحق من بنود هذا البحث، يتعلق بمفهـومنـا للامن القـومي عـلى المستـوى الاقليمي، ويتطرق الى البعد التاريخي للعدوان الايراني على العراق.

ونكتفي الآن بهذه الاشارة الخاطفة والعبـارة الوجيزة. ومن اهم خصائص هذا الوضع الجغرافي للعـراق بحدوده الطويلة والقابلة للاشتعال مع ايران انه يفترض وجود قوة مركزية فاعلة ومتأهبة على الدوام، تتميز بالقدرة القصوى على المرونة الشديدة والحركة السريعة للوصول الى منطقة التهديدات اينما كانت او وجدت على امتداد هذه الحدود. لانك لاتستطيع أن تتواجد بالكثافة المطلوبة والقوة المناسبة في كل مكان وزمان على حد سواء. ولعل مايزيد ويضاعف من خطورة غبن الجغرافيا، مانجده من تفاوت كبـير واختلال واضح بين العراق وايران في عدد السكان ومساحة الارض. فيبلغ عدد نفوس العراق ١٦ مليون نسمة في حين يبلغ عدد

نفوس ايران ٤٥ مليون نسمة، وتبلغ مساحة ايران ٢٠ ؛ر٠٠٦٠ر١ كيلو متراً مربعاً في حين تبلغ مساحة العراق ٤٥٣ ألف كيلو متراًمربعا. ويبدو واضحاً ان عدد نفوس ايران يزيد بحوالي ثلاثة اضعاف على عدد نفوس العراق، وان مساحة ايران تزيد بخمسة اضعاف على مساحة العراق. وبسبب اعتقاده ان الامور تقاس بالحجوم، راهن العدو الايراني على خصائص الواقع الجغرافي والبشري لبلاده. بيد أن هذه المراهنة جعلها العقل القيادي الاستراتيجي للعراق، مراهنة خاسرة. فكما يقول السيد الرئيس القائد حفظه الله: «.. اننا منذ البداية لم نجعل من العمق السوقي لايران عبئاً ثقيلاً على اكتافنا.. (اذ) لم يكن لمساحة ايران اثر سلبي على الموازنة العسكرية.. وأثبتت القوات العراقية المسلحة.. انها قادرة على الامساك بزمام الموقف والسيطرة على الجبهة سيطرة قوية....»(٥).

والواقع ان هذا الانجاز العسكري العظيم وغيره انما ينبع من الايمان بعدالة القضية التي يحارب من أجلها العراق، فضلاً عن رؤية صافية لحقيقة مفادها ان كل مشكلة لابد ان يوجد لها حل. فالتفوق الكمي الايراني قد أدى على

---

(٥) من خطب واحاديث الرئيس القائد في قادسية صدام، الجزء الثاني، مصدر سبق ذكره، ص ٢٦٦.

الصعيد الاستراتيجي للامن القومي الى الاصرار العراقي المطلق على تحقيق التفوق النوعي الدائم. وفي ضوء ماتقدم، اخذ العقل الاستراتيجي العراقي في المواجهة مع ايران بصيغة النوعية في مقابل الكمية. ويعني مصطلح «النوعية» في مفهومنا للامن القومي ان نقوم بأستغلال وتوظيف الموارد والطاقات المتوفرة استغلالاً وتوظيفاً بشكل استثنائي يفوق قدرة العدو على الاستغلال وتوظيف موارده وطاقاته المتاحة، فضلاً عن تفجير ينابيع طاقاتنا الكامنة غير المنظورة وقوانا الدفينة غير المحسوبة.

وهكذا تنقلب النوعية بالمعنى العلمي الى كمية تفوق الكمية المعادية بالتوظيف العقلاني المنهجي المنظم المحسوب. وترجح كفة العراق على كفة ايران في ميزان المواجهة المباشرة. ومن هنا، يستطيع المجتمع العراقي الاكثر تطوراً من المجتمع الايراني على صعيد الحداثة والعصرنة والمعرفة ان يقوم بتعبئة نسبة اعلى من السكان في وقت الحرب. وفي مثال آخر، تستطيع القوات الجوية العراقية من تنفيذ عدد أكبر من الطلعات في اليوم الواحد بفعل خدمات الصيانة المتطورة والسريعة، بما في ذلك السرعة الفائقة في اعادة تسليح الطائرة وتجهيزها بالوقود وفضلاً عن ذلك، فأن القوات العراقية الاكثر قابلية على الحركة السريعة من القوات الايرانية، تمتلك القدرة على حشد قوات اكبر في

نقطة الحسم. ثم ان كتائب الدبابات وارتال الدروع العراقية تتميز بتدريباتها الدقيقة والمتواصلة، وتمتلك قدرة فائقة على اصابة الاهداف وحشد النيران على مناطق القتل. ومن هنا ايضاً، كانت الدبابات والدروع العراقية مؤهلة لتحقيق عدد أكبر من الاصابات بالعدد نفسه من القذائف اكثر بكثير من الدبابات والدروع الايرانية التي يقودها احياناً هواة مهووسون من حرس خميني. وهذا التأثير العضوي المتراكم للمزايا المتفوقة والخصائص المقتدرة والمتطورة، يوضح مانعنيه بصيغة (النوعية مقابل الكمية في مفهومنا للامن القومي). في مثل هذا الوضع الجغرافي والواقع الجيوبوليتكي، يبدو واضحاً ان العراق ليس بقادر في ظرف من الظروف على ترك الضربة الاولى للطرف الآخر والعدو المحتمل أو الفعلي، فهذا يتقاطع وذلك المثل العسكري المعروف والذي يقول: (الدفاع عن الاراضي الحيوية لايكون عليها وأنما من امامها)[٦]. وتبعاً لهذه الحكمة العسكرية التي يعكسها هذا المثل، لاحاجة بنا للقول ان الضرورة الدفاعية انما تستدعي ان تنقل الحرب الى اراضي العدو طالما أنه بدأ بها. فحدود الامن القومي اضحت اليوم، كما كانت في السابق تمتد الى خارج الحدود السياسية لكل دولة. نحن

---

(٦) انظر، نفس المصدر، ص ٢٢٩.

طلاب أمن وسـلام وأستقرار وبنـاء، ولسنا دعـاة تعصب وتطرف وعدوان وتوسع. ولكننا واقعيون ايضاً، نذكر ونعتبر بالامثال العربية السائرة التي أكدت منذ قديم الزمان (أن درهم وقاية خير من قنطار عـلاج). وفي مثل هـذا الوضع، يصبح من أهم اسس وثوابت ومصالح الامن القومي للعراق أن لايسمح على الاطلاق لقوة معادية أو دولة اخرى، كائنة ماكانت، بتخريب علاقاته الطبيعيـة والودية والمتميـزة مع الدول العربية الشقيقة، المجاورة بالاخص، بما في ذلك دول الخليج العربي، فضلاً عن جارتنـا الشماليـة الجمهوريـة التركية الصديقة، سيمـا وأن موقعهـا الجغرافي بـالنسبة للعراق يضفي عليها اهمية حيوية. ولنتذكر أن دجلة والفرات ينبعان من داخلها، وانها، فضلاً عن ذلك، تربط العراق برياً بأوربا وبحرياً بالبحر الابيض المتوسط. وقد تفاعلت اهميتها الجغرافية مع الحرص المتبادل على ديمومة وتطوير العلاقات الثنائية وبالاتجاه الذي جعل منها علاقات ايجابية. وقد قيم السيد الرئيس القائد حفظه الله هـذه العلاقـة بقوله: «ان علاقتنا علاقة صداقة اخوية بيننا وبين تركيا ليس بالتمني فحسب، وانما بالتصرف ايضاً»(٧).

---

(٧) من حديث السيد الرئيس القائد للصحافة الكويتية، صحيفـة الانباء الكويتية في ٣ / ٥ / ١٩٨٤.

ب. التكوين البشري والتاريخي للعراق:

أحدث التكوين البشري والتاريخي اثـراً واضحاً ولعب دوراً هاماً حاسماً من بعض الجوانب على الاقل، في نشوء وتطور وتحديـد المفهوم المتميز للامن القـومي. واذا كان الوضـع الجيوبوليتكي للعراق قد احتل المركز الاول من هذه الناحية، فأن التكوين البشري والتاريخي لايقل عنه اهمية وخطورة. وان احتل المركز الثاني. لايوجد بلد في العالم على الاطلاق اطول عمراً وأقدم زمناً وأعرق تاريخاً من العراق. فتاريخ تكوينه يمتد الى سبعة آلاف عـام في عمق التاريـخ الانساني. وهكذا بدأ التاريخ الانساني الشامل العام ببداية التاريخ العراقي القديم. ودخل الانسان على وجه الارض في مغـامرة مثيـرة رائعة انتهت حتى الآن بـأنفلاتـه من قوة الجاذبية ونزوله على سطح القمر واندفاعـه الى استكشاف اغوار الفضاء الكـوني الواسع الفسيـح، بخطوة طليعيـة عراقية رائدة هي الخروج من الظلام الى النور، ومن العالم الغريزي الجامح الى الوعي العقلاني المنضبط، ومن الوضـع الهمجي الى الوضـع الاجتماعي، بأختراع الكتابة وتـدوين المعرفة وتقنين التجربة واختراع الزراعة وتأسيس وبناء اول دولة في العالم، هي دولة أور. وكان من المحتوم أن يتجلى أثر هذا التاريخ الطويل الحافل واضحاً ليس فقط في كيفية تفسير

العراق للماضي في حلقاته المشرقة وتقييمه لمعطيات الحاضر ورؤيتـه للمستقبـل وانعكـاسـات ذلك عـلى دوره القـومي والانساني في المنطقـة والعالم فحسب، وانمـا على تكـوينه البشري كذلك.

فكما هو معروف، كان العراق منذ البداية بوتقة تنصهر بداخلها الحضارات والاقوام، ومطمعاً للغـزاة والفاتحـين، ومفترقاً للقارات، ومستقراً للهجرات، في العصور التاريخية القـديمة التي ختمتهـا وانهتها وتـوجتها المـوجة العـربية الاسلامية التي قررت المصير وحسمت المـوقف الى الابد. ليس العراق اذن بلداً حديث التكوين أو قليل التجربة. ومن الطبيعي أن يتأثر تكوينه البشري بالاحداث والتطورات التي وقعت على ارضه في عصور كاملة متعاقبة من الزمان. ومن هنـا، يتميز العـراق بتعـدد وتنـوع الاديـان والقـوميـات والطوائف. ولكن طابعه الثقافي العام عربي دون ادنى شك. فأكثريته تنتمي الى القومية العربية، وغالبيته تعتنق الدين الاسلامي. ومن الناحية القوميـة، يحتضن العراق قـومية كبرى اخرى هي القومية الكردية. كما يحتضن العراق ديانة سماوية ثانية بارزة هي الديانة المسيحية التي يعتنقها عدد غير قليل من ابنائه ومـواطنيه. وبـين القوميتـين العربيـة والكردية تتواجد قوميات تاريخية اخرى بأعداد أقل. وبين الديانتين الاسلامية والمسيحية تتواجد طوائف متعددة هي

من الظاهـرات التأريخيـة الاساسيـة التي رافقت هاتـين الديـانتين. تلك هي الحقيقـة التأريخيـة الواقعة للتكـوين البشـري للعراق، دون الدخـول الى التفـاصيـل الدقيقـة والجزئيات المتشعبة. فأي دور تلعبه هذه العوامل في الامن القومي؟ وأي اثر تترك؟ وأي موقف تتطلب؟ يأتي الخطر على الامن القومي والتهديد للقطر العراقي من جهود تبذلها او دسائس تحيكها جهات خارجية حاقدة ومعادية. والواقع أن هذا الحقد انمـا ينبع من ادراك هـذه القوى المعـادية ان العراق، بسبب من منطلقاته المبدئية واسس حركته النضالية واهـدافه الاستـراتيجية ودوره في رفـد حركـة الصيرورة الجديدة للامة العربية بعناصر اساسية الى امام، إنما يشكل خطراً حقيقياً عليها. وبهذا الصـدد يؤكـد السيد الرئيس القائد حفظه الله: «والله منذ أن تسلمنا السلطة حتى اليوم والمؤامرات تحاك ضدنا بأستمرار.. وكلما وضعنـا انفسنا لخدمة هذه الامة وخـدمة هـذا الوطن ازدادت المؤامـرات الخارجية شراسة وضراوة»[٨]. ومن بين هذه المؤامرات تلك التي عملت عـلى التسلل والنفاذ عبـر تلك الفجـوات التي ينطوي عليها تكوين الجسد العراقي، كما هو الحال مع غيره

---

(٨) السيد الرئيس صدام حسـين، أمتنا والمبـادىء وروح النصر (بغداد، دار الحرية للطباعة، ١٩٨١)، ص ١٢.

في كافة الدول المعاصرة قصد شق عرى الانسجام والتآزر والتآخي بين شرائح المجتمع العراقي وصولاً الى تحويل القومية، وهي حقيقة انسانية الى عنصرية وهي مرض وبيل وشر مستطير، ومحاولة تحويل الطائفة وهي ظاهرة موضوعية واقعة موجودة وقديمة ومشروعة الى طائفية تحرق الاخضر واليابس وتمزق الزرع والضرع.

وقد امتنعنا امتناعاً واعياً مقصوداً عن استخدام لفظتي (الاكثرية) و (الاقلية)، في الحديث عن القوميات والاديان والطوائف التي يتألف منها ويقوم عليها العراق. ويعود هذا الموقف الى سببين اساسيين: اولاً، لانه لايليق لا بالوطنية العراقية، ولا بالقومية العربية، ولا بالحقيقة الانسانية. وثانياً، لانه لايتطابق مع الواقع الموضوعي الحقيقي المشرف للعراق المقاتل الجديد، عراق القائد صدام حسين، الذي صهرته المعارك وامتحنته الاخطار وعركته التحديات الجسام والتضحيات العظام. فكلنا اخوة مقاتلون في مجابهة العدو، وكلنا سواسية في الحقوق والواجبات، وكلنا مواطنون متساوون في ولائنا المطلق وحبنا الدائم للوطن الحبيب، وجنود متكاتفون في جيش جرار ظافر، جيش القائد التاريخي البطل السيد الرئيس صدام حسين حفظه الله. وليس الحديث عن «الاكثرية» و «الاقلية» الا حديثاً عددياً احصائياً في المجالات والميادين التي تحتاج الى هذه البيانات والارقام

لاغير. ولكنه لايميز مواطناً سلباً أو ايجاباً ، ولايعني شيئاً على الاطلاق في الاعتبار الانساني والمقياس الحقيقي. لافضل لعراقي على عراقي الا بمقدار خدمته للوطن ومحبته للمواطنين ومايقدمه من تضحية تبدأ بالجهد وتمر بالمال وتصل الى الدرجة القصوى والرتبة النهائية وهي الاستشهاد. ولقد اثبت العراقيون قاطبة، دون استثناء ولاتمييز، تماسكهم الذاتي وتلاحمهم الابدي ومعدنهم الحقيقي، بالموقف البطولي الصابر الظافر والفعل الميداني المحسوس، الذي قطع الشك باليقين، وافحم الحاقدين، وأذهل الاعداء ونال الاحترام والاعجاب في العالم اجمع، عن جدارة واستحقاق. كلنا عراقيون، مهما تعددت اصولنا وأدياننا وطوائفنا. وكلنا ندافع دفاع الابطال عن وطننا الواحد المشترك، العراق الناهض السيد الحر المستقل المزدهر، عراقيون نحن اولاً. وعراقيون احراراً سنبقى الى الابد. وأي اعتبار آخر يأتي في الدرجة الثانية من الاولوية والاهمية والخطورة.

وقد وصف السيد الرئيس القائد صدام حسين حفظه الله هذه الخصوصيات المتعددة والمتنوعة في العراق بأنها الجوانب المشرقة والالوان الزاهية التي تزيده قوة وجمالاً ورونقاً وعنفواناً، اذ قال سيادته: «أما أن في هذا الشعب عرباً واكراداً وتركماناً وفيه مسلمون ومسيحيون وضمن

المسيحيين فرق وطوائف.. هي ألوان الحياة وكونها الوان الحياة فهي اذن من الممكن ان تكون قوة للحياة وليس ضعفاً فيها او عبئاً عليها»(٩).

واستطاع السيد الرئيس القائد حفظه الله بفضل نظرته السديدة وحكمته الثاقبة، أن يحقق انجازاً تاريخياً رائعـاً تجسد في تحويل هذه الخصوصيات على ارض الواقع، الى مصدر للقوة والمنعة والعزة والكرامة، بـدلاً من أن تكون مصدراً للضعف والانحلال والتخلف والانحـدار، كما حلم وتوهم الاعداء الحاقدون. فالعراق، وإن كان عربياً في غالبيته، وأسلامياً في اكثريته، ولكنه ليس عنصرياً، ولايمكن أن يكون كذلك، فضلاً عن أنه لايؤمن بالاستعلاء والتعالي أو العدوان والتوسع، بل يحترم القوميات الاخـرى التي وحده معهـا وجمعه بها التاريخ والوطن، وينطلق من مبدأ اخلاقي وقومي وأنسـاني اصيل يقـوم على المسـاواة المطلقـة بين جميـع المواطنين دون ادنى تمييز بين القوميات والاديان والطوائف. ونحن نلتزم التزاماً صارماً بمبدأ المساواة الذي يوحد جميع المواطنين دون تفريق على الاطلاق تحت خيمة الوطن الواحد والمصير المشترك. وبـدلاً من ان يكون هـذا الوضـع ثغـرة يتسلل منها الاعداء الحاقدون على الوحدة الوطنية والنهضة

---

(٩) حديث للسيد الرئيس القائد صدام حسين في ١٩ / ١ / ١٩٨٣.

الجديدة، اصبح الوطن قلعة حصينة منيعة وقوة واحدة موحدة متحدة في السواعد والقلوب بقيادة السيد الرئيس القائد حفظه الله، تمنع عبث العابثين وتعيد كيد الكائدين الى نحورهم. ان التكوين البشري والتأريخي للعراق ليس حملاً ثقيلاً وقيداً معيقاً، بل انه مصدر للخصب والابداع. قد انقلبت ظاهرة التعدد والتنوع من سلاح لئيم في يد الاعداء الى عروة وثقى توحد المواطنين.

ونحن وان كنا نلتزم بالحقيقة القومية، الا اننا نحارب العنصرية دون رحمة ولا شفقة. لان الحقيقة القومية والحقيقة الانسانية وجهان من حقيقة تأريخية واحدة.

كما اننا وان كنا نعترف بحقيقة الطائفة، الا اننا نحارب الطائفية دون هوادة ولاغفلة. ونضمن ليس بالنوايا فقط او الشعارات بل بالافعال والمواقف، الحقوق والواجبات المتساوية للمواطنين جميعاً على تعدد وتنوع قومياتهم واديانهم وطوائفهم. الطائفة شيء، والطائفية شيء آخر مختلف تماماً، وهي مرض ايضاً مثل العنصرية سواء بسواء.

يبدو واضحاً اذن ان التهديد الاساس والخطر الاعظم على الامن القومي في العراق من حيث التكوين البشري والتاريخي يأتي من العنصرية والطائفية. لانهما يتيحان مجالاً ويفتحان باباً للتفتت الوطني والتدخل الاجنبي. ولا

علاج الا بالوعي والمحبة والاخوة والاحترام المتبادل بين جميع المواطنين. والحقيقة ان هذا التكوين البشري والتأريخي للعراق، يوفر فرصة تأريخية نموذجية نادرة للعراق، تثبت الى الابد انسانية القومية العربية ومبادئها التأريخية العادلة وقيمها الاخلاقية الرفيعة، في تجربة فريدة ومشرفة يمكن ان تكون قدوة طيبة وامثولة حسنة للعرب الآخرين في كل مكان من الوطن الاكبر.

ج. النفط، نقلاً وايصالاً:

يعتبر النفط من ابرز نعم الله على العراق. ويعد من أهم السلع الاستراتيجية في العالم المعاصر. ولكن الجانب الذي يتعلق بالامن القومي من النفط، ليس استخراجه وتكريره وتصنيعه وتسويقه. فهذه قضايا فنية ترتبط بالقدرات والخبرات والمصالح الاقتصادية. ويمكن ادخالها بوجه عام وغير مباشر في الامن القومي من حيث الدور الذي يلعبه العامل الاقتصادي على هذا الصعيد. ونحن سوف لانتطرق في هذا البحث الى التفاصيل التي تتعلق بالنفط في الجانب الاقتصادي العام للامن القومي. ونعتقد ان الجانب الاوثق ارتباطاً من النفط بالامن القومي يتعلق تحديداً بالنقل والايصال.

في ضوء ماتقدم، وبالرجوع الى حقائق الجغرافيا يبدو واضحاً ان المنفذ البحري الوحيد للنفط العراقي يقتصر على الخليج العربي الذي تستطيع ايران دائماً ان تهدده او تقطعه متى شاءت او ارادت. ونستنتج مما تقدم ايضاً ان الجانب الاوثق ارتباطاً والاشد خطراً للامن القومي في النفط يتعلق مباشرة بالانابيب، وليس بالحقول او الاسواق. لأن الدفاع عن الحقول يدخل في نطاق الامن القومي من الناحية العسكرية فقط، كما ان العمليات الفنية الاخرى التي تتعلق بالاستخراج والتكرير والتصنيع والتسويق تدخل في نطاق الامن القومي من الناحية الاقتصادية فقط.

ونحن نركز الآن على الانابيب ونسلط الضوء على جانب واحد فقط ينحصر في النقل والايصال.

لقد تحدثنا سابقاً عن غبن الجغرافيا من ناحيتين معينتين على الاقل، هما الخصر النحيف بقرب العاصمة العراقية من الحدود الدولية، وكون العراق دولة شبه برية لاتطل على بحار مفتوحة او محيطات واسعة الا من زاوية ضيقة. ونضيف الآن، ان غبن الجغرافيا يبدو واضحاً من ناحية ثالثة ايضاً، هي ناحية نقل وايصال النفط العراقي الى موانىء التحميل ومحطات التسويق. ويبدو ان جميع خطوط الانابيب العراقية لابد أن تمر بأراضٍ غير عراقية، ولاتخضع للسيادة

العراقية، وصولاً الى تلك الموانىء والمحطات. وهي اراضٍ عربية أو غير عربيــة، مثل ســوريا وفلســطين، وفي الوقت الحاضر تركيـا والسعوديـة ايضاً. ولكن خـطوط الانابيب العراقية في الاراضي غير العراقية تخضع للظروف السياسية والتــطورات الدوليـة التي لايمكن دائمــاً التحكم بهــا أو السيطرة عليها. لم يكن يخطر على البــال ولا في الخيال ان سوريا مثلاً ستقطع انابيب النفط العراقي والعراق يتعرض الى عدوان ايراني. لقد جاء هذا الموقف السوري الخياني تمــاماً عــلى النقيض من الموقف الســوري الوطني في سنة ١٩٥٦. فما أوضح الاختلاف بين الموقفين، وما اعظم الفرق بين المثالين. لقد كان النفط العراقي حينذاك حكراً للطرف الاجنبي الذي شارك في العدوان الثلاثي على مصر بعد تأميم قناة السويس. ولكن النفط العراقي بعد تأميمه سنة ١٩٧٢ قد اصبح ملكاً للشعب العراقي الذي يتعــرض منذ ســنــة ١٩٨٠ الى عدوان ايراني صــارخ مكشوف. فلمــاذا تقطع سوريا خط الانابيب دعماً للطرف الاجنبي في عدوانــه على العراق؟ ليس من شك، بعيداً عن الشعارات الفارغة الجوفاء والتخريجات الغبيــة الحمقاء، ان هــذا الموقف لايمكن أن يكون بأي مقياس من المقاييس القومية الا مــوقفاً خيــانياً سافراً مكشوفاً مجللاً بعار الخيانة القومية الى الابد. ولكن هذا الموقف في حد ذاته قد أدى بالعراق الى قرار حاسم يقضي

بتنـويع وتعـدد خطوط انـابيب النفـط عبـر أراضي الدول المجاورة. ومن هنا، ظهـر الى الوجود الخـط الاستراتيجي التركي والخط الاستراتيجي السعودي. لأنه الحل الصحيح والامثل على صعيد الامن القومي. فكلما كانت فسحة البدائل اوسع، كلما كانت فسحة الضغـوط اضيق. وكلما تعـددت خـطوط انابيب النفـط العراقي وتنـوعت الدول التي يمـر بأراضيها، كلمـا صغرت مصـداقية التهـديدات وضعفت فـاعليـة الاخـطار وازدادت فـرص انسيـابيـة وسيـولة واستمرارية النفط العراقي في الوصول الى محطات التحميل وموانيء النقل على البحرين الاحمر والابيض المتوسط.

ولرفد هذا الحل الصحيح بعنصر فاعل مضاف، لا حاجة بنا للقول أن دواعي الحكمة تقتضي الحرص على بناء وتطوير شبكة واسعة من المصالح المتبادلة لاغراض دعم وتكريس التعـاون القائم بـين العراق وتلك الدول التي يمـر النفـط العراقي عبر ارضيها. ففوائد مثل هذه الشبكة في الحاضر والمستقبل، على العراق والبلدان التي يمر من خلالها نفطه، لا تنكر.

والواقع أن التفكير بسياسة النـوافذ المتعـددة لتسويق النفـط العراقي لم يبـدأ خلال فتـرة الحرب، وانمـا قبلها بسنوات عديدة. فحرص السيد الرئيس القائد حفظه الله على

تحرير النفط العراقي من احتمالات الضغوط والابتزازات الخارجية، وضمان ديمومة انسيابيته عبر منافذ تسويقية متعددة انما يعود الى فترة ماقبل قرار التأميم التاريخي في عام ١٩٧٢. فهذا القرار الذي جعل «الاستقلال الوطني الحقيقي للعراق (يبدأ) يوم واحد حزيران...»[١٠]. حرر الثروة النفطية العراقية من تبعيتها السابقة للاحتكارات النفطية العالمية، ورتب، تبعاً لذلك، للعراق ثروة مالية عالية.

وقد هيأت هذه الثروة المستلزمات المالية الضرورية لترجمة سياسة النوافذ المتعددة لتسويق النفط العراقي الى واقع ملموس. ومما عجل في ذلك السياسة الابتزازية، التي انطلق منها النظام السوري في تعامله مع العراق بعد قرار تأميم النفط، ويلخص السيد الرئيس القائد حفظه الله هذه السياسة بقوله «... وبأختصار عام ١٩٧٢ اممنا النفط وبعد التأميم قالوا لن يمر نفطكم الا بعد مضاعفة العائدات. قبلنا مرغمين حتى لايفشل التأميم.. وعندما يلدغ المرء لابد ان يفتش عن حالة حتى لاتتكرر ثانية...»[١١].

---

(١٠) من خطب واحاديث الرئيس القائد صدام حسين في معركة قادسية صدام، الجزء السابع، مصدر سبق ذكره، ص ٦٨.

(١١) من خطب واحاديث الرئيس القائد صدام حسين في معركة قادسية صدام، الجزء الرابع،مصدر سبق ذكره، ص ٢١٠.

وفي ضـوء ماتقـدم، اصبح للعـراق بعـد عـام ١٩٧٥، بالاضافة الى نافذة التصدير عبر سوريا ولبنـان الى البحر المتوسط، ونافذة التصدير عبـر الخليج العـربي، نافـذتان اضـافيتان لتصـديـر النفـط العـراقي: الاولى هي الخـط الاستـراتيجي[١٢] الذي ينقل النفـط العـراقي من حقـوله الشمالية الى نقطة التحميل في ميناء البكر عبر ٨١٠ كم من حديثة الى الفاو. وقد بدأ هذا الخط بالعمل في عام ١٩٧٥.

ويعمل هذا الخط بأتجاهين: ضخ نفط الشمال الى الجنوب. وضخ نفط الجنوب الى الشمال عبر خط تم مده لاحقاً، هو الخط العراقي ـ التركي[١٣]. اما النافذة الثانية، فهي هـذا الخط، الذي ينقل النفط العراقي من حقوله الشماليـة عبر الاراضي التركية الى ميناء دوريتول على البحر المتوسط. وقد بدأ هذا الخط بالعمل في أوائل عام ١٩٧٧.

---

(١٢) مجلة النفط والتنمية، الخط الاستراتيجي، عـلامة بـارزة في تاريخ صناعة النفط الانتاجية، العدد (٥) شباط، ١٩٧٦.

(١٣) مجلة النفط والعالم، انبوب النفط العراقي ـ التركي، العـدد ٢٧ /ايلول ١٩٧٥.

د. الاطار الاستراتيجي للدفاع عن العراق:

ابتداءاً، تجدر الاشارة الى ان العراق دولة محبة للسلام. ولذلك تحرص على تغليب الصيغ السلمية (الدبلوماسية) على الصيغ الاكراهية (استخدام القوة) لتسوية المشاكل مع غيرها(١٤).

ولكن عندما تتعرض القيم والمصالح الاساسية، الوطنية والقومية، للتهديد والخطر وتفشل الصيغ السلمية لحلها، لايتوانى ولايتردد في اللجوء الى استخدام القوة ضد الطرف الاجنبي دفاعاً عن النفس ورداً للعدوان، فضلاً عن دفع الطرف المعتدي الى الندم جراء عدوانه. يقول السيد الرئيس القائد حفظه الله: «... اننا لانريد الحرب، ولكن الحرب حينما تفرض علينا فأننا سنخوضها بكل ابعادها ونثبت لمن يحاول الاعتداء علينا ان ثمن ذلك كبير»(١٥).

وفي ضوء ماتقدم، يبدو واضحاً ان من اخطر اسس

---

(١٤) لقد قال السيد الرئيس القائد حفظه الله «نحن مع الدبلوماسية بشرط ان لاتضيع علينا حقوقنا، ونحن مع السلاح اذا لم يكن من حمل السلاح بد»، السيد الرئيس صدام حسين، نضالنا والسياسة الدولية، ص ١٢.

(١٥) نقلاً عن صحيفة الثورة ـ بغداد ـ في ١١ / ٩ / ١٩٨٠.

وثوابت الامن القومي على المستوى القطري هو قرار الحرب والقيام بالفعل الدفاعي العسكري. ان القرار بـأختيار السلام لايحتاج الى شروح وايضاحات. ولكن القرار بالدفاع عن الوطن وسيادته وحريته وكرامته واستقلاله، او دفاعاً عن الامة العربية وارضها وحقها في الحياة، يـرتبط ارتبـاطاً مباشراً وثيقاً بمفهومنا للامن القومي. مع ذلك، ونظراً للواقع الجيـواستراتيجي للعـراق، يبدو جليـاً ان قـرار الحـرب الدفاعية والدخول في صراع مسلح لايمكن ان يكون ترفاً، ولايمكن ان يتخذ تسرعاً أو جزافـاً. ولعل المبـدأ الاساس الذي من المفيد ان يؤخذ في الحساب الدقيق والواعي، والى سنوات طويلة قادمة، ربما يمكن تحديده اختصاراً وايجازاً كما يلي:ـ

من المعروف أن الفكر الاستراتيجي العسكري لايميل الى تحبيذ دخول الدولة، أية دولة، وقد تستثنى من ذلك احياناً الدول العظمى، في حرب مع دولتين وعلى جبهتين مختلفتين جغرافياً. وينطبق بداهة ماتقدم ايضاً على العراق. بيد ان تلك الحقيقة التي مفادها ان «... مبادئنا في الحياة ونظرتنا للقيم العليا لاتتغير...»* متفاعلة مع الالتزام بالأمن القومي

(*) من خطاب السيد الرئيس القائد صدام حسين حفظه الله لدى استقباله مجموعة من الطلبة العراقيين المقيمين في الكويت، انـظر، مثلاً، صحيفة العراق، العدد ٥٣٢٧ في ٣٠ / ٨ / ١٩٨٧.

العربي، ككل لايتجزأ، وكذلك مع التطلع نحو ضمان ديمومة حالة قادرة وقوة مؤهلة للقتال شرقاً او غرباً دفاعاً عن حريته وامنه معاً.

ولنتذكر بهذا الصدد، كيف ان العراق أصدر في السابع من تشرين الاول عام ١٩٧٣ بيانا أكد فيه استعداد العراق لحل المشاكل مع ايران بالطرق السلمية. وهو البيان الذي سهل ارسال القوات العراقية الى سوريا وحماية دمشق من السقوط وايقاف الزحف الصهيوني على الاراضي السورية، فضلاً عن انه ساعد لاحقاً على توقيع اتفاقية آذار ١٩٧٥ مع شاه ايران في الجزائر بمبادرة من الرئيس بومدين (رحمه الله) والواقع ان اتفاقية الجزائر كانت قراراً شجاعاً وحكيماً وقراراً وطنياً وقومياً. ويقيم السيد الرئيس القائد حفظه الله هذا القرار بقوله المأثور: «لقد انقذ ذلك القرار، في ضوء تلك الظروف، العراق من مخاطر جدية كانت تهدد وحدته وامنه ومستقبله و (أتاح) الفرصة لشعبنا للمضي في ثورته، والمضي في عملية البناء والنهوض والوصول الى مستوى عال من القوة والتقدم والرفاهية، يحفظ شرف العراقيين وسيادتهم، ويضع العراق القوي المقتدر على طريق خدمة الامة العربية ورسالتها العظيمة. ولم يكن القرار استسلاماً لواقع مرير، رغم ان الواقع كان مريراً وخطيراً. وانما كان اعتلاء لصهوة

الواقع بفعل قيادي مقتدر ومتوازن مع حسـابات الظروف والامكانات»[١٦].

وتعكس مشاريع السلام التي عرضها العراق على ايران، ابتداءاً من الايام الاولى للحرب ٢٨ / ٩ / ١٩٨٠ وصعوداً الى الآن، والتي قابلها حكام ايران بالرفض والاصرار على العدوان، تعكس النوايا الحقيقية والصادقة للعـراق حيال خيار السلام والحرص على حسن الجوار. فبسبب الجوار الجغـرافي لايستطيـع العراق ان يتجـاهل ايـران. وايران بدورها، وللسبب ذاته، لاتستطيع أن تتجاهل العراق. وتبعاً لذلك يصبح تعايشهما كجيران[١٧] هو البديل. ولايخفى ان الكيان الصهيوني، كطرف معاد للعراق وللأمة العربية، يقف وغيره، وراء دفع العدوان الايراني الى فرض الحرب ضد العراق واصراره على استمرارها. فهو يدرك ان مشاغلة [١٨]

---

(١٦) من خطب واحاديث السيد الرئيس القائد صدام حسـين في القوات المسلحة ومعركة قادسية صدام، الجزء الاول، مصدر سبق ذكره، ص ٨٥.

(١٧) من خطب واحاديث الرئيس القائد صدام حسين، في معـركة قادسية صدام، الجزء الثامن (بغداد: وزارة الدفاع، مديرية التوجيه السياسي، ١٩٨٧) ص ٢٠.

(١٨) وحرص الكيان الصهيوني على ديمومة علاقته مع ايران، والتي=

العراق ومحاولة استنزاف قدراته انما يمنعه من اداء دوره القومي في الوطن العربي بالوقوف مع الدول العربية الشقيقة صفاً واحداً للدفاع عن الحقوق والمصالح العربيـة العليا. ولولا الدور الذي يقوم به النظام الايراني الحالي بالنيابة عن الصهيونية العالمية والاستعمار الجديد، لما استطاع الكيان الصهيـوني أن يعتدي عـام ١٩٨١ على المفـاعل النـووي العـراقي المخصص، كما هـو معروف عـالميـاً، للاغـراض السلمية، ولا أن يحتل جنوب لبنان عام ١٩٨٢ بتلك السرعة والسهولة.

وقـد نشـرت جـريدة الثـورة العـراقيـة سلسلة من الافتتاحيات، تتألف من اربع حلقات، تعليقاً على مقال هام كتبه السيد الرئيس القائد صدام حسين حفظه الله، بعنوان (بعض ما هو قبل الحرب واثناءها)(١٩) كانت قد نشرته تلك

= ترجع الى الخمسينات لايختلف عن حرصه على علاقته مع اثيوبيا. ففي اشغال العرب بهذه الامم يكمن السبب. من خطب واحاديث الرئيس القائد في معركة قادسية صدام، الجزء السابع، مصدر سبق ذكره، ص ١٧٦.

(١٩) السيـد الرئيس صدام حسـين،(بعض ماهـو قبـل الحـرب واثناءها) (وقد نشر هذا المقال في جريدة الثورة ١٩٨٧/٧/٦) دار الحرية للطباعة، ١٩٨٧.

الجريدة بتاريخ ٦ / ٧ / ١٩٨٧. وكـانت الحلقة الثـانية بعنـوان (الصـراع العـربي الصهيـوني وبنـاء القـوات المسلحة). وقد أولت الموضوع الذي طرقناه في هذا الجزء من البحث اهتماماً بارزاً. وأفادت مـايلي بـالحرف الواحـد في فقرات مـختارة: «... فأن (اسرائيل) كانت تنظر لاعتبارات معروفة الى أي تطور سياسي في العراق بغير ماتنظر الى أي تطور سياسي في اقطار لاتقع معها على التماس الجغرافي. وقد ازداد قلقها من العراق بعد صعود حزبنا العظيم الى السلطة وبعد ان ادركت الجدية التي يوليهـا الحزب لبنـاء القوات المسلحة بناءً رصيناً.

وقد أولت الثورة الاهتمام المركز لبناء القـوات المسلحة بوجه خاص بعد نجاح تأميم النفط وتزايد مواردنا المالية.

ومع هذا فقد اتخذ العراق الخطوات اللازمة بما لايجعل برنامج التسليح للقوات المسلحة يتأثر سلبياً. وسارت الامور وفق ماهو مخطط لها، واستمر السلاح يتدفق على العراق، سواء كان التسليح من مصادر شرقية أو غربية، وكـان في مقـدمة الاعتبـارات التي ساعـدت عـلى ذلك، السيـاسـة الخارجية الصحيحة التي انتهجها العراق، وتطور نـظامه كحالة واقعية وجدية في المنطقة، تحظى بالاحترام، وامكانية العراق على دفع ثمن مايشتريه من سلاح، وقدرته على اختيار

البدائل ضمن الشرق او ضمن كتلة الغرب نفسها. وفي اطار من الجدية التي عرف بها نظامنا، تم بناء قوات عراقية مسلحة مدربة تدريباً جيداً، ومسلحة تسليحاً جيداً. ونظراً لاعتبارات المنطقة والاعتبارات القومية فأن أياً من المعنيين بالسلام والحرب لايمكن أن يغفل هذه الحقيقة في حساباته، ولايمكن ان يغفل حقيقة ان نظامنا اصبح يكتسب وزناً متطوراً من التأثير في المحيط الدولي والعربي وعدم الانحياز.

وطبقاً لهذا التحليل، وما يتصل به من اعتبارات، فقد اصبحت القوات المسلحة العراقية هدفاً للكثير من القوى والمصالح والدول، بعضها ضمن المنطقة وبعضها من خارجها، وكلها تسعى منفردة، او حيثما امكن التنسيق وتوحيد الجهود مع الآخرين، الى اضعاف معنويات الجيش العراقي، وتحطيم تجهيزاته واسلحته التي هيأها عبر اكثر من عشر سنوات، وقد كان لسان حالهم يقول: أن لم نتمكن من النظام ككل، فعلينا ان نسعى لننال من جيش العراق، وبعضهم يمنّي النفس، وطبقاً لتجارب في الوطن العربي والعالم الثالث، لأن يطور الاذى الذي يلحقه بالقوات المسلحة العراقية، ليرتد على النظام ككل، ويدخل العراق، مرة اخرى، في حلبة عدم الاستقرار والانقلابات التي عجت في أروقة الدهاليز انظمته المتعاقبة بعد ثورة تموز عام ١٩٥٨ وحتى ثورة تموز عام ١٩٦٨.

ورغم ان القوات المسلحة العـراقية خسـرت الكثير من الاسلحة والمعدات اثناء حرب امتـدت الى السنة السـابعة حتى هذا التاريخ، وسالت الدماء الطهور انهاراً، دفاعاً عن المبادىء والمقدسات العظيمة، فقد ازداد هاجس (اسرائيل) من القوات المسلحة العراقية اتساعاً وعمقاً، ذلك لأن جانباً اساسياً من تفوق (اسرائيل) على العرب في المنازلة العسكرية قـد ارتكـز الى مـا اكتسبـه المـؤسسـون الاولون لجيش (اسرائيل) وقادته من تجربة عن الحرب العالمية الثانية، وما توارثه عنهم الآمرون والقادة اللاحقون وهو ماكان يفتقده العرب، بالاضافة الى عوامل اخرى.

وقد اكسبت السنوات السبع من الحرب القوات المسلحة العراقية خبرة قل نظيرها، مما سيجعل كل خـطوة في بناء القـوات المسلحة، وفي التصـرف، مغمسة بهـذه التجربـة العميقة، بالاضافة الى ان القوات المسلحة قد ازداد حجمها وتحسنت نوعيتها اثناء الحرب، وتطور سلاحها كماً ونوعاً حتى اصبح، بكل المقارنات افضـل بكثير ممـا كانت عليـه القوات المسلحة قبل الحرب.

لذلك فقد اصبحت نتائج الحرب عبئـاً على (اسـرائيل) والصهيونية العالمية، نظراً لفشل آمالها في تحـطيم القوات المسلحة العراقية، أو اسقاط النظام في العراق، بمـا يجعل

العراق وقواته المسلحة تحت تـأثير كـل العوامـل السلبية وارتداداً الى الخلف لعقود من السنين.

ورغم ان الكثير من هواجس القوى، مما ذكرنا، من داخل وخارج المنطقة، قد بقي على ماهـو تجاه القـوات المسلحة العراقية واقتـدارها الا ان بعضهـا قد ادرك، ومن خـلال تفحص سيـاسة العـراق ونياتـه، طيلة سبع سنـوات من الحرب، ان قدراً غـير مؤذ من الاقتـدار للقوات المسلحـة العراقية أمر لامفر منه، لتشارك ضمن سياسة توازن ما لابد منها في المنطقة، وبما يحفظ الامن والاستقرار، امام مفاجآت شريرة وغير مسؤولة، وامام اطماع غير منضبطة، كما حصل في تجربة نظام حكم خميني»[٢٠].

هـ. الوجه القطري من الاعلان القومي:

قبل العدوان الايراني على العراق في ٤ / ايلول / ١٩٨٠، اعلن السيد الرئيس القائد حفظه الله في ٨ شبـاط ١٩٨٠

---

(٢٠) افتتاحية جريدة الثورة، بغداد، العدد (٦٢٥٢) الصادر بتأريخ ٨ / ٧ / ١٩٨٧، ص ٣.

الاعـلان القومي[٢١]. وبـالاضافـة الى ان الاعلان القـومي ينطوي على جوانب قومية ودولية، الا انه ينطوي كذلك على وجه قطري والتزام عراقي بتنفيـذ بنوده حتى لو ان دولة عربية او اخرى لم تلتزم به او تستجب له، او حتى لو خرقته خرقاً سافراً مكشوفاً بالوقوف علناً مع دولة اجنبية معتدية على العراق متخذة بذلك موقفاً خيانياً من الحقيقة القومية والاسس التاريخية للتضامن العربي ووحدة المصير العربي. فالعراق يتمسك بالعروة الوثقى عربياً واسلامياً مهما كانت التكاليف والتضحيات وبغض النظر عن مواقف الآخـرين.

لانه يراهن على المستقبل الزاهر والواقع الافضل الذي ينتظر الامة العربية في الحقب التالية. فكما يؤكد السيد الرئيس القائد حفظه الله «نحن نراهن على نتائـج العمل السـوقي والستراتيجي اكثر مما نراهن على التكتيك»[٢٢]. ومن هنـا، نستطيع ان نفهم، مثلاً، لماذا لايمكن ان يقف العراق، في اي

---

(٢١) النص الكامل للاعلان القومي مثلاً في صحيفة الجمهـورية، بغداد، العدد (٣٨٢٤) في ٩ شباط ١٩٨٠ .وقد صدر بشكل كراس مستقل في حينه.

(٢٢) من نص كلمة السيد الرئيس القائد خلال لقائه الوفود المصرية، المنشورة في جريدة الجمهورية، بغداد، العدد (٥٤٢٦) في ١٢ / ٧ / ١٩٨٤.

حال من الاحوال ولاي سبب من الاسباب، مع دولة اجنبية ضد دولة عربية كائناً ماكان نظامها القائم وموقفها من العراق. ويؤكد السيد الرئيس القائد حفظه الله بهذا الصدد، «.. اننا ننصح العربي ان لايتصرف بسوء الى أي اجنبي ولكن عندما يحاول الاجنبي ان ينهك سيادة العربي وكرامته او مصالحه او أمنه نقف دائماً الى جانب العربي بالسلاح[٢٣].. وبموجب هذا المبدأ الثابت من مبادىء الامن القومي في العراق لايمكن ايضاً ان يشهر السلاح العراقي في وجه عربي او ان يسدد الى صدره، ذلك لاننا من الناحية المبدئية وبشكل عام نرفض ان يراق دم عربي بسلاح عربي مهما كان لون النظام»[٢٤]. ولنتساءل، في ضوء ماتقدم، لماذا هذا الالتزام العراقي بالمصير العربي الواحد؟ ويأتيك الجواب ببساطة واختصار، وهو: ان التزام العراق انما ينبع لانه، من ناحية، دولة حزب البعث العربي الاشتراكي وان انماط حركته تعبر بالتالي عن عقيدة الحزب وضميره واهدافه القومية. ولانه، من الناحية الثانية، وكبقية الاقطار العربية، ليس له، استراتيجياً، من ظهير مؤثر وسند فاعل الا نفسه

(٢٣) السيد الرئيس صدام حسين، ارادة الانسان العربي بعثت في العراق (بغداد، دار الحرية للطباعة، ١٩٨١)، ص ٣٧.

(٢٤) من نص حديث السيد الرئيس صدام حسين لمجلة المستقبل (بغداد، مطبعة الفرات، بلا تاريخ)، ص ٣٥.

وشعبه وموقفه وجهده وصبره وجهاده اولاً، وامته العربية وتاريخها القومي وتراثها الثقافي ودعمها المادي والمعنـوي ثانياً. فالعمق الحقيقي الوحيد، حضارياً وجغرافياً وتاريخياً، للدفاع استراتيجياً ليس سوى العراق وطناً وشعباً، مقروناً ومعززاً بالتضامن العربي والانتماء القومي.

وقد خاطب السيد الرئيس القائد حفظه الله وفود مؤتمر العمل العربي في اجتماعهم العاشر في بغداد، قائلاً: «اننا.. نحتاجكم لاننا جزء منكم.. نحتاجكم للاقتدار المشترك وليس لمعالجة ضعف في العراق وانما من اجـل النهوض بـالدور التاريخي للامة الذي لايمكن النهوض به الا عندما نكون معاً بروحنا قبل مكاننا وضمائـرنا قبـل ايدينـا وبالفعل قبـل الكلام»(٢٥).

تلك هـي اسس وثـوابت مفهـومنـا للامن القـومي عـلى المستوى القطري.

---

(٢٥) من خطب واحاديث السيد الرئيس القائد في معركة قادسيـة صدام، الجزء الثالث، مصدر سبق ذكره، ص١٦٤.

٢. مفهومنا للامن القومي على المستوى العربي

اتفق الخبراء واجمع المعنيون ان الامن القومي في الوطن العربي كل لايتجزأ. ومال الجميع الى التأكيد على انه حقيقة مصيرية مشتركة لاتختلف ولاتتعدد في اسسها ومتغيراتها احياناً ربما تختلف اختلافاً طفيفاً بفعل الخصوصيات القطرية والضرورات المحلية. واذا راجعنا تاريخ الامن القومي العربي في النصف الثاني من القرن العشرين، فلربما امكننا ان نشخص تشخيصاً واضحاً ودقيقاً اصل الازمة واساس المشكلة التي تعرض لها وعانى منها وتضرر بها تضرراً كان احياناً خطراً فادحاً ينذر بأوخم العواقب وأسوأ النتائج. لاعلاج بدون تشخيص، ولا حل بدون تحديد واضح ودقيق للمشكلة. وكلما كان التشخيص ادق والتحديد اوضح، كلما كان العلاج افضل وانجع والحل اصح وأصوب. دعونا اذن نستفهم عن المعالم البارزة والجذور الحقيقية للمشكلة الاساسية في الامن القومي العربي، أي أمن الوطن العربي من المحيط الى الخليج.

لو القينا نظرة فاحصة على مسار الوقائع وتطور الاحداث في الاربعين عاماً الماضية، فماذا نرى؟ وماذا يمكن ان نستنتج؟ يبدو واضحاً ان الامن القومي العربي كان ضحية

التنافر بين المصالح المتضاربة والاتجاهات المتعاكسة في حقلين اساسيين من حقول الحياة القومية العربية:ـ

الاول: اختلاف وتعدد الايديولوجيات الرسمية والانظمة الحاكمة في الدول العربية وبتوجهات متعصبة ومتعادية.

الثاني: اختلاف وتعدد العلاقات الدولية والارتباطات الخارجية للدول العربية بأتجاهات متضاربة ومتعادية ايضاً، بحيث انعكست الصراعات الدولية والعداوات بين الدول الاجنبية وخصوصاً الكبرى على العلاقات بين الدول العربية، واحدثت اثراً سلبياً سيئاً على امنها القومي الذي يفترض ان يكون واحداً ومشتركاً، بصيغة مرنة وبالحد الادنى على الاقل، وليس بصيغة مطلقة او متشنجة.

وقيادتنا الحكيمة في العراق، مع انها تدرك، ان عالم اليوم اضحى يتميز بالتفاعل الوثيق بين السياسة الداخلية والخارجية والسياسة الدولية[٢٦]، بيد انها لاتقر ان تتحول الصداقات مع الدول العظمى الى تبعية لها او التصرف

---

(٢٦) يؤكد السيد الرئيس القائد حفظه الله «لايجب ان نخدع انفسنا فنهمل معرفة اهمية وضرورة العوامل الدولية، في تأثيراتها على النضال الوحدوي ومجمل نضالنا القومي والوطني...»، نضالنا =

بالنيابة عنها(٢٧). ولكنها تدرك، في نفس الوقت ان تعدد وتنوع علاقات الدول العربية مع الدول العظمى والكبرى خصوصاً ليس بالضرورة عامل ضعف، وانما عامل يمكن ان يرفد الامن القومي العربي بالقوة، وبالذات اذا احسنت الاقطار العربية استثمار الفرص التي تتيحها تلك العلاقات، واذا لم تدفعها بأتجاهات معادية للصالح العربي العام والامن القومي المشترك. فالامن القومي ليس من شأنه ان يعترض على وجود تلك العلاقات واستمرارها وتنوعها وتطورها الى الاحسن. فكما اكد السيد الرئيس القائد حفظه الله «قد لايكون من المصلحة اصلاً ان يكون الجميع اصدقاء دولة واحدة واعداء للدول الاخرى»(٢٨). بل ان المصلحة تكمن في

= والسياسة الدولية، (بغداد: دار الثورة للطباعة، ١٩٧٧)، ص ١٧.
فضلاً عن ذلك يؤكد سيادته قائلاً: ان «... عوامل التكوين في السياسة الدولية يشارك فيها الجميع اما كعوامل مساعدة اوكعوامل اساسية، كل من موقعه وحسب ظروفه وقدراته على التأثير»، نفس المصدر، ص ١٤٧.

(٢٧) للمزيد من المعلومات راجع حديث السيد الرئيس القائد الى مجلة الوطن العربي (بغداد: منشورات مديرية التوجيه السياسي في مديرية الشرطة العامة، بلا تاريخ)، ص ١٤.

(٢٨) من خطب واحاديث السيد الرئيس القائد في معركة قادسية صدام، الجزء الثاني، مصدر سبق ذكره، ص ١٩٧.

ان تكون علاقاتنا جيدة مع كل الدول التي تحترم حقوقنا الوطنية والقومية سواء كانت هذه الدول غربية او شرقية او من بلدان العالم الثالث[٢٩]. فخسائر سياسة العزلة أو الانغلاق، في عالم اليوم هي اعلى من ارباحها.

ونعود الى ظاهرة اختلاف وتعدد انظمة الحكم في الدول العربية. ونعتقد ان هذه الظاهرة ايضاً ليست بالضرورة ظاهرة سلبية. بل يمكن ان تخدم الاسس العامة والثوابت الراسخة والمصالح المشتركة للامن القومي، لو استخدمت استخداماً صحيحاً بأتجاه تلك الاسس والثوابت والمصالح، وليس بالضد منها او بأتجاه ينم عن العداء لها. وليس من شأن الامن القومي ان يحارب او يعادي هذه الظاهرة مادامت تتواجد في دائرة المصلحة العربية المشتركة وتعزيز الامن القومي وتأكيد التضامن العربي. اوبعبارة اخرى، أن المصلحة القطرية لايمكن اطلاقاً ان تكون نقيضاً او بديلاً للمصلحة القومية. لانها بالضرورة جزء من كلها، ورافد من روافدها، لايصب في النهاية الا في مجراها العريض الواسع.

ومن هنا، كان السيد الرئيس القائد حفظه الله يؤكد في كل مناسبة ان الوطنية لاتنفي القومية، وان الانسان العربي

---

(٢٩) المصدر السابق، الجزء الثالث، ص ٢٣٧.

لايمكن ان يكون قومياً حقيقياً بالفعل الا اذا كان وطنياً حقيقياً بالفعل، تماماً كما انه لايمكن ان يكون قومياً صادقاً الا اذا كان وطنياً صادقاً ايضاً. تلك هي اذن المشكلة في ابرز معالمها واوضح صيغها. وقد تلمست قيادتنا اسباب الخروج من هذه المشكلة، وبدأت تطرق ابواب النجاح في حلها وعلاجها. وذلك من خلال الدعوة الى اعادة بناء اسس التضامن العربي على نحو جديد يكفل وقوف الجميع مع الجميع في كل الاحوال والظروف وبالاتجاه الذي يساعد العرب على تعزيز استقلالهم والتعبير عن خياراتهم بشكل حر. وفي ضوئه دعت العرب جميعاً الى كلمة سواء توحد سواعدنا وقلوبنا وصفوفنا وتصون حقوقنا وكرامتنا وحرياتنا، وتشدنا الى بعضنا البعض كالبنيان المرصوص الذي يقف سداً منيعاً بوجه الحاقدين والطامعين والاعداء. تلك هي الروح التي عبر عنها السيد الرئيس القائد بقوله:

«انا فارس بين الفرسان ولست الفارس الوحيد، وسيف بين السيوف ولست السيف الوحيد».

وكان يعني بقوله الذي اصبح المبدأ الاساسي للامن القومي في العراق ان خصوصية المرحلة وطبيعة الواقع العربي معاً لايمكن اطلاقاً ان تبرز القيادة القومية الفردية للامة العربية، وان القيادة الوحيدة الممكنة والمطلوبة

والقادرة على الفعل والتأثير هي القيادة الجماعية المشتركة التي تضم كل الحكام العرب، وتجمع كل ملوكهم ورؤساء دولهم، اخوة متضامنين متحابين، رحماء بأوطانهم اشداء على اعداء امتهم. وقد نظرنا في ارجاء وطننا العربي الكبير، فلم نجد وثيقة واحدة تعبر عن هذه المشاعر والقيم والطموحات المشرقة والنبيلة توازي او تضاهي الاعلان القومي[٣٠]، الذي قدمه السيد الرئيس القائد حفظه الله الى الامة العربية بتاريخ ٨ شباط ١٩٨٠، اي قبل وقوع العدوان الايراني على العراق وقبل اضطرار العراق الى الرد عسكرياً رداً رادعاً وحاسماً اضطراراً دفاعاً عن النفس والحق والوطن. وقد اوضح الاعلان القومي انه صدر في ضوء الاوضاع الدولية، واحتمالات تطورها في المستقبل تطوراً يعرض السيادة العربية والامن القومي الى اخطار فادحة وتهديدات رهيبة. ثم انه لم يتخل عن مسؤولية الالتزام بدواعي الامن والعدل والسلام والاستقرار في العالم اجمع، كما سنرى. وقد اراده العراق ميثاقاً اخوياً ينظم العلاقات

---

(٣٠) تضمن الاعلان القومي ثمانية مبادىء تعكس بمجملها استراتيجية قومية رمت الى خلق اجماع قومي عربي على من اين تبدأ والى اين تنتهي حدود الامن القومي العربي. في نص الاعلان، ارجع الى جريدة الجمهورية بغداد، مصدر سبق ذكره.

القومية بين الدول العربية تنظيماً واضحاً ودقيقاً يقوم على مبادىء اساسية للامن القومي على المستوى العربي. كثيرة هي البنود التي انطوى عليها والتزم بها الاعلان القومي.

وقد اشرنا فيما سبق الى الوجه القطري والالتزام العراقي بهذا الاعلان في حديثنا عن مفهومنا للأمن القومي على المستوى القطري. ولكننا في حديثنا الآن عن مفهومنا للامن القومي على المستوى العربي، سنركز البحث ونسلط الضوء على بندين اثنين بالذات من بنوده، يرتبطان ارتباطاً وثيقاً ومباشراً بالموضوع الذي نقصده والمفهوم الذي نعنيه. هما البند الثاني والبند الرابع على التوالي.

دعونا نبدأ بالبند الثاني الذي يقول في منطوقه المعلن مايلي بالحرف الواحد: «تحريم اللجوء الى استخدام القوات المسلحة من قبل أية دولة عربية ضد اية دولة عربية اخرى، وفض اية منازعات يمكن ان تنشأ بين الدول العربية بالوسائل السلمية وفي ظل مبادىء العمل القومي المشترك والمصلحة العربية العليا». ماذا يعني هذا البند؟ وكيف يمكن ان نترجم المبادىء التي انطوى عليها الى مواقف يلتزم بها الجميع التزاماً طوعياً حراً، اختيارياً وليس اضطراراً، اقتناعاً وليس اكراهاً؟ في مقدمة دلالات هذا البند، نلاحظ انه قد استخدم كلمة (تحريم)، ولم يستخدم مثلاً كلمة (منع) او

(رفض). لماذا (تحريم) بالذات؟ اولاً، أنها اشمل بالمعنى، وتنطوي بالضرورة على المعنيين الآخرين الاخف والاضعف.

وثانياً، لان هذه الكلمة تنطوي على معنى الشمول والديمومة دون تمييز ولا استثناء، وتفيد حقيقة مطلقة ثابتة، لاتتأثر بالمتغيرات والظروف، ولاتستجيب الى الاعتبارات المرحلية او الاحوال المتبدلة والمتقلبة، كائنة ماكانت، ولأي سبب من الاسباب، ومهما اختلفت او تضاربت المواقف والمصالح والاجتهادات على الاطلاق. ويعني ايضاً من حيث المبدأ، أن سلاحاً عربياً لايجوز ان يهاجم صدراً عربياً بالنار مهما كانت الظروف والاسباب. ومن ابرز المعاني التي يقوم عليها ويشتق منها هذا المبدأ الاساسي من مبادىء الامن القومي، ان اختلاف الانظمة وتباين المصالح لايبرر بأي حال من الاحوال تعريض المصير المشترك الى الخطر والاصطفاف في خندق اجنبي للعدوان على طرف عربي. لايهم ان نختلف نحن العرب، وان نجتهد كل من موقعه وفي مكانه، فالاجتهاد هو طريق الحياة الافضل. ولكن احدنا لايجوز ان يسدد سيفه الى الآخر، ولا ان يحتكم الى السلاح فضاً للنزاع ان وجد او قام. وما احلى ان نختلف في التفاصيل، وان نتفق في نفس الوقت على المبادىء والاساسيات. فكما يؤكد السيد الرئيس القائد حفظه الله «ينبغي ان نتفق على مفاهيم مركزية لاتشكل ضرراً على اي قطر من الاقطار ولكنها تشكل

فائدة مشتركة....»[٣٢]. وما اجدرنا ان نختلف، اذا اختلفنا، دون ان ندع حالة الاختلاف تنقلب او تتحول الى حالة العداء والاصطدام. بل نلجأ الى الحوار الهادىء، ونأخذ بالتبادل العقلاني للآراء والحجج، كم يليق بأبناء امة واحدة عريقة متمدنة. وحينذاك، حتى لو اختلفت دروبنا وتباينت اساليبنا، فأننا سنختلف بروح المحبة العربية والاخوة القومية، مدركين اننا جميعاً نمخر عباب بحر هائج مضطرب متلاطم الامواج في سفينة مشتركة واحدة هي سفينة الامة العربية ديناً ووطناً وتراثاً وتاريخاً ومصيراً، ولو ان احدنا امسك بيده مسماراً وبدأ يدقه في خشب السفينة في الركن الذي يشغله من اركانها، زاعماً انه حر يفعل مايشاء في الركن المخصص له والمشغول من قبله. فأذا تركناه هلك وهلكنا، وان منعناه نجا ونجونا.

تلك هي الصورة الحقيقية للأمن القومي في الامة العربية. وما احرانا واجدرنا ان نتذكر هذا المعنى في الحديث الشريف للرسول الاعظم (ﷺ) بقوله (ان اختلاف امتي رحمة، وان امتي لايمكن ان تجمع على باطل).

---

(٣٢) من خطب وأحاديث الرئيس القائد صدام حسين في معركة قادسية صدام، الجزء الثالث، مصدر سبق ذكره، ص ١٦٦ ـ ١٦٧.

ننتقل الآن الى البند الرابع من الاعلان القـومي الذي يقول في منطوقه مايلي بالحـرف الواحد: (تضـامن الاقطار العربية جميعاً ضد اي عدوان او انتهاك يقوم به اي طرف اجنبي للسيادة الاقليمية لأي قطر عربي، او دخوله في حالة حرب فعلية معه، وقيام هذه الاقطار بالتصدي المشترك لذلك العدوان او الانتهاك، واحباطه بكل الوسائل والطرق بما في ذلك العمـل العسكـري واجـراءات المقـاطعـة الجمـاعيـة السياسية والاقتصـادية وفي كـافة الميـادين الاخرى التي تقتضيها الضرورة والمصلحـة القوميـة). ماذا يعني هـذا البند؟ وكيف يمكن ان نترجم هذا المبدأ الاساسي من مبادىء الامن القومي على ارض الواقع الحي؟ يتعلق هذا المبدأ تعلقاً واضحاً وصريحاً بالتضامن العربي الحقيقي والعمل العربي المشترك، بما في ذلك ميثاق الجامعة العربية ومعاهدة الدفاع العربي المشترك. أما ترجمته الى واقع حي وفعـل ملموس وموقف عملي فهي بيت القصيد واصل الداء. اليس من العار ان نجد الوضع العربي الآن، بعد مرور سنوات طويلة وعقود عديدة من الزمن، وحدوث تطورات اساسية وتراكم تجارب متعاقبة، متخلفاً عن الوضع العربي كما كان قبل اربعين عاماً بأتفاق عام واجماع كامل ادى الى وضع ميثاق جامعة الدول العربية وبعدها معاهدة الدفاع العربي المشترك؟ فالوضع العربي، مع انه بدأ بـالتحسن، مازال لايـوفر حتى الحـد

الادنى من التضامن العربي في مواجهة الاخطار التي تحدق بالامة العربية. الا ينفطر القلب حزناً والكبد كمداً أن نقول انه كان من حسن الحظ وسعد الطالع ان الدول العربية قد وضعت ميثاق جامعتها ومعاهدة دفاعها المشترك قبل أربعين عاماً، لانها لولم تفعل ذلك في حينه، وأرادت ان تفعله الآن، لما استطاعت الى ذلك سبيلاً في الظروف العربية الراهنة؟ الا يستلزم اضعف الايمان واقل الواجب من الامن القومي، ان نبادر الآن الى تنفيذ الحد الادنى على الاقل من العمل العربي المشترك، الذي يتمثل في ميثاق جامعة الدول العربية ومعاهدة الدفاع العربي المشترك؟ لقد كان السيد الرئيس القائد حفظه الله بوضعه هذا البند في اعلانه القومي رجل دولة من الطراز الاول وقائداً قومياً تاريخياً ثاقب الفكر بعيد النظر طاهر الضمير، يدرك الاخطار المتوقعة والتهديدات المحتملة قبل وقوعها وظهورها الى الوجود بوقت طويل. بهذا المعنى؛ كان هذا البند من اعلانه القومي بشيراً ونذيراً الى العرب اجمعين. ولولم تأخذ الدول العربية بهذا البند، فماذا يمكن ان يحدث لها وينزل بها؟ دعونا لانذهب مذاهب شتى في التصور البعيد والتأمل المجرد. لننظر الى الواقع الحي، نحتكم اليه، ونستهدي به، ونتعلم منه. لقد اصبح واضحاً للجميع في الوطن والعالم ان النظام السوري قد اختار الاصطفاف في الخندق الايراني عدواناً على القطر العراقي،

عن سابق تصور وتصميم، ودون حياء ولا خجل[٣٣]. وقد اضعف هذا الانحياز الى العدوان الاجنبي الايراني من موقف سوريا كثيراً في مواجهتها مع العدوان الاجنبي الاسرائيلي. لأن النظام النظام السوري قد طالب العرب بتنفيذ المبدأ الذي خرقه بنفسه واستباحه بفعله. وكانت النتيجة المحتومة هي ان النظام السوري قد خسر العرب، ولم يكسب من ايران شيئاً يمكن ان يعوض تلك الخسارة على الاطلاق. فماذا نفع (يهودا الاسخربوطي) ان يكون قد خان السيد المسيح لقاء حفنة من العملات الذهبية؟ وحتى لو كان النظام السوري قد كسب كنوز العالم ونفائس الكون، فماذا كان ينفعه كل ذلك، وقد خسر نفسه، وباع روحه الى الشيطان، وطعن صدر امته العربية بخنجر شعوبي دخيل مسموم، عندما اختار الاصطفاف بعيون واعية مفتوحة مع العدوان الايراني على العراق العربي، فأكل لحم اخيه حياً؟ بل انه أكل ثدي امه، فضرب مثلاً بائساً على الجحود والنكران، ورمزاً صارخاً للمروق والعقوق، يحمل على جبينه

---

(٣٣) لقد كان هذا النظام اول من اوجد في العصر الحديث بدعة ضرب الانسان العربي بالسلاح العربي. لقد بدأ ذلك بالدخول الى لبنان. من خطب واحاديث السيد الرئيس القائد صدام حسين في معركة قادسية صدام، الجزء السابع، مصدر سبق ذكره، ص ١٨٦.

عاراً ابدياً وهواناً مقيماً وذلاً دائماً. ولكن النظام السوري قد طعن سوريا نفسها ايضاً ومصلحتها وقضيتها طعنة غادرة نجلاء، ولم يطعن العراق والامة العربية فقط. ولوكان النظام السوري جاداً فعلاً ومخلصاً صدقاً وحقاً في المواجهة مع «اسرائيل» لما كان قد اصطف في الخندق الايراني ولا كان قد دعم العدوان الفارسي بقطع انبوب النفط العراقي. لان العراق يعتبر العمق الاستراتيجي والظهير التأريخي القومي الحقيقي للقطر السوري في مواجهة «اسرائيل». وقد اضعفت سوريا نفسها كثيراً. لان نظامها قد خرق هذا المبدأ الاساسي من مبادىء الامن القومي واستباحه ونبذه بأصراره على التحالف الاستراتيجي مع العدوان الايراني.

هل كان يخطر على البال ان يحكم دمشق العربية نظام شعوبي مستهتر، يمد يد العون عبر المسافات والازمان الى ابي مسلم الخراساني، ويلعب على الصعيد القومي العربي في العصر الحديث الدور المشين المزري والملعون الذي لعبه ابو رغال على الصعيد الاسلامي او ابن العلقمي على الصعيد العباسي في عصر سابق قديم؟ وهل تقتضي مصلحة الدفاع عن قضية فلسطين تسليم العراق الى ايران على طبق من الذهب؟ وبأي منطق او حق يفعل النظام السوري في هذه المرحلة الدقيقة والحرجة والحساسة من مراحل التأريخ القومي العربي مايفعله اليوم دون وازع ولا رادع؟

كان نشر الاعلان القومي في حينه، عملاً تاريخياً رائداً وطليعياً انجزه السيد الرئيس القائد صدام حسين حفظه الله، وقدمه الى الامة العربية جمعاء، بدولها وحكامها وجماهيرها. وكان ايضاً ايذاناً بحلول عصر جديد للأمن العربي الشامل الواحد المشترك، يقوم فيه بنيانه ويرسي على مبادىء واضحة سليمة واسس متينة قويمة، دون تعثر ولا التواء ولا احراج. وقد نالت هذه المبادى والاسس ماتستحقه وتحتاجه من شروح وايضاحات، في سلسلة من الافتتاحيات التي نشرتها جريدة الثورة في اربع حلقات مؤخراً(٣٤)، تعليقاً على مقال هام كتبه السيد الرئيس القائد صدام حسين حفظه الله بعنوان (بعض ماهو قبل الحرب وأثناءها)، ونشرته نفس تلك الجريدة بتاريخ ٦ / ٧ / ١٩٨٧.

وكانت الحلقة الثالثة بعنوان (الوضع العربي وجانب من خلفياته)(٣٥). وقد سلطت الاضواء على جوانب معينة من الامن القومي على المستوى العربي، بتحليل شامل ومحكم ودقيق، وبالوضوح المعهود في هذه الدراسات. وتناولت بالتفصيل الموضوع الذي طرقناه في هذا الجزء من البحث.

---

(٣٤) جريدة الثورة، بغداد، الاعداد ٦٢٥١، ٦٢٥٢، ٦٢٥٣، ٦٢٥٤، في ٧ ـ ٩ و ١١ / ٧ / ١٩٧٨.

(٣٥) جريدة الثورة، بغداد ، العدد ٦٢٥٣ في ١٩٧٨/٧/٩، ص ٣.

وافادت تحت عنوان فرعي (التفاوت في الادوار التاريخية بين اقطار الوطن العربي) مايلي بالحرف الواحد في فقرات مختارة :

ومن بين المشاكل الاخرى مما يقتضي الاشارة اليه هي ظاهرة التفاوت في الادوار التاريخية بين أقطار الوطن العربي.

أن سياق التطور التاريخي، ان كان قبل الاسلام او بعده، قد وضع ثقلاً غير عادي في بناء تاريخ الامة وتشكيل حضارتها على اقطار عربية رئيسية. وقد لعبت اقطار من هذا النوع دورها الاساس في هذا الاتجاه بالمشرق العربي بوجه خاص، فيما اعفى التطور التاريخي، او رتب، دوراً محدوداً لاقطار عربية اخرى، وبخاصة من لم تكن منها قد سجلت على ارضها حالة الدولة المستديمة لفترة طويلة نسبيا من الزمن، او لم يكن لها دور حضاري معتمد وفعال في الوطن العربي، وأن بعض الدول التي تكونت حديثا تقع ضمن هذا الوصف.

وأن مثل هذا التباين في الادوار التاريخية لاقطارنا العربية، ولاننا لانعيش حالة صعود جماعي، وأيمان بخط عام، متفق عليه مما يثير الحماس لدى الجميع، ويشعر الكل بعظمة مايقوم به من دور في التكوين الجديد للأمة على طريق

ممارسة الدور القومي والانساني والوطني، فقد أفرز هذا التطور التاريخي، وفق ماوصفناه. الكثير من السلبيات، التي لعبت، وستبقى تلعب دوراً سلبياً في حياة العرب، والعلاقة بين اقطارهم وقادتهم وزعمائهم الى وقت طويـل. وسيترتب على ذلك الكثير من الخسائر والتضحيات وضياع الفـرص مالم يتدارك العـرب ذلك برؤيـة وعقل منفتـح، وبالحكمـة الواجب حضورها. ان الاقطار التي كان لها شرف الارجحية في تكوين ثقل تأريخ الامة، وماتعتز به في سفرها الخالد، غالبا ماتفرز حالات سلبية من التعـالي والغرور في تعـاملها مـع الاقطار العربية الاخرى، ان كـان على مستـوى الزعامـة والقادة والحكام.

وان الاقـطار العربيـة التي لم يكن لها دور محـدد، او مايشار اليه بالبنان عبر التاريخ بما يضعها على خط واحد مشترك مع الاقـطار العربيـة الاخرى، غـالبا مـاتفرز من السلبيات مايلحق الضرر البالغ بالاقطار العـربية عمـوما، وبمصالحها الوطنية هي الاخرى تحت شعور من السلبية والصغر والحسد والعقد تجاه اشقائهم من الاقطار الاخرى، وبما يجعل الكثير من التصرفـات وتحت الرغبة في تـأكيد الذات غالبا ماتكون غير متوازنة وانفعالية.

وأن ايا من سلبيات هذا او ذاك من الاقطار غالباً مايقود الى هذا الحال المنحرف أو الخاطىء من التصرف والتصور

نتيجة غياب الكثير من المفاهيم الصحيحة وما يرتبط بها من تصرف صحيح، وفي مقدمة ذلك، ان ماهو مطلوب فهمه من الجميع... هو ان ممارسة اجدادهم الدور المتميز لايجعل الاحفاد لهذا وحده متميزين بين اشقائهم العرب لأن تلك الخصوصية لاتنقل حكما بالوراثة الا عندما يقتدى بها من يقتدي في عصر اليوم وماهو لاحق من العصور، وليس مقصرا من هو في عصر اليوم من لم يكن لاجداده دور متميز في الاقطار التي ينتسب اليها، لانه هو اليوم في عصر اليوم، الا عندما يقصر في هذا العصر عن ممارسة دوره الوطني والقومي، هو وقطره، وان الذين يقعون في اقطار لها دورها العميق في ايجابيات ماهو موروث من تراث قومي ووطني اذا ماارتكبوا اي تقصير في مجرى التصور والفعل في هذا العصر فأن عقابهم امام الضمير والتاريخ والامة العربية ينبغي ان يكون اكبر، واللوم الذي يوجه اليهم من ابناء الامة، يجب ان يكون اعظم، ذلك لانهم لم يقوموا بالدور الذي كان يقوم به اجدادهم، والذي ينبغي ان يذكرهم ويحفزهم بما يقتضي من دور متميز في عالم اليوم.

هذا من ناحية، ومن ناحية اخرى فأن ممارسة الدور ترتبط، من جملة ماترتبط، بالتاريخ والامكانات، فأذا كان التاريخ الى جانبهم وفق ماوصفنا وكانت امكاناتهم متميزة على امكانات اشقائهم، فالواجب يقتضي ان يمارسوا دورهم

في عصر اليـوم بصـورة متميـزة، ومن بـين ذلك التصــرف الحكيم، وتحمل اخطاء الاخـرين من اشقائهم ومعـالجتها بروّية.

وعلى اية حال، فأن على الاقطار المتميزة في مجرى التاريخ مسؤولية النهـوض بمسؤوليـاتها من دون غـرور او تعال وقبول حقيقة ان الامة فيها مـاهو «صـغـير» من الدول الى جانب ماهو «كبير» منها وان يأخذ مكانه في العلاقات تماما كما هو حال العائلة الواحدة في مثل هذا الترتيب بين الاشقاء، وان الدول التي لم يرتب التاريخ عليها في الماضي دورا متميزا عليها ان تتذكر ان الحاضر مفتوح امامهـا لتمارس الدور المناسب لامكانـاتها وظرفهـا، وعليها، في كـل الاحوال، ان تتصل بالحقائق الموضوعية اتصالا عمليا، وان تحتـرمها، ومن بين تلك الحقائق ان بعض اقطار الوطن العربي ترث من بين ماترث، هذا التاريخ المتميز عن الماضي. وعلى الجميع ان يسعى ليطور مسؤولية الماضي، لتكـون عنصراً ايجـابيا في حاضر اليوم، بما يزيد الجميع منعة ويقوي عوامل الاخوة والتضامن والعمل المشترك للبناء القومي.

ان واحدا من اهم الظروف والشروط التي تنقل الانسان والمجتمع الى امام، هو شعور الجميع كما قلنا، بأن عليهم واجبا مقدساً وان النهوض بمثل هذا الواجب يجعل الجميع يسجلون في مجرى التطور التاريخي مكانة متصاعدة نحو

الافضل، ومحددة وواضحة حتى لو اخذت هذه المكانة نوعاً من التسلسل عند مقارنتها بمكانة الاخرين من الاشقاء، وان يتذكر الجميع ان العمل الجماعي ينقلهم الى حالة افضل، فيما يجعل العمل المتفرق بمستوى المكانة اقل مما يضعهم العمل الجماعي فيها، وعند ذلك يشعر الجميع بأنهم يكسبون وفق العمل الجماعي واهدافه المشتركة.. وهذا مايحتاجه العرب اليوم، على مستوى العمل المشترك لابناء الامة. ومن بين ذلك العمل المشترك لانظمتهم، ولن يأخذ العمل المشترك لانظمتهم معناه العميق، ويضعهم وفق اطار سليم جديد من التطور التاريخي وفق ماذكرناه، مالم يهيئوا انفسهم لفهم بعضهم وفق ادق مايقتضي من فهم الخصوصيات وعدم التدخل في الشؤون الداخلية، وجعل العلاقة الجماعية الايجابية بين انظمة الحكم قاعدة جدية لما يفيد ابناء الامة العربية وفق التطور الصاعد نحو الافضل والارقى من المكانة وممارسة الدور وتحسين الافكار والسلوك.. ان السلبيات التي ذكرناها وغيرها مما يكتنف الوطن العربي والعلاقات العربية، قد اشاعت نوعا من الحذر والشك وكثرت الهواجس وازدادت الرغبة في العزلة لدى الكثير من الاقطار العربية، وكان كل هذا على حساب العمل العربي المشترك، والتضامن العربي الذي بدونه تبقى كل الحالات ضعيفة ومعرضة للاضرار الفادحة، وزاد في الطين

بلة ظهـور حـالات ممــارســة الدور الاقليمي لاكثــر من الاستحقاق، او بطريقة منحرفة لدى بعض الاقطار في الوطن العربي..

وقد استغل الاجنبي كل هذا واقام نمطا من العـلاقات بعضها ضار فعلا وستكون له اثاره السيئة مالم يتداركـه العرب.. وصار الكثير من مواقف الاشقاء العرب يتأثر، بقدر او بآخر، بهذا اوذاك من المواقف الدولية بأمر يتعلق بالمنطقة ويعتبر شأنا من شؤونها، مما نجد ان الكثير من تلك المواقف يشكل على الطرف النقيض من مصالح الامة العربية وأمنها القومي، بل ويحول دون مسعى التطور الجماعي لاقطارنا جميعا.

ان عوامل التدخل في الشؤون الداخلية في الوطن العربي، وضعف الثقة في العلاقات العربية، وضعف الثقة بين بعض الانظمة العربية وشعوبها، وضعف الامكانات الاقتصادية مع تنامي الحاجة والشعور بأهمية التنمية، وضعف الوعي وطاقة التحمل، والابتعاد عن ممارسة الدور القومي والوطني الصاعد، وضعف العمـل الجماعي بمـا يقوي كـل من هو بحاجة الى قوة اضافية نحو الافضل، سهل مهمة الاجنبي ليلعب دوراً سلبياً، بل وتخريبياً احيانا في المنطقة.

والى جانب هذا فقد البعض من المسؤولين العرب توازنهم فصار ينظر الى اي نمط من العلاقات الايجابيـة بين قـطر

عربي وآخر، نظرة غير ودية ومتشككة، وصار يفسرها بأن حالة من هذا النوع، وطبقا للتفسير العشائري كما ذكرنا، ستفضي حكماً الى اضعافه، وستكون على حساب امنه ومصالحه وقدرته التأثيرية، لذلك نجد ان الوطن العربي غالبا مايمتلىء بالاشاعات والهواجس والشكوك ونقل الاخبار المبتورة التي يلعب فيها حكام ومسؤولون وأجهزتهم دورا محددا. وطبقا لهذه التفسيرات والمواقف التي ذكرناها وعلى اساس هذا وغيره نجد ان العمل العربي الجماعي، قد تراجع، وحل محله، وليس الى جانبه، نوع من العلاقات الاقليمية الضيقة، وزاد اهتمام العرب على حساب عملهم العربي، او تعويضا عنه، بالعمل الاسلامي وحركة عدم الانحياز والمنظمات الدولية والاقليمية. خلاصة القول ان الحقيقة القومية تظل اقوى واغلب وارسخ واشرف من الخيانة الشعوبية.

تلك هي الحقيقة الاخيرة التي نقدمها في هذا الجزء من البحث. ولكنها لاتقل اهمية عن المبادىء والثوابت، التي عرضناها في الفقرات السابقة للامن القومي على المستوى العربي. فمهما كان الوضع الجغرافي للعراق، ومهما كان العدو الفعلي والمحتمل الذي يواجهه، فأنه يعتصم بحقيقة اساسية واحدة هي العلامة البارزة الفارقة للامن القومي في

العراق على المستوى العربي. وهذه الحقيقة هي حقيقة الانتماء العربي والتاريخ القومي والتراث الروحي والثقافي والمصير المشترك الواحد مهما تغيرت الظروف وتقلبت الايام. وهي حقيقة العمق الاستراتيجي القومي العربي البشري والجغرافي والتاريخي والروحي. وكما ان العراق يعتبر عمقا استراتيجيا طبيعيا لدول المواجهة مع «اسرائيل»، كذلك تعتبر الاقطار العربية الشقيقة في الجناح الشرقي من الوطن عمقا استراتيجيا طبيعيا للعراق في المواجهة مع ايران.

تلك هي حقيقة اساسية وثابتة من حقائق وثوابت الامن القومي العربي. وتلك هي ايضا اسس وثوابت مفهومنا للامن القومي على المستوى العربي.

٣ . مفهومنا للأمن القومي على المستوى الاقليمي

أ . اختلاف اولويات الامن القومي على المستوى الاقليمي بين الاقطار العربية.

تختلف المفاهيم والمدركات بأختلاف الخلفيات والمنطلقات والحقائق. وهنا نلاحظ اختلاف اولويات الامن القومي على المستوى الاقليمي بين الاقطار العربية. هذا الاختلاف يعود في الحقيقة الى واقعها الداخلي والخارجي وانعكاس ذلك على ادراكها لمضامين امنها القومي. ولكن الاقطار العربية جميعا، مشرقا ومغربا، تدفعها حقيقتها القومية ومصلحتها المشتركة ان تأخذ حقائق الجغرافيا والتاريخ والمصالح المشتركة بنظر الاعتبار، وأن تتفهم طبيعتها وخصوصيتها، وأن تراعي بعضها البعض الآخر من هذه الناحية بروح المحبة المتعاطفة والاخوة المتفهمة. لأنها في النهاية اطراف في جسم واحد وأجزاء في كل واحد لايتجزأ.

فأذا نظرنا الى الامن القومي على المستوى الاقليمي من منطلق قطري، لوجدناه يرتبط ارتباطا وثيقا ومباشرا بدولتين متجاورتين وجارتين تأريخيتين هما أيران وتركيا. ولو نظرنا

الى ألامن القومي على المستوى الاقليمي من منطلق الوضع الراهن والواقع السائد في الخليج العربي، لوجدناه يرتبط ارتباطا وثيقا ومباشرا بنوايا ومواقف وتصرفات أيران من جهة، ويرتبط ايضا بدول اخرى قريبة تلعب أدواراً معينة واضحة في هذه المنطقة من الوطن العربي هي افغانستان وباكستان وبنغلاديش والهند من جهة ثانية. ويرتبط من جهة ثالثة بأوضاع القرن الافريقي والبحر الاحمر، وبالاخص مايتعلق منها بالتأثير غير المباشر للحبشة على الخليج العربي، وتأثيرها المباشر على الامن القومي العربي في البحر الاحمر وشبه الجزيرة العربية.

واذا نظرنا الى الامن القومي الغربي على المستوى الاقليمي في الجناح الغربي من الوطن ومايسمى جغرافيا تسمية ربما تكون مغرضة «بالشمال الافريقي»، على نمط تسمية المشرق العربي بالشرق الاوسط، لوجدنا ظاهرة اخرى وحالة رابعة من ظواهر وحالات الامن القومي العربي. ويعود سببها ايضا الى حقائق الجغرافيا وروابط التاريخ. ونلاحظ ان الدول العربية في هذه المنطقة الحيوية والحساسة من الوطن، اي جناحه الغربي، يرتبط امنها القومي ارتباطا وثيقا ومباشرا بالدول الاوربية المطلة على الجزء الجنوبي من القارة الاوربية، على امتداد سواحلها من مضيق البسفور

الى مضيق جبل طارق. فهذه الدول تتمتع بحضور فعال وتأثير مباشر في مفهوم الامن القومي للمغرب العربي تاريخيا وجغرافيا معا. ولانشعر بالحاجة الى الدخول في التفاصيل والإسهاب في الايضاحات. ولكننا نستطيع ان نقول ان هناك صلات قديمة ومصالح اساسية تربط الامن القومي على المستوى الاقليمي بين الدول العربية في السواحل الجنوبية من البحر الابيض المتوسط والدول الاوربية على السواحل الشمالية من نفس البحر. وعلى سبيل المثال وليس الحصر، نذكر علاقات مصر باليونان، وليبيا بأيطاليا، وتونس بفرنسا، والمملكة المغربية بأسبانيا، على الرغم من فترات المد والجزر او الصعود والهبوط في هذه العلاقات، وبغض النظر عن تعاقب العهود واختلاف الانظمة في تلك الدول جميعا.

ولم يؤد هذا الواقع متفاعلا مع واقع التجزئة العربية الى تنوع وتباين مصالح الاقطار العربية فحسب، وانما كذلك الى بروز ظاهرة على قدر عال من الخطورة، هي اتجاه اقطار عربية نحو بناء مفاهيم خاصة لامنها القومي غلبت بموجبها المصالح القطرية او الاقليمية المتعددة الخاصة على المصالح القومية العربية العليا الواحدة العامة. الامر الذي يساعد على تجاوز المسؤولية القومية المشتركة التي التزمت بها الدول العربية، رسميا على الاقل من خلال ميثاق جامعة

الدول العـربيـة ومعـاهـدة الدفـاع المشتـرك والتعـاون الاقتصـادي. ولنتذكـر مثلا ان ايـران ماكـانت تستطيـع الاستمرار في فرض الحرب على العراق منذ الرابع من ايلول ١٩٨٠ وحتى الان، وأن «اسرائيل» ماكانت تستطيع احتلال جنوب لبنان لو كانت العرب في حالة من الوعي بالمسؤولية القومية المشتركة.

ب . ايران : جدول احصـائي عن الحروب الـعـدوانية التي شنتها على العراق:

وليتنا كنا نستطيع ان نقول عن ايران شيئا مختلفا عن الذي سنقوله الان. لاننا لانضمر شراً ولاننوي سوءاً. ولكنك لاتهدي من احببت، بل ان الله يهدي من يشاء. الا اننا نميل الى لغة الارقام والوقائع والحقائق. وهي الاجدر ان نبدأ بها. والاحق ان ننطلق منها.

وفي ادناه، جدول احصائي وجيز عن الحروب العدوانية التي شنتها ايران على العراق في التاريخ القـديم والوسيط الحديث والمعاصر. وللمزيد من التفاصيل والمعلومات، يمكن الرجوع الى الملاحق المثبتة في نهاية الكتاب. وقد اشرنا الى كل منها في الجزء الذي يخصه من هذا الجدول الوجيز. ثم

ننتقل بعد هذا الجدول الى تحليل البيانات التي احتواها، واستقراء وقائعها واستخلاص النتائج التي نجمت عنها وترتبت عليها.

جدول احصائي عن الحروب العدوانية التي شنتها ايران على العراق

أ. العصور (٢٥٥٠ق. م ـ ٦٠٤ / ٦٠١م): وللمزيد من التفاصيل والمعلومات راجع الملحق (أ)

ت	الواقعة	السنة
١.	احتلال اور	٢٥٥٠ق.م
٢.	انتصار حاسم للاكديين على العيلاميين	٢٥٠٠ق.م
٣.	الهجوم على لكش	٢٤٠٠ق.م
٤.	انتصار الأكديين على العيلاميين	٢٣١٢ق.م
٥.	حملة نرام سين	٢٢٩١ـ٢٢٢٥ق.م
٦.	الهجوم على شمال شرق العراق	٢٢٩٤ـ٢٢٢٥ق.م
٧.	مهاجمة الاراضي الاكدية	٢٢٥٤ـ٢٢٣٠ق.م

الحدث	التاريخ
٨. الهجوم على أكد	٢٢٣٠ق.م
٩. احتلال أور	حوالي٢١٥٠ق.م
١٠. حملة كوديا ضد انشان	٢١٤٤_٢١٢٤ق.م
١١. مهاجمة العيلاميين للعاصمة أور	٢٠٠٦ق.م
١٢. استرجاع تمثال الاله ننار	١٩٨٤_١٩٧٥ق.م
١٣. مهاجمة العيلاميين للملك البابلي حمورابي	١٧٩٢_١٧٥٠ق.م
١٤. هجوم العيلاميين على وادي الرافدين	١٧٥٠_١٧١٢ق.م
١٥. مهاجمة كوتر ناخونتي للمدن العراقية	١٧١١_١٦٨٤ق.م
١٦. سماح العيلاميين للكيشيين بمهاجمة العراق	بين ١٧٠٠ و ١٦٠٠ق.م
١٧. اعتداء على الدول الكاشية	١٢٣٥_١٢٢٤ق.م
١٨. هجوم اونتاش ـ نابيريشا على وادي الرافدين	١٢٧٥ق.م
١٩. انتصار توكلتي على العيلاميين	١٢٤٥_١٢١٠ق.م
٢٠. مهاجمة العراق وسرقة الاثار الحضارية	١١٧١ق.م

٢١.	الهجوم على بابل	بحـــدود ١١٦٠ ق.م
٢٢.	دحر نبوخذنصر للفرس	١١٥٠ـ١١٢٠ق.م
٢٣.	تحرشات الفرس والميديين	٨٨٤ق.م
٢٤.	مهاجمة الدول الاشورية	٨٨١ ـ ٨٠٨ق.م
٢٥.	رد الاشوريين للغزو الماني	٨٠٨ق.م
٢٦.	رد الملك ادد نراري	٧٨٧،٧٩٠،٧٩٥،٨٠١ ق.م
٢٧.	تحالف الفرس مـع مملكة ارارات ضـد الاشوريين	٧٥٤ـ٧٢٤ق.م
٢٨.	مهاجمة بابل	٦٦٤ق.م
٢٩.	دحر الاشوريين للعيلاميين	٦٥٣ق.م
٣٠.	اسنـاد العيلاميـين للثورة ضـد اشـور بانيبال	٦٥٢ق.م
٣١.	مهاجمة اشور بانيبال واحتلال عيلام	٦٤٦ق.م
٣٢.	هجوم الميديين	٦١٤ق.م
٣٣.	مهاجمة نينوى ونمرود	٦١٢ق.م

٣٤.	احتلال كورش لمدينة بابل	٥٣٩ق.م
٣٥.	ثورة بابل ضد الفرس	٤٨٢ق.م
٣٦.	مقاومة ملك تدمر للفرس	٢٦٠ق.م
٣٧.	الاحتلال الفرثي للعراق	١٣٩ق.م
٣٨.	الاحتلال الساساني الفارسي للعراق	٢٢٦ميلادية
٣٩.	القضاء على مملكة ميسان	٢٣٠ميلادية
٤٠.	القضاء على مملكة الحضر	٢٥٦ميلادية
٤١.	غزو الخليج واحتلال البحرين	٣٠٩ـ٣٧٩ميلادية
٤٢.	محاولة استقلال حديان عن الساسانيين	٣٥٠ميلادية
٤٣.	قتل الفرس للنعمان الثالث	٦٠٤ـ٦١٠ميلادية

ب . قبيل وبعد الاسلام: (٦١٠م ـ ١٢٥٨م)

حروب التحرير في العصر الاسلامي والحروب العدوانية الفارسية التي تخللته.وللمزيد من التفاصيل والمعلومات راجع الملحق (ب)

ت	الواقعة	السنة
١.	معركة ذي قار	٦١٠م
٢.	معركة القادسية الاولى	٦٣٦م/١٥هجرية
٣.	معركة جلولاء	٦٣٧م/١٦هـ
٤.	معركة نهاوند	٦٤٠م/٢٠هـ
٥.	حروب التحرير من الاحواز الى ماوراء النهر	٦٤٨ـ٦٥٢م
٦.	الاعتداءات الفارسية خلال العصر العباسي	٢٤٧ـ٦٥٦هـ ٨٦١ـ١٢٥٨م

جـ . العصور الوسطية والحديثة والمعاصرة:

(من الصفويين ١٥٠٨ ولغاية مجيء خميني في ١٩٧٩ وبداية الحرب في ١٩٨٠) وللمزيد من التفاصيل والمعلومات راجع الملحق (جـ)

ت	الواقعـــة	السنـــة
١.	احتلال بغداد	١٥٠٨م
٢.	معركة جالديران	١٥١٤م
٣.	احتلال طهماسب لمدينة بغداد	١٥٢٧ـ١٥٢٩م
٤.	انتهاء السيطرة الصفوية على العراق	١٥٣٤م
٥.	محـــاولات لاحتـــلال مـــدينتـي بغـــداد والبصرة	١٦٢٣م
٦.	محاولات العثمانيين طرد الفرس	١٦٢٥ـ١٦٣٨م
٧.	معاهدة زهاب	١٦٣٩م
٨.	محاولات نادر شاه ومعركة الدجيل	١٧٣٢ـ١٧٢٣م
٩.	طلب نادر شاه للصلح	١٧٢٣م
١٠.	مهاجمة البصرة	١٧٣٥م

١١.	معاودة نادر شاه للهجوم على العراق	١٧٤٣م
١٢.	هزيمة كريم خان الزند	١٧٧٤م
١٣.	احتـلال البصـرة واجـزاء من الارض العراقية في لواء زهاب	١٧٧٥م
١٤.	مآسي احتلال البصرة	١٧٧٦ـ١٧٧٩م
١٥.	تحرير البصرة من الاحتلال الفارسي على يد عرب المنتفك	١٧٧٨م
١٦.	تحرير البصرة	١٧٧٩م
١٧.	التدخل القاجاري في شؤون العراق	١٨٠٢ـ١٨٤٩م
١٨.	تهديدات فتح علي شاه	١٨٠٢م
١٩.	احتلال السليمانية ودرتك ودرنـة وقصر شيرين	١٨٠٦م
٢٠.	حملة المرزا محمد علي	١٨١١ـ١٨١٢م
٢١.	احتلال حاكم كرمنشاه للاراضي العراقية	١٨١٣م
٢٢.	محاولات السيطرة على السليمانية	١٨١٦م
٢٣.	محاولات احتلال بدرة وجصان ومندلي	١٨١٨م

٢٤. احتلال السليمانية وكركوك والمنصورية	١٨٢٠ـ١٨٢١م
٢٥. حملة المرزا محمد حسين	١٨٢١م
٢٦. معاهدة ارضروم الاولى	١٨٢٣م
٢٧. معاهدة ارضروم الثانية	١٨٤٧م
٢٨. قضاء العثمانيين على الحكم البابانى وتدخل الفرس	١٨٤٩م
٢٩. بروتوكول الاستانة	١٩١٣م
٣٠. الاستيلاء على المحمرة	١٩٢٥م
٣١. المطالب التوسعية الفارسية وتوقيع اتفاقية ١٩٣٧	١٩٣٤ـ١٩٣٧م
٣٢. نقض الفرس لاتفاقية ١٩٣٧ واحتلال الجزر العربية والتدخل في الشؤون الداخلية للعراق والاقطار العربية.	١٩٦٩ـ١٩٧٥م
٣٣. اتفاقية ١٩٧٥	١٩٧٥م
٣٤. مجيء خميني للسلطة وتصعيد العدوان الفارسي	١٩٧٩ـ١٩٨٠م

ج ـ تحليل البيانات الاحصائية، واستقراء وقائعها واستخلاص النتائج التي نجمت عنها وترتبت عليها:

اولا. لو استقرأنا الواقع التاريخي بالمنظور الجغرافي، فسنجد ان جميع الحروب العدوانية التي تعرض لها وعانى منها العراق، قد شنت من جهة الشرق، اي ايران. ولعل الحالة التأريخية الشاذة الوحيدة في هذه القاعدة الجغرافية هي تلك التي حدثت في الحرب العراقية ـ البريطانية سنة ١٩٤١م. ومع ان القوات البريطانية قد قامت بعمليات انزال في الفاو والشعيبة والبصرة في سياق وقائع وتطورات تلك الحرب، الا ان القوات البريطانية المدرعة التي احتلت بغداد، قدمت من جهة الغرب. وكانت قد تحركت من الشريط الاستيطاني الصهيوني على الساحل الفلسطيني انطلاقاً من مركز تحشدها في مستعمرة (نهاريا)، والتقت بالقوات البريطانية التي كانت متواجدة في قاعدة الحبانية، وقاتلت بالتتابع في جبهات الرطبة والرمادي والفلوجة، حتى وصلت الى التاجي من جهة الكاظمية الى الشمال من بغداد، و أبي غريب على نهر الخّر الى الغرب من بغداد.

ثانيا. واذا القينا نظرة فاحصة على وقائع الجداول وارقام الاحصائيات، فسنجد ان ايران قد بادرت العراق بحروب عدوانية على امتداد التاريخ، كانت ايران فيها هي الطرف المعتدي دائماً[٣٦]، وكان العراق فيها طرفاً معتدى عليه في كل مرة. ومن هنا، اكتسبت حدود العراق مع ايران، وهي حدود طويلة، اهمية استثنائية معينة، وكانت دائماً مصدراً للتهديدات والاخطار والحروب.

ثالثا. وفي ضوء ما تقدم ، وباستثناء ما ورد في الفقرة اولاً اعلاه،نلاحظ ايضاً ان جميع الحروب التي تعرض لها وعانى منها العراق في التاريخ على امتداد حدوده من جميع الجهات على الاطلاق كانت فارسية اليد والقلب والعقل والهدف، شنها الفرس انطلاقاً من بلاد فارس بدوافع الحقد والتوسع. فالعراق كان، على مر الزمن، الدولة العربية الوحيدة التي استهدفها الفرس قبل وبعد تكوين دولة ايران الحالية. وفي احسن الاحوال،

---

(٣٦) واللجوء الى العدوان والحرب ضد العراق في الاوقات التي ادركت ايران انها قوية، كان امتداداً لسياسة التسويف والمماطلة التي تميزت بها الحركات الايرانية حيال العراق في تلك الاوقات القليلة، عبر التاريخ، التي تميزت بحالة غياب الحرب بين البلدين.

عندما لم تكن ايران مصدراً للعـدوان، فأنهـا كانت للعـدوان مقـراً او ممـراً عـلى الاقـل. وهي حـالات استثنائية شاذة قليلة نادرة، لا يقاس بها ولا يعـول عليها، بل أنها تثبت القاعدة التي ذكرناها كما تقدم، ولا تنفيها. ويبدو احياناً ان المعتدين، وان لم يكونوا فرساً، اوكانوا من غير الايرانيين، الا انهم كانوا دائماً يستخدمون الاراضي الايرانية كمنصة للوثوب وقاعدة للانقضاض على العراق، ويجندون الحشود الفارسية الجاهلة المتخلفة في اغراضهم العدوانية، كما حـدث بالفعل مثلاً في هجوم (هولاكو) المغـولي على العـراق وقيامه باحتلال بغداد في سنة ١٢٥٨م. ويبدو ان تلك الحشود الفارسية الجاهلة الحاقدة كانت تبطن ميلاً جارفاً واستعداداً قوياً للمشاركة الفعالة في كل حركة معادية للعراق والعروبة والاسلام، في جميع العصور والازمنة والعهود دون تمييز.

رابعا. وفي ضوء هذه القراءة الجغرافية للحقيقة التأريخية، نلاحظ ايضاً ان جميع الحروب العدوانية الفارسية والحركات الشعوبية المسلحة قد استهـدفت الجزء الجنوبي من العراق بوجه عام، ومدينة البصرة بوجه خـاص، ويبدو انهـا سلكت هذا الخـط الجغرافي في

تخطيطها التعرضي للاستيلاء على بغداد، وإن كانت قد استخدمت محور (نهر الكرخة العمية ـ الاهوار) ايضاً في بعض الاحيان. ومن الواضح انها كانت تعتبر البصرة مفتاحاً للجنوب، وتعتبر الجنوب مفتاحاً للوصول الى بغداد، وتعتبر بغداد مفتاحاً للعراق، وتعتبر العراق مفتاحاً للخليج العربي من جهة، وللمشرق العربي من جهة اخرى، في وقت واحد معاً. فكأن الاستيلاء على العراق كان الخطوة الضرورية الاولى باعتباره المحطة الامنع والحلقة الاقوى، في تقديراتها وتصوراتها وحساباتها ومخططاتها. وكان الاستيلاء على البصرة دائماً هدفاً استراتيجياً اساسياً للاستيلاء على بغداد، وبالتالي، للاستيلاء على العراق واحتلاله، باعتبارها، عند الفرس، خطوة ضرورية ومحطة مهمة وحلقة مطلوبة. هكذا كان الوضع الاستراتيجي على المستوى الجغرافي بالمنظور التأريخي على تعدد واختلاف وتعاقب العصور والازمنة والعهود. ولا نجد شذوذاً عن هذه القاعدة، وخروجاً عن هذه الظاهرة، الا في حالتين لا ثالث لهما، على حد علمنا. الحالة الاولى: هي جيوش هولاكو التي تحركت على خط يبدأ من قصر شيرين، ويمر بمدينة خانقين ويمتد الى جلولاء وبعقوبة وخان بني سعد،

وصولاً الى بغداد التي احتلها في سنة ١٢٥٨م.
والحالة الثانية: هي جيوش (نادر شاه) التي تحركت بنفس الاتجاه، وسارت على خط قصر شيرين ـ خانقين المذكور سابقاً، في محاولاتها للاستيلاء على بغداد في السنوات ١٧٣٢م ـ ١٧٣٣م و ١٧٤٣ م على التوالي، بما في ذلك خرق تعرضي من جهة مندلي.

تلك هي الصورة الاولية العامة كما نراها الان في تحليل واضح وادراك دقيق.

خامسا. لا عاطفة مع المنهجية الموضوعية، ولا حساسية مع الدراسة العلمية. وانطلاقاً من هذا المبدأ العقلاني في التحليل والاستنتاج، نلاحظ من استقراء التأريخ الطويل والواقع الحي معاً، ان الحقد الفارسي على العرب بوجه عام، وعلى العراق بوجه خاص، كان أسوأ وأعنف من جميع انواع وصور واشكال الحقد التي رأيناها وعرفناها في تأريخنا القومي وتراثنا الثقافي والفكري والروحي والديني، انطلاقاً من القادسية الاولى، قادسية سعد، الى القادسية الثانية، قادسية صدام، وامتداداً من معركة ذي قار وعصر الفتح الاسلامي الى الحرب العراقية ـ الايرانية وعصر الانبعاث القومي.

سادسا. وتدخل حقيقة اساسية معينة في هذه الصورة الاستراتيجية التي لا تستكمل ابعادها بدونها، ولا تستوفى الا بفهمها وادراكها. هي: ان تاريخ العداء الايراني للعرب، والعداء الفارسي للعراق بالذات، كان أطول عمراً، وأقدم عهداً، وأبعد غوراً، وأرسخ جذراً، وأخطر حجماً ونوعاً وضرراً، من أي عداء آخر تعرضنا له او عانينا منه، نحن العراقيين، على امتداد الزمن التأريخي الجلي المعروف، قديماً وحديثاً حتى هذه اللحظة الراهنة.

سابعا. ولكن هذه الحقيقة، وان كانت هي الحقيقة الغالبة السائدة في جميع المراحل التأريخية دون تمييز ولا استثناء، الا انها مع ذلك حقيقة نسبية وليست مطلقة. ومن دواعي الامانة والعدالة والموضوعية معا، ان نقرر الان، علنا، دون تردد او تحفظ، ان التاريخ الفارسي قد شهد تيارين عريضين بارزين اساسيين:

اولهما: تيار شعوبي شوفيني عنصري حاقد، اعتنق الاسلام كرها واضطرارا، ودخل الى حظيرته نفاقا، ولم يدخل الايمان الى قلبه. وتمسكن حتى تمكن. وبدأ بالدعوة الى المساواة بين العجم والعرب، وهي

كلمة حق اراد بها باطلاً. وانتقل في مرحلة لاحقة، عندما سنحت الفرص وساعدت الظروف، الى الكشف جهارا عن حقده على العرب وكل ما هو عربي لسانا وفكرا وتاريخا. وانتهى الى الارتداد عن الاسلام، لان العرب قد جاءوا به، وكانوا السلف. وكان هذا التيار المتعصب الحاقد المعادي، للاسف، تيارا قويا عارماً جارفاً، استطاع ان يفرض نفسه على التاريخ الفارسي فرضاً، واحياناً قسراً.

وثانيهما: تيار حسن اسلامه، وصدق ايمانه، فأحب العرب حباً جماً، لانه اعتنق الاسلام باخلاص واقتناع وصفاء. وكان هذا التيار تيارا ضعيفا محاصرا في اغلب الفترات والمراحل والاحيان. بل انه كان ظاهرة تكاد ان تكون فردية اكثر من كونه ظاهرة عامة شاملة. ولكن صوته كان عالياً ومسموعاً في جميع الظروف، تعبيرا عن بارقة الامل وبذرة الخير للمستقبل الافضل. واذا كان خميني الحاقد المتعصب الجاهل المتخلف، وريثا تأريخيا ووليداً خبيثاً وامتدادا شريرا معاصرا للتيار الاول. فاطراف المعارضة المسلحة وفصائل المقاومة الايرانية، على اختلاف قومياتها وتعدد شرائحها

السياسية والدينية والمدنية والعسكرية هي الوريث الحقيقي والوليد الطبيعي والتعبير الامثل، في الواقع الراهن المعاصر والصراع المصيري الدائر، عن التيار الثاني الذي بدأ، وللمرة الاولى في التاريخ الايراني على الاطلاق، يقوى عوده، ويشتد ساعده، ويتسع حضوره، ويتزايد حجمه ودوره ونشاطه وتأثيره.

ثامنا. واذا اجرينا دراسة تحليلية ومقارنة دقيقة للحركات الشعوبية التي استفحلت في العصور العباسية، لوجدنا انها كلها بدون استثناء كانت حركات فارسية بالروح والمضمون والهدف والاسلوب، وان رموزها وشخوصها القيادية كانوا جميعا من الفرس. وراجع قائمة الاسماء، فتتأكد من هذا الواقع. وهي تبدأ من ابي مسلم الخراساني في العصر العباسي الاول وابي سلمه الخلال والفضل بن سهل، حتى تصل الى الوزير الخائن ابن العلقمي عشية سقوط بغداد بيد هولاكو في سنة ١٢٥٨م، بما في ذلك البرامكة في عصر هارون الرشيد. وانظر الى قائمة الحركات، فتقطع الشك باليقين. وهي سلسلة طويلة تشمل البويهيين والقرامطة والزنج والمقنع الذهبي والمختار الثقفي

واستاذسيس وفرق الغلاة وتنظيمات الباطنية وفصائل الحشاشين، وغيرها كثير.

وقد مارست هذه الحركات الشعوبية نوعا من العدوان الداخلي، واسلوبا من العمل الارهابي، ونمطا من التخريب الثقافي والعسكري والسياسي. ولعبت، بالتالي، دوراً اساسياً وحاسماً في استنزاف وانهاك واضعاف وتحييد اسباب القوة ومصادر المنعة وعوامل الحيوية وطاقات المقاومة. وادت في النهاية الى سقوط بغداد بيد هولاكو، كما اسلفنا القول، بعد ان اصبحت فريسة سهلة وغنيمة باردة ولقمة سائغة وثمرة ناضجة، فتسببت في زوال الخلافة العباسية، وانهيار الدولة العربية الاسلامية.

تلك هي بعض النتائج التي استخلصناها من استقراء وقائع التاريخ، وبعض الملاحظات التي حصلناها من تحليلنا الموضوعي للبيانات الاحصائية، وبعض الدروس المستفادة والعبر العملية التي تعلمناها من احداث الماضي وسوابق الصراع. وقد بحثناها من زوايا معينة تتعلق حصراً واقتصاراً بمفهومنا للامن القومي على المستوى الاقليمي في المنظور الاستراتيجي.

د. المبدأ الاساسي لمفهومنا عن الامن القومي على المستوى الاقليمي:

وختاما، في هذا الجزء من البحث عن الامن القومي، نود ان نتطرق الى المبدأ الاساسي الذي يتحكم بمفهومنا عن الامن القومي على المستوى الاقليمي الذي وصفناه كما تقدم. وينطبق هذا المبدأ على تركيا وايران معا. ونعني تحديدا المبدأ الثالث من مبادىء الاعلان القومي الذي أعلنه السيد الرئيس القائد حفظه الله في سنة ١٩٨٠، وينص هذا المبدأ على ما يلي بالحرف الواحد: (ويطبق المبدأ في البند الثاني على علاقات الامة العربية واقطارها مع الامم والدول المجاورة للوطن العربي، فلا يجوز اللجوء الى استخدام القوات المسلحة في المنازعات مع هذه الدول، الا في حالة الدفاع عن السيادة والدفاع عن النفس ضد التهديدات التي تمس امن الاقطار العربية ومصالحها الجوهرية).

هذا هو المبدأ الاساسي للامن القومي على المستوى الاقليمي بالمنظور القطري الذي يتحكم تحكما مطلقا غير مشروط بعلاقات ومواقف العراق مع الجارتين المسلمتين ايران وتركيا. ويعتبر هذا المبدأ تعهداً واضحاً وقاطعاً

والتزاماً صريحاً وابدياً من جانب العراق تجاه الجارتين المسلمتين ايران وتركيا. ولولا ان ايران قد بادرتنا بالعدوان بالفعل على الارض، وليس بالنوايا والمطامع والاحقاد فقط، لما كنا نخوض الان هذه الحرب الشرسة التي نخوضها في الوقت الراهن. ولكننا ننظر مع ذلك الى المستقبل نظرة مشرقة متفائلة تقوم على اليقين ان الانسان يمكن ان يتعلم وان يتغير بالتالي موقفا وسلوكا وتصرفا. ونأمل صادقين مخلصين ان تتغلب روابط الدين وحقائق الجغرافيا واواصر التاريخ ودواعي العقل والمنطق والمصالح الحقيقية المشتركة على دوافع الحقد والعداء والعنف والصلف والغرور والعناد المكابر، تحقيقا للاستقرار والامن والسلام والازدهار في هذه المنطقة من الوطن والعالم.

تلك هي اسس وثوابت استراتيجية الامن القومي على المستوى الاقليمي بمفهومنا.

٤. مفهومنا للامن القومي على المستوى الدولي

عندما ننتقل الان من البحث عن الامن القومي على المستويات القطرية والقومية الى البحث عن الامن القومي

على المستوى الدولي، نكون قد انتقلنا من عالم معين الى عالم آخر مختلف تماماً بالنوع في الاجواء والاساليب والخصائص الميدانية. ولعل هذا العالم اشبه ما يكون بغابة مفتوحة مكتظة بالدول المتصارعة والكيانات المستقلة والقوى والمصالح المتضاربة التي لا يحد من تطلعها نحو تحقيق مصالحها الا عدد قليل من الضوابط والحدود والقوانين والاعراف التي استطاعت الانسانية بجهد جهيد وتطور طويل أن تفرضها نسبياً على العلاقات بين الدول في المسرح العالمي. ومن الواضح ان اختلاف طبيعة الموضوع وحقيقة البيئة السياسية التي تحيط بالامن القومي على هذا المستوى، تقتضي وتستلزم اساليب مختلفة ومنطلقات اخرى واسس جديدة في التفكير والتحليل والتخطيط والتنفيذ، غير تلك التي أشرنا لها وتحدثنا عنها في بحثنا عن الامن القومي على المستويات الاخرى. ما الذي تقتضيه وتسلتزمه هذه الاوضاع الجديدة التي نواجهها على مستوى العالم وتختلف في نوعيتها عما واجهناه على المستويات القطرية والقومية والاقليمية؟

يتلخص رأينا، ان الامن القومي على المستوى الدولي يحتاج الى ثلاثة محاور اساسية، تلعب دوراً ربما يكون

حاسماً احياناً، وتترك أثراً قد يكون بارزاً في بعض الجوانب. وهي كما يلي:

أ. المعرفة الواضحة الدقيقة:

من اهم وابرز شروط التخطيط الاستراتيجي للامن القومي على المستوى الدولي، ان ينطلق من المعرفة الواضحة والدقيقة للاوضاع الدولية، والمتابعة اليومية الواعية للتطورات التي تحدث فيها والتغيرات التي تطرأ عليها، حتى ولو كانت تبدو في الظاهر طفيفة او ثانوية او صغيرة، ويدخل في هذا المعنى مثلاً ما يتعلق بالتحالفات والمصالح والمواقف والاتجاهات والموازنات. فالحكمة تقتضي ان لا يكتفي المرء بالتفرج، ولا ان يكون طرفاً سلبياً يتلقى النتائج من الاطراف الاخرى. بل ينبغي ان يلعب دوراً ايجابياً، وان يساهم في تكوين الوضع الدولي بما ينسجم ويتلاءم مع مصالح واهداف الطرفين الوطني والدولي على حد سواء. وقد استوحينا هذا المبدأ من توجيهات ثاقبة واحكام سديدة وردت على لسان السيد الرئيس القائد حفظه الله في كتابه المعنون (نضالنا والسياسة الدولية). وافاد فيها ما يلي بالحرف الواحد: (ليس المطلوب ان تكون قرارات الدولة العراقية صائبة بحساباتنا الموضوعية والعملية فحسب

وانما المطلوب بالمضاف.. ان تتعمق وتبقى جسور من الثقة، بيننا وبين اوساط عالمية يهمنا رأيها في القرار الذي نتخذه، وهذا يتطلب ان تكون قراراتنا مفهومة ومنطقية، وان تكون مقنعة لهذه الاوساط حيثما امكن..)[٣٧]، (.. من البديهي القول، ان علاقتنا يجب ان تكون جيدة مع دول العالم عموما، الا ان مثل هذا التعميم ليس هو الامر المطلوب لفت الانتباه اليه، بل ان ما اردنا لفت الانتباه اليه هو حجم ونوع واتجاهات العلاقة واغراضها.. لان حجم العلاقة والغرض منها يرتبطان بالمصالح المشتركة ومستوى واتجاه التقاء او تفاعل الاستراتيجيات...)[٣٨]، (.. فاذا اتفقنا على ان السياسة الدولية الان في مرحلة تكون على نحو جديد، فانه يتوجب علينا ان نزيد فاعليتنا وقدرتنا التخطيطية والتنفيذية، لكي نثبت رقعتنا ودورنا المحددين على الكرة الارضية، في المكان والزمان اللذين نريد تثبيتهما فيهما، لكي نكون مؤثرين وموجودين.. ان عملية التكون في السياسة الدولية يشارك فيها الجميع. كعوامل اساسية كل من موقعه وحسب ظروفه وقدراته في التأثير....)[٣٩] و (.. نحن نرى ان

---

(٣٧) السيد الرئيس صدام حسين، نضالنا والسياسة الدولية (بغداد: دار الثورة للطباعة، ١٩٧٧) الصفحتان ١١ ـ ١٢.

(٣٨) نفس المصدر، الصفحتان ١٢، ١٣.

(٣٩) نفس المصدر، ص ١٤.

«هناك في الوطن» فهمين خاطئين، ويكونان احيانا في بعض جوانبهما منحرفين في تصور موازين القوى الدولية، وتأثيرات التيارات الدولية في القضايا الوطنية. فالبعض يفهم القضية الوطنية على انها اسيرة التيارات الدولية، في نهوضها او في تفوقها او اخفاقها، وتصور الامور وكأنها قضية قدرية بحيث تسلب منا الارادة في تكييف التيارات الدولية والتأثير فيها، وتسلب منا الارادة في القدرة على الحركة، بغض النظر عما تكون عليه التيارات الدولية واتجاهاتها.. والبعض الاخر لا يقيم وزنا للتيارات الدولية ولموازين القوى الدولية في فهمه، ولا يضع لها قيمة في حسابه، فهذا البعض يقول اننا نستطيع بارادتنا الوطنية ان نقرر كل شيء، وان نرسم اتجاهه، وبدون ان تكون هناك حاجة لفهم التيارات الدولية واتجاهاتها وتأثيراتها. هذان التياران هما السائدان في الوطن العربي، ولقد مرت الامة العربية في مرحلة من الزمن، كانت خلالها لا تقيم وزنا لما هو خارج الوطن القومي او القطري، وهي تتصور بأن كل شيء يحصل ضمن حدود القطر بأمكان الانسان ان يتصرف فيه كما يشاء، بغض النظر عن اتجاهات السياسة الدولية وتأثيراتها وصلتها به.. وقد انتهت تلك المرحلة، وجاءت مرحلة بدأ العرب خلالها يهتمون بالسياسة الدولية، الا ان البعض منهم كان يغالي في قدرة تأثيرات السياسة الدولية

على القضايا الوطنية، ويصورها بانها قادرة على ان تسلب الارادة الوطنية وقدرتها على التأثير المستمر. فكيف نفهم السياسة الدولية، وكيف نهتم بها؟ في البدء نحن نفترض ان تيارات السياسة الدولية خارجنا تتكون في تأثيراتها وفي اتجاهاتها من مجموعة عوامل، يكون لدول اخرى غير امريكا والاتحاد السوفيتي دور فيها، وان هذا الدور يفعل فعله في تشكيل اتجاهات السياسة الدولية الاميركية او تشكيل اتجاهات السياسة الدولية السوفيتية.. اذن فنحن نفترض اننا كعرب او كعراقيين او مصريين لنا دور في تكييف السياسة الدولية وتحديد اتجاهاتها، وهذا يعني ان السياسة الدولية لا ترسم خارج اطار ارادتنا دائما، بل لارادتنا دورا في تكييفها.. فنحن قادرون على المشاركة في صنع اتجاهات السياسة الدولية السوفيتية، وقادرون على المشاركة في صنع اتجاهات السياسة الدولية الامريكية...)[٤٠]، و (.. اننا في الوقت الذي نؤكد على الدور الحاسم للارادة الوطنية والقومية، لا يجب ان نخدع انفسنا فنهمل معرفة اهمية وضرورة العوامل الدولية)[٤١].

وفي هذا الكتاب نفسه يتحدث السيد الرئيس القائد حفظه

---

(٤٠) نفس المصدر، ص ١٧.

(٤١) نفس المصدر، ص ١٢.

الله عن الدور الذي تلعبه العوامل المضافة في توقيت القرار وفي اخراجه، باعتبار انها تشكل عنصراً مهماً في حساباتنا العامة وفي اتخاذ القرار المعين لضمان فاعلية افضل باتجاه الهدف.(٤٢) ومن الواضح ان الاخراج الصحيح للقرار يشير الى عامل اخر من عوامل المعرفة الواضحة والدقيقة في السياسة الدولية، ويدل دلالة صريحة ان المعرفة الواضحة والدقيقة تقتضي مخاطبة الطرف الاجنبي المقابل باللغة التي يفهمها والمنطق الذي يقبله، وليس ان نخاطبه كما لو كان بعضنا يخاطب البعض الاخر.

ب. الواقعية الحكيمة الصارمة

لا بديل عن الواقعية تحقيقاً للمصلحة الوطنية في السياسة الدولية. وتقتضي مثل هذه الواقعية ان نطلب الممكن وليس المستحيل، وان نحدد الاولويات حتى لا تختلط علينا او تضيع منا في خضم المناورات والتحركات السياسية والدبلوماسية. لاشيء في السياسة الدولية يمكن ان يتحقق مجاناً. وقد سبق ان ميزنا بين الاهم والمهم والاقل اهمية وغير المهم. وتلك هي شروط مسبقة لكي نعرف ماذا نقدم وماذا

---

(٤٢) نفس المصدر، الصفحات (٥٧، ٥٨، ٥٩، ٦١).

نستلم، ماذا نأخذ وماذا نعطي. لان السياسة الدولية لا تتعامل بلا ثمن تعاملاً انسانياً بالعواطف المتقابلة او المجاملات المتبادلة. وانما في ضوء حسابات الربح والخسارة. والسؤال الاساسي في هذه الحسابات للارباح والخسائر يفترض ان يكون دائماً ما يلي: هل ربحنا اكثر مما خسرنا؟ وهل كسبنا ما نعتبره الاهم وان تجاوزنا عما كنا نعتبره مهماً في يوم من الايام؟

ومن حقائق السياسة الدولية التي تغيب وتفوت احياناً عن عقول واذهان غير المطلعين عليها والمتمرسين بها، انك احياناً قد تبدو في الظاهر وفي الاجل القصير والمدى القريب كما لو انك قد خسرت شيئاً مذكوراً، ولكنك في الحقيقة وفي الحسابات المستقبلية البعيدة المدى الطويلة الاجل تكون قد ربحت وكسبت ما هو اكبر واعظم واهم. ولنتذكر بهذا الصدد ان من (.. يريد ان يبني علاقاته الدولية على اساس من الثبات والاستمرارية عليه ان يتحمل بعض التضحيات المؤقتة من اجل تحقيق الغايات الستراتيجية التي يستهدف منها في سياسته)[٤٣].

---

(٤٣) من خطب واحاديث الرئيس القائد صدام حسين في معركة قادسية صدام، الجزء السابع، مصدر سبق ذكره، ص ١٩٢.

واستطراداً في تحليل معنى الواقعية، تأتي الى اذهاننا حقيقة اساسية معينة من حقائق السياسة الدولية. ويبدو واضحاً ان مسافة طويلة وفجوة واسعة تفصل الان بين الطموح والواقع، وبين عالم الفضائل والقيم والمبادىء الانسانية والاخلاقية وعالم الحسابات والمصالح والقوى والحقائق والوقائع الاستراتيجية. ونحن نأمل ان يقوم عالم جديد في يوم من الايام، يتميز بالحرية والعدالة والصراحة والانسانية التي تربط جميع الامم والدول دون تمييز ولا استثناء. ولكن هذا العالم الذي نتمناه، ليس قائماً الان، وربما لا يتحقق او يقوم كاملاً وكلياً في وقت قريب او مستقبل منظور. ومن هنا، ينبغي ان نكون من المتمرسين في لعبة الامم، وان نحذر حذراً واعياً متحسباً من ان يغلبنا الماكرون او يبتلعنا الاقوياء. فالمبدئية لا تلغي التصرف السياسي. ولكن القيم والفضائل والاخلاق تستمر مع ذلك قانوناً للسلوك ومقياساً للتصرفات واساساً للروابط، ليس فقط في العلاقات بين الافراد والمواطنين في المجتمع الواحد. بل ايضا في العلاقات الخاصة والمتميزة التي تربط دولاً اما متجاورة جيرة ابدية من النواحي الجغرافية والتأريخية، واما تقربها من بعضها البعض مصلحة حقيقية مشتركة، واما تجمعها اعتبارات استراتيجية متقاربة، او متوازية، او بين دول تربطها روابط قومية وتأريخية ومصيرية اساسية وتنتمي

كلها الى امة واحدة، على الرغم من تعددها وتنوعها، من نوع العلاقات الفريدة التي تربطنا بالاقطار العربية الاخرى الشقيقة في هذه المنطقة من العالم. هنا نحن اخلاقيون ومبدئيون دون تردد ولا تحفظ على الاطلاق. ولكن الواقعية التي نعنيها تنطبق حصراً وتحديداً واقتصاراً على المواقف والخطط والقرارات التي تتطلبها السياسة الدولية. وحتى في هذه الساحة، نحن نراهن على مستقبل افضل، ونلتزم بنقاء السريرة وشرف المعاملة والحرص على الصداقة، وصدق الكلمة والمبادىء الاخلاقية والانسانية، دون غفلة ولا غفوة، ويكفي ان نتلمس الابعاد الاخلاقية والاسس المبدئية لتعامل العراق في السياسة الدولية من خلال مقولة مأثورة للسيد الرئيس القائد حفظه الله، تؤكد: (.. اننا نبقى نتعاون ونتعامل بشرف مع اصدقائنا، بدون نظرة انتهازية).[٤٤]

واذا كانت تبعاً لذلك المصداقية الاخلاقية تتمتع باهمية خاصة في العلاقات الشخصية، فان المصداقية السياسية اهم اضعافاً مضاعفة في السياسة الدولية.

---

(٤٤) السيد الرئيس صدام حسين، معركة الاستقلالية والسياسة الدولية (بغداد، دار الحرية للطباعة، ١٩٧٨) ص ٧٢.

جـ. المرونة المحسوبة

تتعدد وتتباين منطلقات الاداء والتعامل والتفاعل بين الدول، تبعاً لمدى القناعة المسبقة بتحكيم العقل والالتزام بالرشادة. بمعنى تغليب العقلانية على الانفعالية والتسرع. ومن بين التعبيرات المهمة لتحكيم العقل، المرونة والمعية التصرف المرتبط بها. ولكن أية مرونة نقصد؟ اننا لانقصد بها تلك التي تكون احيانا ستاراً للضعف وتبريراً للأستسلام وجسراً للعجز والتخاذل والردة. أي المرونة، بمعناها السلبي اي المرونة السياسية السلبية. وانما نقصد بها تلك التي تكون جسراً نحو طريق حسم الظروف بأتجاه الهدف الاستراتيجي. لأن المرونة «... اذا لم تكن مرتبطة بهدف سوقي مركزي... تتحول الى غطاء للردة. أما عندما تكون المرونة جزءاً من العملية الثورية الفاعلة بأتجاه الهدف السوقي المركزي، فأنها تكون خطوة الى امام»(٤٥). والمرونة بهذا المعنى الايجابي هي التي يسميها السيد الرئيس القائد حفظه الله بالمرونة الثورية، ولأن المرونة ترتبط بظروف ووقائع محددة، لاحاجة بنا للقول انها تتضمن الابتعاد عن

---

(٤٥) السيد الرئيس صدام حسين، العراق والسياسة الدولية (بغداد: دار الحرية للطباعة، ١٩٨١)، ص ٨٧.

التشنج وضيق الافق وقصر النظر، فضلاً عن الانطلاق من سياسة الحد الادنى.

ومن الواضح ان كل عمل تاريخي يكون مرحلياً بالطبيعة والضرورة. لأنه لايمكن، كما تم ذكره، أن يتحقق دفعة واحدة بين عشية وضحاها. بل يتحقق تدريجياً بدفعات متعاقبة ومتصاعدة اقتراباً من النتيجة النهائية والمحصلة الاخيرة. ولنتذكر ان في كل مرحلة هناك ممكناً ومستحيلاً. وفي كل عمل هناك حد اعلى وحد ادنى. وبين هذين الحدين هناك فسحة واسعة من حرية الحركة والمناورة تتوالى فيها الفرص والسوانح، صعوداً وهبوطاً، تقدماً وانسحاباً، تماماً بصيغة القول المعروف: خطوة الى الخلف، خطوتان الى الامام. وبدون المرونة الثورية تفقد حركة الدولة خصائص التأقلم والتكيف الهادف وبالاتجاه الذي يجعلها في عزلة سياسية دولية. والعزلة، في عالم اليوم، تعني اختيار الموت ببطء. لان من السمات الاساسية لهذا العالم، سمة التفاعل: التأثير والتأثر.

تلك هي المحاور الاساسية الثلاثة التي تلعب دوراً بالغ الخطورة والاهمية في استراتيجية الامن القومي بمفهومنا على المستوى الدولي. وقد حدد الاعلان القومي موقفاً واضحاً وصريحاً وأساسياً في السياسة الدولية. وأفاد في البند

السادس مايلي بالحرف الواحد: (ابتعاد الاقطار العربية عن دائرة الصراعات او الحروب الدولية، والتزامها الحياد التام وعدم الانحياز أزاء أي طرف من اطراف الصراع او الحرب، مالم ينتهك احد اطراف الصراع او الحرب، السيادة الاقليمية العربية، والحقوق الثابتة للاقطار العربية التي تكفلها القوانين والاعراف الدولية، وامتناع الاقطار العربية عن اشراك قواتها العسكرية ـ كلاً أو جزءاً ـ في الحروب والمنازعات العسكرية في المنطقة وخارجها، نيابة عن أية دولة أو جهة أجنبية).

وقد أضاف السيد الرئيس القائد حفظ الله، فهماً متميزاً وبعداً جديداً على هذا المفهوم بقوله: «ان الاستراتيجية الامريكية تنتشر على كل الكرة الارضية، وليس على جزء منها، وهي تطمح أن تجعل العالم كله يتحول الى الاتجاه والشكل الذي تفكر فيه هي. وكذلك الاستراتيجية السوفيتية التي تنتشر على كل الكرة الارضية، وتطمح في أن تجعل العالم يؤمن ويعمل بما يؤمن به ويعمل من أجله السوفيت...»[٤٦] وان «... امريكا والاتحاد السوفيتي هما الان اكبر دولتين في العالم. وفي تصورنا أن السنوات العشرين القادمة، سوف

---

(٤٦) السيد الرئيس صدام حسين، نضالنا والسياسة الدولية، مصدر سبق ذكره، ص ٦١ ـ ٦٢.

تشهد مراكز قوى ومراكز استقطاب جديدة، تؤثر في السياسة الدولية تأثيراً قيادياً بالاضافة الى مركزي الاستقطاب الحاليين. ففي تصورنا أن الصين سوف تكون مركزاً كبيراً للتأثير والاستقطاب. وأوربا، التي ستلعب فيها فرنسا دوراً مهماً، ستصبح محوراً متميزاً في عملية التأثير والاستقطاب. وسيكون لليابان، وبخاصة اذا ماقررت ان تدخل مجال صناعة بعض الانواع الاستراتيجية من الاسلحة، وعلى نطاق مهم ودولي، دور فاعل ومؤثر في عملية التكون في جنوب شرق آسيا.. هذا هو الاستنتاج الذي نتبناه للسنوات العشرين القادمة. ومادام ذلك كذلك، فلابد أن نحدد كيفية التعامل، لا على أساس الامر القائم، وأنما على أساس المتصور، وأن نحسب الخطوط الاساسية لسياستنا مع كل مركز من مراكز التكون الموجودة منها، والتي ستتشكل في المستقبل، على هذا الاساس»[٤٧]. فمثل هذا التقدير، يضع على كاهلنا مهامَ جديدة في كسب تأييد اضافي من بعض مراكز الاستقطاب المتكونة او المتصورة، وان لانجد في تعدد مراكز الاستقطاب وفق هذه الحسابات، ومايتعارض ونضالنا القومي والوطني. فحيث تتعدد مراكز الاستقطاب في العالم تكون فرص الحركة والتصرف في السياسة الدولية اوسع

---

(٤٧) نفس المصدر، الصفحتان ١٤، ١٥.

بالنسبة لنا[٤٨]. سيما وان «... هناك تطوراً مهماً في مواقف الكثير من دول العالم لاعتبارات كثيرة، فـأذا ماكثـر عدد مراكز الاستقطاب، فعلينا ان لانتعامل مع مركز واحد، ونترك المراكز الاخرى، وانما يتـوجب ان نكون مـؤثرين بصيـغ المصالح المتبادلة او التقاء الاستراتيجيات او بهما معاً، في مراكز محسوبة من مراكز الاستقطاب، لأنه من غير الممكن ان نكـون مؤثـرين، بنفس الحجم والقوة، في كـل مـراكـز الاستقطاب»[٤٩].

ولاشيء أوضح من الوضوح. وقد وضع السيد الرئيس القائد حفظه الله النقاط على الحروف، وحدد الطريق، ورسم معـالم المستقبل، للأمن القـومي بمفهومنـا على المستـوى الدولي. وفي ضـوء ماتقـدم، مـاذا يمكن ان نستـوحي من مبادىء؟ وماذا يمكن أن نستخلص من نتائج؟ يبدو واضحاً أن الامن القـومي بمفهومنـا على المستـوى الدولي يقتضي ويستلزم الامتناع امتناعاً واعياً عن الانحياز انحيازاً كاملاً الى احدى الدولتين العظميين.

فـالانحياز المـطلق يعني بالضـرورة التبعية. والتبعيـة

---

(٤٨) نفس المصدر، ص ١٧.

(٤٩) نفس المصدر، الصفحتان ١٩، ٢٠.

لاتلغي القدرة على اتخاذ القرار السياسي الخارجي في هدى المصالح الوطنية والقومية فحسب، وانما تدفع كذلك الى التصرف بالنيابة عن هذه الدولة العظمى أو تلك، ولصالحها. ومن هنا، نستطيع أن ندرك لماذا تصر قيادتنا على الاستقلالية الحقيقية في التعامل مع الدول الكبرى والعظمى، وترفض أن تتحول علاقات الصداقة بين العرب وهذه الدول الى اغطية للتبعية(٥٠)، أو تبني سياسة الذي يقترب منا او نقترب منه(٥١).

ويتبع ما تقدم ضرورة ان تكون العلاقات مع الدول الكبرى والعظمى علاقات متوازنة في الرؤية والتصرف. لفوائدها المعروفة. وبهذا الصدد نود الاشارة الى مسألة تبدو لنا على قدر عال من الاهمية، وهي ان العلاقات المتوازنة ليست ميزاناً مادياً محسوباً بالاوزان المعروفة حساباً كمياً دقيقاً مقرراً، بحيث نضع ٥٠٪ مثلاً في كفة الولايات المتحدة الامريكية، و ٥٠٪ في كفة الاتحاد السوفيتي. لان حدة ودرجة حجم الميلان ونوعه تقررها مصالحنا وظروفنا

---

(٥٠) للمزيد من التفاصيل راجع: حديث السيد الرئيس القائد صدام حسين الى مجلة الوطن العربي، مصدر سبق ذكره، ص ١٤.

(٥١) من خطب واحاديث السيد الرئيس القائد صدام حسين في معركة قادسية صدام، الجزء الثامن، مصدر سبق ذكره، الصفحتان ٢٢ ـ ٢٣.

وحساباتنا في كل قضية، وفي كل مرحلة، بما في ذلك مواقف واتجاهات الطرف الآخر. ومن أهم المبادىء العامة للأمن القومي، والزمها للمفهوم الذي نقصده، ما يتعلق بحقيقة أساسية من حقائق السياسة الدولية على امتداد العالم والتاريخ. ويمكن تلخيص هذا المبدأ في عبارة مكثفة وخلاصة مضغوطة بالآتي: كلما كانت شبكة علاقاتنا الدولية اوسع وامتن وأقوى، كلما كانت مصداقيتنا قولاً وفعلاً ارسخ واثبت واعلى، كلما ازدادت حرية حركتنا وارتفعت درجة قدرتنا على المناورة واستقلالية قرارنا. ماذا نقصد بأستقلالية القرار؟ وماذا نعني بالاستقلال؟.

يمتاز العالم الحديث بالسرعة والسهولة في وسائل الانتقال وفي وسائل الاتصال، حتى يمكن ان يقال انه يصغر وينكمش بأستمرار. وقد شهد العصر الراهن ثورة تكنولوجية من هذه الناحية لم يعرف لها مثيلٌ في التاريخ. والآن، قام وضع جديد احدث تطوراً جذرياً في مفهوم الاستقلال(٥٢) ومعنى الاستقلالية. فالاتحاد السوفيتي مثلاً ليس مستقلاً استقلالاً كلياً كاملاً مطلقاً. لانه لايمكن ان يتصرف كما لو

---

(٥٢) للتعمق بمعرفة هذا المفهوم راجع: الدكتور سعدون حمادي، نحو توضيح ادق لمعنى الاستقلال في السياسة الخارجية، مجلة الحقوق، بغداد، العددان الاول والثاني، ١٩٧٩. ص ٢١.

كـان الدولة العـظمى الوحيـدة في العـالم. لأن الظروف الموضوعية تلزمه ان يأخذ بنظر الاعتبار حدود قوته ومايمكن ان ترفضه او تقبله الولايات المتحدة الامريكية. ومن جهة اخـرى، وللاسباب نفسهـا، ليست الولايات المتحـدة دولة مستقلة استقلالاً كلياً كاملاً مطلقاً. ولكن هذه الظاهرة قد اصبحت في الظروف الراهنـة والتطورات الجـديدة اكثـر تعقيداً واشد اختلاطاً من مجرد العلاقة بالقوتين الاعظم.

فالصين مثلاً، او رومانيا، او دول اوربا الشرقية الاخرى، قد اصبحت قيـداً اضـافيـاً يحـد من استقـلاليـة الاتحـاد السوفيتي. لأنه لايستطيع الا ان يأخذ مصالح تلك الدول او ردود افعالها المتوقعة او المحتملة بنظر الاعتبار، ويدخلها في الحسابات الاستراتيجية للقرارات التي يتخذها. ومن جهة اخرى، فأن اليابان او فـرنسا او دولاً اخـرى في التحالف الغربي، قد اصبحت هي الاخـرى قيداً مضـافاً يحـد من استقلالية الولايات المتحدة الامريكية التي لاتستطيع الا ان تأخذ مصالح تلك الدول ومواقفها وردود افعالها المتوقعة او المحتملة بنظر الاعتبار، وتدخلها في حساباتها الاستراتيجية.

بل ان استقلال كل دولة يحد من استقلال كل دولة اخرى قليـلاً او كثيراً. ويـدخل في هـذا المعنى، وكما ورد ذكـره، مايسميه الخبراء الاستراتيجيون بحدود القوة او مايصفه بعضهم بعجز القوة، او قوة الضعيف وضعف القوي. لأن

الدولة العظمى مهما كانت درجة قوتها لاتستطيع احياناً ان تمارسها بالفعل في مواجهة دولة صغيرة او ضعيفة، كما حدث، فعلاً، للولايات المتحدة الامريكية في لبنان، وللاتحاد السوفيتي في افغانستان. ويعود هذا العجز الى الوضع الذي يصوره المثل الشعبي القائل «انك لاتستطيع ان تقتل النملة بالسيف» او «ان النملة تستطيع ان تؤذي الفيل دون خوف من النتائج والعواقب».

ولكننا ينبغي ان نتحفظ في هذا المعنى تحسباً من الخلط والالتباس والتشويش. ونحن نميز تمييزاً واضحاً ودقيقاً وقاطعاً بين الضغوط والتهديدات الاجنبية والخارجية التي تمارس بقصد التأثير على نوع واتجاه القرار الوطني المستقل، وبين الحسابات الموضوعية للبدائل والموازين والمصالح والقرارات التي تتخذها الامم الحرة والدول المستقلة، بصيغ المصالح المتبادلة او التقاء الاستراتيجيات، او بهما معاً، كما افاد السيد الرئيس القائد حفظه الله[٥٣]. فألتقاء المصالح والاستراتيجيات لايلغي سمة الاستقلالية عن الدولة. فالدولة المستقلة هي تلك الدولة القادرة على ان

---

(٥٣) السيد الرئيس صدام حسين، نضالنا والسياسة الدولية ص١٩.

تقرر بدون تأثير خارجي من تيارات الدول العظمى[٥٤]. ذلك لأن السياسة المستقلة هي الضمـان الاكيد للامن الوطني والسيادة الوطنية وللرفـاهية والتقـدم[٥٥]. فالأمن الحقيقي يكمن في الاعتماد على الذات اساساً وليس على الضمانات الدولية. فالاخيرة قد تؤدي الى السقوط في الوهم. وتلك هي بعض تصـوراتنا المـوثقـة واجتهـاداتنـا المـدروسـة عن استراتيجية الامن القومي بمفهومنا على المستوى الدولي.

---

(٥٤) من خطب واحاديث الرئيس القائد صدام حسين في معـركة قادسية صدام، الجزء الخامس، مصدر سبق ذكره، ص ٢٥٥.

(٥٥) نفس المصدر، الجزء السابع، ص ١٩.

الفصل الرابع

الامن القومي بمفهومنا
في مواجهة الارهاب الدولي

١ . مبادىء ومنطلقات وأسس

لا يستكمل البحث في مفهومنا للامن القومي على المستوى الدولي معالمه او يستوفي معانيه، دون تحديد موقف واضح وصريح من ظاهرة الارهاب الدولي.

لان الامن بكافة اشكاله وانواعه وصوره، القطرية والقومية والاقليمية والدولية، يتأثر بظاهرة الارهاب التي تحملها الدول على محمل الجد في خططها ومواقفها وحساباتها. وقد اتخذ العراق موقفاً واضحاً وصريحاً وقاطعاً ونهائياً من ظاهرة الارهاب على المستويات القومية والاقليمية والدولية على حد سواء. واساس هذا الموقف هو ان (.. مسؤوليتنا ليست ذات اطار اناني ضيق وانما نحن دائماً عندما نتمسك بحقوقنا ومبادئنا فأننا نرى الانسانية أمامنا بوضوح ...)[١].

وهكذا اشتق هذا الموقف من حسابات استراتيجية دقيقة، وقيم اخلاقية راسخة، ومصالح سياسية عادلة ومشروعة، في وقت واحد معاً. ويقوم موقفنا من الارهاب

---

(١) من خطب واحاديث الرئيس القائد صدام حسين في معركة قادسية صدام، الجزء السادس، مصدر سبق ذكره، ص ٤٨.

الدولي على المبادىء والمنطلقات الاساسية والثابتة التالية:ـ

أ. ان العراق يواجه ويقاوم الارهاب الدولي. ويدخل في هذا السياق، ان العراق لا يستخدم الارهاب ولا يساعده ولا يأويه ولا يحميه ولا يدعمه ولا يشجعه بأي شكل من الاشكال ولأي غرض من الاغراض على الاطلاق، منفرداً او بالمشاركة مع دولة اخرى او جماعة معينة، كائنة ما كانت. لاننا، كما يؤكد السيد الرئيس القائد حفظه الله: (.. لا نعتقد انه الطريق الصحيح للتعامل مع الحياة في مجرى السياسة التي تخدم الامة العربية وقضية فلسطين..)[2].

ب. ان العراق يستنكر ويشجب ويدين ظاهرة الارهاب بكل اشكالها وعلى اختلاف انواعها. ويقف في خندق واحد مع المجتمع الدولي بأسره في ادانتها ومحاربتها. ويتعاون بجهده الخاص دون تحفظ ولا تردد، بالاشتراك مع الانسانية المتمدنة جمعاء، في معاداة هذه الظاهرة، وما نجم عنها وترتب عليها وارتبط بها، من جرائم بشعة ومذابح دموية وعمليات وحشية، استهدفت الابرياء، ولا يمكن ان تعود على اصحابها او القضايا التي يزعمون انهم يحرصون عليها ويتمسكون بها ويدافعون عنها، الا

---

(٢) نفس المصدر، الجزء الخامس، ص ١٨ـ١٩.

بأوخم العواقب وأسوأ النتائج وأفدح الاضرار. فأسلوب الارهاب لا يحقق مكاسباً ولا يخدم اهدافاً. ويصح وينطبق هذا الموقف العراقي الصريح والواضح والحاسم، على العمليات الارهابية التي ارتكبت في الماضي، او التي ترتكب الان في الحاضر، او تلك التي سترتكب في المستقبل القريب او البعيد، في وقت واحد، وعلى حد سواء.

جـ- ان العراق يعتقد اعتقاداً اخلاقياً راسخاً بحقوق الشعوب المظلومة والاوطان المحتلة في مقاومة الظلم والاحتلال. ولكنه يعتقد ايضاً ان هذا القصد المشروع والهدف العادل قد يتعرض الى التشويه والضرر والسوء باستخدام الاساليب الخاطئة، ولو بحسن نية أحياناً. ويدخل في هذا المعنى ان نبل المقاومة وشرف القضية وجلال العدالة يرتبط ارتباطاً وثيقاً ومباشراً ليس بالهدف فقط، بل بالاسلوب والنطاق والمكان أيضاً. لان القضية النبيلة العادلة لا تستدعي ممارسة جرائم بشعة ادانتها الانسانية جمعاء. وقد أثبتت التجارب والوقائع والاحداث، ان بعض حركات المقاومة التي تحدث في الخارج، وليس في الداخل حيث يقع الظلم او يوجد الاحتلال، والتي تستهدف المدنيين الابرياء العزل

من السلاح، وليس العسكريين الذين يحملون السلاح بالفعل ويفرضون الظلم بالحديد والنار او يكرسون الاحتلال بالتعاون مع الاجهزة والمؤسسات والعناصر القيادية التي تلعب دوراً قمعياً. مثل حركات المقاومة هذه لا تحقق خيراً ولا تنفذ هدفاً او تحرز كسباً، بل ان العمليات الخارجية ضد الاهداف المدنية ادت وتؤدي دائماً الى مردود عكسي وتأثير سلبي وخسران مبين. هذا هو الموقف الحقيقي والثابت للعراق. وهذه هي اسسه وثوابته ومنطلقاته للامن القومي في مواجهة الارهاب الدولي. وقد يكون للغير موقف اخر. ولكنه لا يتعلق بنا ولا يتوقف علينا. ونحن لسنا بمسؤولين عنه او محاسبين عليه. لنا موقف اعلناه. وللاخرين ربما مواقف مختلفة يسألون عنها ويحاسبون عليها. ولكل امرىء ما نوى. وليس للانسان الا ما سعى. ولا تزر وازرة وزر اخرى.

ان هذه المبادىء الثلاثة التي تحدد موقفنا من الارهاب الدولي على مستوى الامن القومي انما هي مبادىء ومواقف جدية وصريحة وقاطعة واستراتيجية. وهي ليست حالة اضطرارية ومرحلة عابرة وخطوة تكتيكية.

كان العراق من اوائل الدول التي تعرضت الى الارهاب

العشوائي والعنف الجامح وعانت منه. ويكفي ان نتذكر مثلاً كيف ان المخابرات الاسرائيلية استهدفت عدداً من علماء الذرة العراقيين والعرب العاملين في العراق وقتل بعضهم. ولايزال العراق من اكثر الدول استهدافاً وتعرضاً للارهاب بكل اشكاله وانواعه. ونحن لسنا من الذين يمضغون الكلمات ويزيفون الحقائق. ومن هنا، فأننا نشير بأصابع الاتهام الصريح، ونعلن للعالم أجمع، ان ظاهرة الارهاب الدولي ما كان يمكن ان تستغل وتنتشر وتتصاعد كما هي اليوم، بحيث لم توفر شيئاً او احداً على الاطلاق شرقاً وغرباً، لولا الادوار الخبيثة التي لعبتها، والجهود الشريرة التي بذلتها، والدسائس الماكرة التي حبكتها، الكونفدرالية الارهابية والعصابة الدموية، وفي مقدمتها النظامان الحاكمان في ايران وسوريا. ان العراق يطالب العالم اجمع، وكافة دوله على الاطلاق، بجهد مكثف وعمل مشترك للقضاء على هذه الظاهرة الهمجية التي طالب الجميع دون تمييز ولا استثناء بموقف حاسم يقطع دابرها، ويرد كيدها، ويحقق للانسانية المتمدنة التي تصبو الى الامن والاستقرار والسلام والازدهار، ما تريده وتتمناه عن جدارة واستحقاق. ان العراق لا يأتي الى العالم بالسذاجة الحالمة، بل بالحكمة الواقعية. وان العراق لا يأتي الى العالم خاوي الوفاض، حاسر الرأس، صفر اليدين، بل انه يأتي الى العالم مسلحاً

بالدروس التي تعلمها، والتجارب التي خاضها، والنتائج التي استنبطها، والحلول التي حققها، بالدماء الطاهرة والتضحيات الغالية والجهود الدائبة. وليس العراق، كما يبدو الان واضحاً لكل ذي بصر وبصيرة، من الدول التي تتخذ من ظاهرة الارهاب الدولي موقف المراقب او المتفرج او المحايد الجالس على التل. بل أنه طرف مباشر وشريك موضوعي في المعركة التي يخوضها المجتمع الدولي ضد الارهاب الدولي.

وقد تطرق السيد الرئيس القائد صدام حسين حفظه الله الى الارهاب الايراني في مقابلة صحفية هامة اجراها معه الصحفي الكويتي الاستاذ احمد الجار الله رئيس تحرير جريدة السياسة سنة ١٩٨٥. وتناوله حفظه الله بالتحليل الدقيق والوضوح المعروف عنه والمشهود له. وحدد موقفاً مدروساً منه. اقترن بالنظر البعيد والذهن الوقاد والفهم الثاقب. ولايزال هذا الحديث يحتفظ حتى الان بأهميته ومصداقيته وفائدته.

فأفاد حفظه الله في عبارة مختارة تتعلق بصلب ظاهرة الارهاب الايراني وطبيعة تكوينها وطريقة عملها، ما يلي بالحرف الواحد:

«في تقديري ان الارهاب سيشتد ويتعاظم ما لم تفشل

ايران فشلاً ذريعاً في مبادىء العدوان الرئيسية.. واهم فشل هو فشل ابرز شعار من شعارات العدوان واعني بذلك شعار تصدير الثورة واعتباره بالملموس حالة غير ممكنة في عصر اليوم، وهذا الشعار لا يفشل الا عندما تفشل زمرة خميني في الحرب، ولو افترضنا ان ايران احتلت اية مدينة وانسحبت من تلقاء نفسها فأن حالة العدوان والارهاب والطموح في تصدير الثورة تبقى قائمة ولكن عندما تفشل ايران عند الحدود فهذا فشل لمبدأ (تصدير الثورة) وينعكس فشل مبدأ تصدير الثورة على الافاعي التي تتصرف بـ (رومانتيكية) ما وعلى أساس ان تحقيق هذا الشعار ممكن من تلك الافاعي التي ترسلها ايران لتسعى في الوطن العربي. فعندما يرى اتباعهم ان مصدر تصدير الثورة الاساسي فشل قبل تصدير الثورة وفي اهم وسيلة من وسائله وهو العدوان العسكري الواسع. فعند ذلك يتجسم امامهم تضاؤل احتمال تصدير الثورة الى الوطن العربي او الى المجتمع الاسلامي عن طريق اعمال اقل من هذا العمل تأثيراً.. وفي تقديرنا.. ان اللجوء للارهاب من قبل النظام الايراني هو محاولة بين الضعف والقوة. اي ليست هي حالة القوة التي كان عليها قبل سنتين او ثلاث او اربع ولكنها ليست حالة الضعف المطلقة او النهائية وانما هي حالة باتجاه الضعف وقد غادرت القوة، ولكنها في كل الاحوال ليست حالة اقتدار وانما هي حالة قوة

غاشمة. وفي تفسيرنا ان الانحـدار من الاقتدار الى القـوة الغاشمة، هو انحدار باتجاه الضعف، فبعد ان ادركوا انه لم يعد ممكناً ان ينهار العراق ويستلموا اطراف المنطقة او قلبها باجتياح عسكـري بدأوا يتكئـون على حـالة الارهاب لكي يذكروا الناس وبالاخص اعوانهم بان ايران موجـودة وان الامل في اسقاط الانظمة بوسائل متعددة ومنهـا الاجتياح العسكري او الارهاب مازال قائماً. لذلك نحن منذ وقت مبكر. وانت حتماً تتابع تصريحاتنا وتحليلاتنا. نعتقد ومازلنا ان نهاية الحرب لا تنهي الارهاب ولكن الذي ينهي الارهاب هو نهاية حرب مقترنة بفشل سياسة الحرب... اي بمعنى نهاية للحرب لا تحقق فيها ايران اي هدف من اهدافها المعلنة للحرب. فعندما تنتهي الحرب ويفشل الارهاب فأن الاطراف الصغيرة تذوي في مكانها وتنتهي قـدراتها عـلى ممارسـة الارهاب ورومانتيكية الاستشهاد والجنة والمفاتيح الموزعة على الاعوان مثلما يفعل نظام ايران»[٣].

وقد تعرض العراق الى العديد من عمليات الارهـاب في الداخـل والخارج، وفي وقت مبكـر من التـاريـخ الحـديث والمعـاصر والقريب، من نـوع العمليات التي تتعـرض لها

---

(٣) جريدة الجمهورية. بغـداد. العدد (٥٨١٣) الصـادر بتاريـخ ١٩٨٥/٨/٣ الصفحات ٣، ٤، ٥.

وتعاني منها الدول الاخرى الان. دعونا نحتكم الى الحقائق والوقائع. ونتكلم بلغة الاحصائيات والارقام. ونعرض في ادناه جدولاً مفصلاً للعمليات الارهابية في بعض ابرز واهم وقائعها، التي تعرض لها وعانى منها العراق مؤخراً. ثم نقدم بعد ذلك تحليلاً منهجياً للمعلومات المثبتة والبيانات الاحصائية، يشمل بعض ابرز واهم الاتجاهات التي لاحظناها والنتائج التي استقرأناها، والدروس التي استخلصناها.

ب . جدول احصائي بالعمليات الارهابية التي تعرضت لها واصيبت بها المراكز والمعاهد والمؤسسات العراقية في الداخل والخارج :

اولاً : الارهاب في الداخل «الجدول (أ)»

ثانياً : الارهاب في الخارج «الجدول (ب)»

أ . العمليات الارهابية التي استهدفت اهدافا عراقية داخل القطر

ت	الهدف	تاريخ التنفيذ	الجهة المنفذة	الوسيلة المستخدمة	الخسائر
١	التجمع الطلابي في الجامعة المستنصرية (بعض القياديين والطلبة)	١/٤/١٩٨٠	ايران ـ عن طريق (منظمة العمل الاسلامية)	قنابل يدوية	استشهاد شخصين وعدد من الجرحى

٢	موكب تشييع شهداء المستنصرية	١٩٨٠/٤/٥	ايران ـ عن طريق (منظمة العمل الاسلامية)	قنابل يدوية	اصابة ثلاثة من المسؤولين بجروح.
٣	وزارة التخطيط	١٩٨٢/٨/١	ايران ـ عن طريق (حركة المجاهدين)	سيارة مفخخة	استشهاد ٦ مواطنين وجرح ٢٦ وأضرار مادية.
٤	مبنى المؤسسة العامة للأذاعة والتلفزيون	١٩٨٣/٤/٢١	ايران ـ عن طريق (حركة المجاهدين)	سيارة مفخخة	استشهاد ٤ مواطنين واصابة ١٢٦ بجروح واضرار مادية.
٥	ساحة كهرمانة	١٩٨٤/١٢/١٢	ايران ـ عن طريق (منظمة العمل الاسلامية)	قنبلة يدوية	استشهاد ٢ من المواطنين وأصابة ٤ اخرين

ب . العمليات الارهابية التي استهدفت اهدافا عراقية خارج القطر

		تاريخ التنفيذ	الجهة المنفذة	الوسيلة المستخدمة	الخسائر
	وكالة الانباء العراقية في بيروت	١٩٨٠/٤/٢٦	سوريا ـ عن طريق (منظمة أمل)		جرح اثنين من حرس الوكالة وأضرار مادية.
٧	السفارة العراقية في روما		ايران ـ عن طريق (مجموعة ارهابية ايرانية)		استشهاد سائق السفارة.
	منتسبو السفارة العراقية في بيروت	١٩٨٠/٧/٩	سوريا ـ عن طريق (منظمة أمل)	اطلاقات نارية	استشهاد المرحوم ابراهيم خزعل الملحق في السفارة العراقية في بيروت وأصابة اثنين من منتسبي السفارة بجروح.

منتسبو السفارة العراقية في بيروت		سوريا ـ عن طريق (منظمة أمل)		استشهاد كل من المرحوم محمد علي خضير ـ موظف اداري في السفارة والمرحوم كامل عباس ـ سائق سيارة.
منتسبو السفارة العراقية في بيروت				استشهاد المرحوم عبادي منجل حسين واصابة شمسي محمد حمزة بجروح وهم من اعضاء الملحقية العسكرية.
منتسبو السفارة العراقية في بيروت		سوريا ـ عن طريق (منظمة أمل)		استشهاد المرحوم حاتم معيوف ـ حارس السفارة.
منتسبو السفارة العراقية في بيروت				اصابة حارس الملحقية العسكرية المرحوم جبر عطية بجروح.

١٣	السفارة العراقية في بيروت	١٥/١٢/١٩٨١	سوريا بالتعاون مع ايران	سيارة مفخخة	استشهاد ٥١ شخصاً.
١٤	منتسبو السفارة العراقية في بيروت	٢٣/٣/١٩٨٢	سوريا ـ عن طريق (منظمة أمل)	اطلاقات نارية	استشهاد المرحوم علي حاجم سلطان ـ السكرتير الثالث في السفارة.
١٥	السفارة العراقية في باريس	١١/٨/١٩٨٢	ايران ـ عن طريق (منظمة العمل الاسلامية)	سيارة مفخخة	اضرار مادية.
١٦	منتسبو سفارتنا في اثينا	٤/١٢/١٩٨٤	ايران ـ عن طريق منظمة ارهابية تابعة لها (اسلامية)	سيارة مفخخة	مقتل احد الخبراء اليونانيين المتخصصين في المتفجرات وتدمير سيارة احد منتسبي السفارة وتم ابطال مفعول المتفجرات في ثلاث سيارات اخرى.

١٧	طائرة الخطوط الجوية العراقية القادمة من اثينا.	١٥/٩/ ١٩٨٤	ايران ـ عن طريق عملاء ارهابيين منهم لبنانيان.	محاولة اختطاف الطائرة.	جرح احد افراد حماية الطائرة.
١٨	منتسبو سفارتنا في الكويت	١/٣/ ١٩٨٥	ايران وسوريا عن طريق عناصر ارهابية من اصل ايراني.	اطلاقات نارية	استشهاد المرحوم هادي عواد سعيد معاون المستشار الثقافي في السفارة. وولده المرحوم حسين هادي.
١٩	رئيس الاتحاد الوطني لطلبة العراق في باكستان	١٨/٥/ ١٩٨٥	ايران ـ عن طريق (حزب الدعوة)	سكين	جرح رئيس الاتحاد الوطني لطلبة العراق في باكستان.
٢٠	القنصلية العراقية في كراجي	٩/٣/ ١٩٨٦	ايران ـ عن طريق (حزب الدعوة)	تفخيخ سيارات القنصلية	لاتوجد بسبب ابطال مفعول المتفجرات.
٢١	السفارة العراقية في فينا	٢٤/٦/ ١٩٨٦	ايران ـ عن طريق حزب الله (اللبناني)	صواريخ موجهة	لاتوجد.

٢٢	منتسبو القنصلية العامة في كراجي	١٤/٩/١٩٨٦	ايران - عن طريق (حزب الدعوة)	قنبلة يدوية حارقة	استشهاد المرحوم نهتل عبدالسلام نائب القنصل العام في كراجي
٢٣	طائرة الخطوط الجوية العراقية المغادرة الى عمان بالمملكة الاردنية	٢٥/١٢/١٩٨٦	ايران - عن طريق عملاء من لبنان	قنابل يدوية ومسدسات	استشهاد (٦٩) شخصاً من طاقمها وركابها وجرح الباقين وتدمير الطائرة اثناء محاولتها النزول اضطرارياً في مطار (عرعر) بالمملكة العربية السعودية.

٣. تحليل البيانات الاحصائية واستقراء النتائج التي نجمت عنها وترتبت عليها:

أ. يبدو واضحاً ان الارهاب الذي استهدف العراق قد بدأ، او اشتد كماً ونوعاً، ببداية العدوان الايراني، او كان سابقاً عليه وممهداً له.

ب ـ ومن الجلي ان هذا الارهاب قد حدث بمبادرة مباشرة وسافرة من النظام الايراني، باعتباره فصلاً اساسياً من فصول المخطط العدواني التوسعي. علماً ان الحقائق الدامغة والقرائن المشهودة تثبت بما لا يدع مجالاً للشك ضلوع النظام السوري في هذا الارهاب العدواني تخطيطاً وتدبيراً وتنفيذاً ودعماً وتنسيقاً، على الصعيدين الداخلي والخارجي.

جـ. نلاحظ من استقراء الوقائع والحقائق المذكورة في الجداول اعلاه، ان الارهاب في الداخل قد سبق الارهاب في الخارج. ونستنتج من هذه الحقيقة ان ارهاب الخارج قد بوشر بتنفيذه بعد فشل ذريع وافلاس كامل واندحار نهائي اصاب ارهاب الداخل وخططه واهدافه

ونواياه. ويبدو الوضع كما لو ان ارهاب الخارج يحاول عبثاً ان ينجح حيث اخفق وفشل وافلس واندحر ارهاب الداخل. كما نلاحظ ان عدد العمليات الارهابية الخارجية اكثر بكثير من عدد العمليات الارهابية الداخلية. ويبدو ايضاً ان ارهاب الداخل قد ضعف كثيراً او توقف نهائياً، ولكن ارهاب الخارج قد استمر وتواصل، وان كان قد تحول الى عمليات متقطعة ومتفرقة ومتباعدة، بوتائر اخف وزخوم اقل ومعنويات اضعف. وربما يعود السبب الى ما اصاب النظام الايراني من هزائم منكرة واندحارات متكررة على جبهتي العدوان والارهاب معاً، مما دفعه الى التخبط العشوائي والانفعال الاعمى من جراء الشعور باليأس والاحباط.

د. يظهر من الجدول المرفق ان الارهابيين المجرمين لم يحاولوا خطف طائرة من طائرات الخطوط الجوية العراقية الا مرتين فقط تفصلهما فترة زمنية طويلة. وقد انتهت المحاولة الاولى بتنفيذ احكام الاعدام فوراً بالخاطفين متلبسين بالجرم المشهود، والطائرة تحلق في الجو، وجلب جثثهم الى بغداد على متن الطائرة التي حاولوا خطفها، دون حدوث اي خسائر وخصوصاً في

الارواح. وادت المحاولة الفاشلة الثانية الى حدوث بعض الخسائر في الارواح البريئة. ويبدو ان الجهات التي تخطط لمثل هذه العمليات قد ادركت ان العراقيين لا يمزحون، وان امثال هذه المحاولات، مصيرها الأكيد المحتوم ان تنتهي الى نتيجة واحدة هي اعدام الخاطفين فوراً وجلب جثثهم الى بغداد امواتاً.

هـ. تعرضت السفارة العراقية في بيروت الى عمل ارهابي اثيم ادى الى تفجيرها مع وقوع خسائر جسيمة في الارواح. وقد سقط عدد غير قليل من المراجعين الابرياء اطفالاً ونساءاً وشيوخاً عراقيين ولبنانيين وسواهم كانوا يقومون بمعاملات اعتيادية في السفارة تتعلق بجوازات سفرهم عند وقوع الحادث. وتعرضت سفارة الولايات المتحدة الامريكية في بيروت ايضاً الى عمل ارهابي أدى الى تفجيرها بتاريخ ١٨ / ٤ / ١٩٨٣ وسقوط (٤٦ قتيلاً بينهم ١٦ امريكياً و ١٠٠ جريح) من المواطنين المراجعين الابرياء ايضاً من امريكيين ولبنانيين وسواهم. ويبدو واضحاً ان تفجير السفارة العراقية قد سبق تفجير السفارة الامريكية بوقت طويل.

ونلاحظ ان طريقة العمل وخطة التنفيذ كانت واحدة في الحادثين. وكما ان المجرم يعرف من بصمات اصابعه

التي يتركها في مسرح الجريمة، كذلك يمكن الاستدلال بسهولة عن الجهة الارهابية التي قامت بتنفيذ العمليتين من خصائص طريقتها في العمل وخطتها في التنفيذ. ولا نحتاج الى مزيد من التأمل والتفكير للكشف عن تلك الجهة المجرمة. لانها لا يمكن ان تكون على الاطلاق الا العصابة الايرانية - السورية التي اختارت الاجرام اسلوباً في السياسة، واحترفت الارهاب طريقاً الى فرض اهدافها ونواياها على الوطن العربي والمجتمع الدولي، في وقت واحد وعلى حد سواء. وكان ينبغي ان يكون تفجير السفارة العراقية نذيراً للسفارات الاخرى في بيروت، وانذارا يدفعها الى الاستعداد المسبق تحسباً للأسوأ من الاحتمالات. ولكنها للاسف لم تحرك ساكناً، ولم تتعلم شيئاً، ولم تأخذ درساً الا بعد خوضها للتجربة وتعرضها للمحنة. علماً ان الخسائر في الارواح كانت اكثر بكثير في السفارة العراقية منها في السفارة الامريكية. والاجدر ببعض تلك الدول العربية والاجنبية ان تتعلم من الارهاب درساً يفيدها في اتخاذ الموقف الصحيح والقرار السليم من الحرب الدائرة بين العراق وايران، بدلاً من تقديم التنازلات، وعقد الصفقات مما يشجع الارهاب ويقنعه بجدوى الجرائم التي يرتكبها، ويدفعه الى القيام بعمليات مماثلة اخرى في المستقبل، تحقيقاً للاهداف

والمكاسب التي يتوخاها، والنوايا والاطماع التي يبطنها. لان طعم النجاح ومذاق الفوز سيفتحان من شهيته للمزيد فالمزيد بلا نهاية.

و. من الواضح ان المثل العراقي في التصدي للارهاب وقطع دابره بضربة تسدد الى الرأس بدلاً من الاكتفاء بدغدغة الذيل، قد اثبت للعالم اجمع ان الارهاب لا يواجه باللين ولا يقاوم بالتودد ولا يعامل بالحسنى، بل يمكن اجتثاث جذوره بالعزم والحزم، والرد الذكي المدروس، بالردع المنهجي المخطط المنظم، على مصادره الحقيقية ودعائمه وقواعده العملياتية، وليس بالرد العشوائي الاعتباطي الانفعالي. ولكن الدرس العراقي لا ينحصر في الاسلوب الصحيح والنهج الفعال والموقف السليم في محاربة الارهاب، بل يتعداه الى الجانب النفسي والمعنوي والسياسي، ولا يكتفي بالرد المسلح والردع المباشر والعمل العسكري حصراً وتحديداً واقتصاراً. وليس فقط على المستوى التعبوي الذي ربما يتعلق بعملية واحدة من العمليات او منطقة محدودة من المناطق او فصيلة معينة من الفصائل، بل أيضاً يرفعه الى المستوى الاستراتيجي الذي يرتبط ارتباطاً وثيقاً مباشراً بظاهرة الارهاب في أسسها وجذورها ومنطلقاتها، كما ينبغي ان تكون

المواجهة الحقيقية الشاملة والكلية والناجحة. لان الارهابيين، ان لم يكونوا فعلاً من المرتزقة والمحترفين، كما يحدث احياناً، فأنهم ينطلقون من دوافع سياسية واهداف ايديولوجية وحوافز نفسية. وتلك الناحية التي كانت حتى الان سبباً من اسباب قوتهم، يمكن ان تكون منذ الان فصاعداً سبباً من اسباب ضعفهم. بل انها مقتلهم في صميم وصلب وجودهم الموضوعي وتكوينهم الذاتي. تلك هي خطورة واهمية وضرورة الاسلحة النفسية والمعنوية في محاربة الارهاب على المستويات الاستراتيجية، وغايتها النهائية القصوى محاصرتهم في خانق ضيق وركن صغير، وارغامهم اضطرارا الى فقدان الثقة بجدوى العمل الذي ينفذونه، وثبوت استحالة تحقيق النتيجة التي يتوخونها، واقتناعهم شعوراً بافتقارهم الى الامل على الاطلاق، وان كافة الابواب قد اوصدت عليهم، وجميع الفرص قد نزعت منهم.

ز. وفي حوزتنا تجربة اخرى وسابقة تأريخية، تعلمنا دروسها من لبنان والكويت، وان كان القياس بين البلدين مع الفارق المشهود في مواجهة ظاهرة الارهاب يبدو واضحاً وجلياً. اذ بدأ الوضع يتدهور في لبنان بعمليات ارهابية من النوع الذي وصفناه وحللناه. ثم استمر في التصاعد حتى

بلغ التدهور اوجه واقصاه، كما نرى اليوم في الحروب الطائفية الدامية والميليشيات المسلحة السائبة التي تعيث فساداً وتستبيح ممنوعاً وتحلل حراماً. ولو ان الكويت الذي تعرض الى عمليات ارهابية اثيمة ودموية، لم يتخذ موقفاً صلباً وشجاعاً من النوع الذي وقفه بالفعل، ولم يرد، كما رد، رداً قوياً وحازماً وحاسماً، دفاعاً عن استقلاله وشرفه واستقراره وازدهاره وامنه، لاصابه ما اصاب لبنان من خراب ودمار وانهيار، لا سامح الله. ولكننا ينبغي ان لا نغمض العيون، ولا نرفع الايادي عن الزناد، لان النار لاتزال تحت الرماد، والسوابق حافلة بالدروس، والتساهل او اللين مع العدوان الارهابي قد يؤدي الى نشوب الحرب بتفسير التساهل او اللين على مستوى قصور الاستعداد وضعف الصمود، بدلاً من ان يؤدي، كما يتوخى اصحابه، الى تجنبها وتفاديها ومنع نشوبها او توسعها. وقد اثبتت المراقبة الطويلة والمتابعة الدقيقة والتجربة المباشرة ان اللين او التساهل مع ظاهرة الارهاب سيؤدي الى مردودات عكسية، هي النقيض الجذري المضاد للهدف المقصود.

ح. وقد استوقفتنا، في ضوء الظروف الجديدة والتطورات الراهنة، حقيقة معينة او ظاهرة عامة، تتعلق بالارهاب

الدولي على الصعيد العالمي، برزت على المسرح السياسي مؤخراً، وتستدعي ان نعرض تحليلنا لها وموقفنا منها عرضاً هادئاً وموضوعياً. وكنا قد لاحظنا منذ فترة من الزمن، ان بعض الدول قد احتلت مكان الصدارة في الحملة العالمية على الارهاب الدولي. ولعبت دوراً متميزاً خاصاً في هذا الصدد. واتخذت موقفاً متصلباً استثنائيا من الارهاب الدولي. وطالبت الدول الاخرى بالتشدد في محاربته، والامتناع بتاتاً عن الرضوخ الى ابتزازه والتعاون بلا حدود او تحفظات في عزله وحصاره واقتلاعه من جذوره. ولكنها سرعان ما انقلبت مؤخراً في موقفها الرسمي المعلن رأساً على عقب، وانتقلت من نقيض الى نقيض، بين يوم وليلة وثبت الان بما لا يدع مجالاً للشك، ان تلك الدول، في الوقت الذي كانت فيه قد شغلت العالم صراخاً وصخباً وضجيجاً بالمواعظ والنصائح والارشادات عن محاربة الارهاب الدولي، في هذا الوقت، وفي هذا الوقت بالذات، كانت هي نفسها تتعامل سراً تعاملاً مباشراً مع نظام خميني، اعتى وأشرس وأعنف وأظلم مركز ارهابي باعتراف العالم اجمع، ولا تتورع عن امداده بالاسلحة التي تعينه بالتأكيد على ارتكاب المزيد من الجرائم والمذابح والاعتداءات. ويبدو واضحاً ان ما حدث في السر كان

شيئاً، وما قيل في العلن كان شيئاً مختلفاً تماماً، وان الظاهر كان بعيداً كل البعد عن الباطن، وان التصريحات الرسمية والبيانات الدبلوماسية والخطب البراقة الرنانة المعسولة كانت في واد، وكانت القرارات العملية والمواقف المقصودة والسياسات الحقيقية والصفقات السرية في واد آخر. ونحن نعتقد اعتقاداً واعياً عقلانياً مدروساً، ان مثل هذه السياسة في مواجهة ظاهرة الارهاب الدولي بوجه عام، والارهاب الايراني بوجه خاص، هي سياسة خاطئة ومهزوزة ومضرة، ولا يمكن ان تعود الا بأوخم العواقب وأسوأ النتائج وأفدح الخسائر على اصحابها انفسهم ومصالح شعوبهم، فضلاً عن مصالح العراق ودول المنطقة والعالم اجمع، بما في ذلك المصالح الحقيقية الحيوية الاساسية للشعوب الايرانية المنكوبة بنظامها، والمغلوبة على أمرها.

وقد تباينت واختلفت المواقف التي اتخذتها الدول الاوربية الغربية من ظاهرة الارهاب الدولي الذي يمارسه النظام الايراني في العالم اجمع، والذي تطاير رذاذه فاصاب الابرياء في كل مكان، بتباين واختلاف المراحل والظروف والحسابات والمصالح النفعية الضيقة المباشرة او القصيرة المدى. فبعضها كان

أهـون واخف في استرضـاء الارهـاب الايـراني من بعضها الآخر. وبعضها كان قد اتخذ في مرحلة سابقة موقفاً سيئاً بتعامله مـع الارهاب الايـراني واعتماده الطريقة الخاطئة في مواجهته، ولكنها اصبحت الآن على درجة اعلى من الحنكة الواعية والحكمة العملية جعلتها أعرف بالطبيعة الحقيقية للارهاب الايراني والطريقة الصحيحة في ردعه واجتثاثه. وبالعكس، كانت هنـاك دول قد اتخذت موقفاً حازماً وقوياً في مقاومة الارهاب الايراني، ولكنها أظهـرت مؤخـراً شيئاً من الضعف والتراخي في موقفها بفعل الضغوط العاطفية والمصالح النفعيـة والحسابـات الضيقة. ويبـدو من استقـراء الوقائع واستخلاص الدروس من التجارب ان بعض الدول الاوربية وغير الاوربية لم تتعامـل مع ظاهـرة الارهـاب الايراني عـلى المستوى الدولي بـالمبـادىء الاخلاقية والسياسات الصحيحـة والاستراتيجيـات الواقعيـة. ومن بينها دول لدغت من جحـر الارهاب الايراني ليس مرة واحدة فقط بل مثنى وثلاث ورباع، ولم تنل كسباً حقيقياً ولا تعلمت درساً ضرورياً. ولكن المانيا الاتحادية (الغربية) قد ضربت في هذا الصدد اسوأ مثل تضربه دولة تزعم انها عصرية وانسـانية ومتمدنة. وكانت التصريحات الانتهازية التي صدرت

مؤخراً عن وزير خارجيتها السيد (غينشر) عن الحرب العراقية ـ الايرانية، انحيازاً صارخاً الى النظام الايراني المجرم، واستسلاماً رخيصاً ومزرياً ومشيناً ومجللاً بالعار الى ارهابه وابتزازه، وخرقاً فاضحاً للاجماع الدولي بوجه عام والاجماع الاوربي بوجه اخص، وخروجاً مبتذلاً متسربلاً بالذل والهوان عن قيم واعراف وتقاليد المجتمعين العالمي والاوربي معاً، وموقفاً معادياً غير مسبوق وغير مبرر، يعود بالضرر ليس فقط على حقوق ومصالح العراق ودول الخليج العربي والامة العربية جمعاء قاطبة، بل ايضاً على حقوق ومصالح الشعب الايراني نفسه، فضلاً عن حقوق ومصالح الشعب الالماني كذلك. وتلك هي الامثال نضربها للناس لعلهم يعقلون. وما اكثر الايادي التي تلطخت بدماء المقاتلين العراقيين والعرب، وما حركتها الا دوافع الجشع والطمع واحياناً الحقد. وقد كشفت الايام مؤخراً كثيراً من الحقائق عن هذا الموضوع. وستكشف المزيد في المستقبل مما لايزال خافياً حتى الآن.

وهذه هي اسس وثوابت ومنطلقات استراتيجية الأمن القومي بمفهومنا في مواجهة الارهاب الدولي.

الخاتمة

لقد انصرفت هذه الدراسة الى محاولة ترمي الى تطوير مفهوم خاص ومستقل لاستراتيجية الامن القومي بقطرنا العراقي وبوطننا العربي وبواقعنا كعراقيين وبعثيين وعرب، برؤى وتصورات مضافة. وتبعاً لهذه الغاية توزعت هيكليتها على اربعة فصول: تناول الفصل الاول بعض تلك الاسس التي نرى انها تجعل من مفهوم الامن القومي واستراتيجية تحقيقه اقرب الى الواقع واصلح للتطبيق.

وقد حددنا ابرزها بالنسبية والمرونة، والتصور الواضح للتحديات والتهديدات، وكيفية تحويل عناصر القوة الى قدرة فاعلة، فضلاً عن التمييز بين المفهوم الدفاعي للامن وبين المفهوم الهجومي العدواني.

اما الفصل الثاني فقد انصرف الى البحث في منهجية استراتيجية الامن القومي والتي نفهمها بدلالة اسلوب العمل الواقعي، او طريقة الاداء النظامي. ومن اجل ان تستطيع مثل هذه الاستراتيجية ان تحقق اهدافها المحددة بكفاءة عالية وبأقل قدر ممكن في التضحيات او الخسائر، لابد ان تنطلق من مستلزمات محددة.

وقد دار فحوى هذا الفصل حول طبيعة ومضمون هذه المستلزمات والتي نرى ان من بين البارز منها الاتي: الوضوح، الواقعية الثورية، موضوعية ادراك التهديد، والتكامل بين الاجهزة المتخصصة. وقد تمت معالجة موضوع هذا الفصل في ضوء الاراء السديدة والتوجيهات الحكيمة التي تتضمنها الادبيات المنشورة للسيد الرئيس القائد صدام حسين حفظه الله متفاعلة مع محصلة اطلاعنا المتخصص على ادبيات وتجارب العديد من الدول في ميدان الامن القومي.

والواقع ان استراتيجية الامن القومي انما تختلف من دولة الى اخرى تبعاً لاختلاف ظروفها الداخلية والخارجية، الموضوعية والذاتية، والاهداف التي تسعى الى انجازها. فضلاً عن ذلك تعاني العديد من هذه الدول من مشاكل التنسيق بين اجهزة امنها القومي وبالاتجاه الذي جعل انماط نشاطها متنافرة في الداخل، على الرغم من انها تبدو موحدة في الخارج. وعلى خلاف العديد من الدول استطعنا في العراق ان نبني، في ميدان الامن القومي، تقاليد عمل تتيح للعراق ان يكون مطمئناً على امنه القومي، وتعزز مسيرته الى امام دون تراجع او توقف، بعنصر فاعل مضاف. والواقع ان هذا الانجاز انما يعود، اولاً وقبل كل شيء، الى الرؤية الشمولية الواضحة للسيد الرئيس القائد صدام حسين

حفظه الله وتوجيهاته المستمرة السديدة وحرصه على جعل العراق دولة تجسد المبادىء والتقاليد المعاصرة وتعبر عنها بالتصرف الملموس خير تعبير.

اما الفصل الثالث من هذه الدراسة فقد ذهب مضمونه الى تحديد وتحليل الرؤية العراقية لمفهوم الامن على الاصعدة القطرية والقومية والاقليمية والدولية مؤكداً على الترابط والتفاعل الحي بينها. واخيراً انصرف الفصل الرابع الى تناول ظاهرة الارهاب الدولي ومصادرها، وتحديد موقف العراق الرافض لها من حيث المبدأ والتصرف.

وفي الوقت الذي لا ندعي فيه ان هذه الدراسة قد استوفت كل اسباب الكمال، نرجو مع ذلك، ان نكون قد اوفينا الحقيقة الموضوعية للامن القومي واستراتيجية تحقيقه، ولو بقسط قليل ونصيب متواضع. ولعل باحثين اخرين في ايام قادمة، من ابناء عراقنا العزيز، يواصلون المسيرة من النقطة التي وصلنا اليها. فالامن القومي واستراتيجيته هو موضوع ينبغي ان يتبوأ مكانة خاصة في التفكير الاستراتيجي العربي، واهمية عالية في سلم اولويات البحث العلمي الهادف. ففي ضمان الامن القومي يكمن ضمان المصالح الوطنية والقومية التي هي اساس وجودنا، كعراقيين وبعثيين وعرب شرفاء، وتكمن الظروف المواتية

لحاضر آمن ومستقبل مزهر ومشرف. واخيراً نسأل الله عزَّ وجلّ ان يبارك الجهد الجبار الذي يبذله السيد الرئيس القائد صدام حسين حفظه الله خدمة لوطننا العزيز وامتنا العربية المجيدة، ويبارك جيشنا الباسل وشعبنا العزيز. وقل اعملوا، فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون.

ملاحق
بالاعتداءات الفارسية على العراق
عبر التاريخ

اولا. الملحق (أ)
العصور القديمة
٢٥٥٠ ق . م ـ ٦٠٤ م/ ٦١٠ م

١. ٢٥٥٠ ق . م

هجوم عيلامي على مدينة (اور). وهناك اشارة في قائمة الملوك السومرية مفادها ان الملوكية انتقلت من اور الى (اوان) وهو اقليم في عيلام بالقرب من ديزفول.

٢. ٢٥٠٠ ق . م

حقق امير سلالة لكش الاولى (ايناتم) انتصاراً حاسماً على عيلام التي كانت مصدر عدوان على بلاد وادي الرافدين.

٣. ٢٤٠٠ ق . م

تذكر الكتابات السومرية عن هجوم حوالي ٦٠٠ جندي عيلامي على اراضي لكش خلال حكم الملك انتارزي، وصد الهجوم من قبل الكاهن لواينا، الذي شن بدوره هجوماً مقابلاً عليهم واستطاع من اسر ٥٤٠ رجلاً منهم ويعود زمن هذه الرسالة السومرية الى حدود (٢٤٥٠ ق . م).

٤. ٢٣١٢ ق . م

حقق الملك الاكدي (ريموش) انتصاراً كبيراً في معارك جرت في مدن اوران وعيلام ومنطقة مرخشي ولا حق

فلولهم المهزومة في سهل (شوش) وانزل بهم خسائر فادحة.

٥. ٢٢٩١ _ ٢٢٥ ق.م

شن الملك الاكدي نرام سين حملة كاسحة ضد قبائل لولوبو، والكوتيين، وسجل انتصاره الساحق عليهم في مسلته الشهيرة المنحوتة على السفح المنحدر لعمر دربندي كاور في جبل قره داغ.

٦. ٢٢٩٤ _ ٢٢٢٥ ق.م

هجوم قبائل لولوبو والكوتيين على المناطق الجبلية من الجهة الشمالية الشرقية للعراق وصدها الملك الاكدي نرام سين في معارك عنيفة.

٧. ٢٢٥٤ _ ٢٢٣٠ ق.م

حملات عدوانية متعددة داخل الاراضي الاكدية في ظل حكم اواخر ملوك السلالة الاكدية شاركليشارى.

٨. ٢٢٣٠ ق.م

انتهز الكوتيون ارتباك الاوضاع السياسية في البلاد اثر مقتل الملك الاكدي شاركليشارى فقاموا بمهاجمة المدن الاكدية من ضمنها العاصمة اكد التي دمرت تدميراً كاملاً واحتلت بقية المدن الرئيسية، فكانت من أولى الفترات المظلمة في تاريخ البلاد حيث توقفت عجلة التقدم الحضاري في جميع المجالات.

ثم جاءت نهاية الحكم الكوتي على يد قوى وطنية عراقية تحت قيادة زعيم سومري من مدينة الوركاء اسمه (اوتوحيكال) الذي جمع حوله المقاتلين من المدن السومرية وقادهم في حرب فاصلة تعتبر اقدم حرب تحرير عرفها التاريخ.

٩. حوالي ٢١٥٠ ق.م

احتل الفرس مدينة (اور) وسرقة تمثال اله القمر، الاله الرئيس لمدينة اور.

١٠. ٢١٤٤ ـ ٢١٢٤ ق.م

يذكر كوديا حاكم سلالة لكش الثانية في احدى كتاباته بانه شن حملة ضد انشان (المنطقة الجبلية الى الشمال والشرق من عيلام) وهي الحملة العسكرية الوحيدة التي تذكرها كتاباته.

١١. ٢٠٠٦ ق.م

قام العيلاميون بالهجوم على سومر فاحتلوا العاصمة اور ودمروها واحرقوها وكانت تلك الكارثة مصدر حزن والم في نفوس سكان بلاد الرافدين ولازمان طويلة لاحقة. وقد سجل السومريون هذه الحادثة في مدوناتهم واشعارهم التي صوروا فيها وحشية العيلاميين الذين قتلوا السكان رجالاً ونساءاً واطفالاً واصبحت ابنية اور تلالاً من الانقاض. ولم تسلم من معاولهم المعابد

والابنية المقدسة وفي مقدمتها المعبد الرئيسي في المدينة الخاص باله القمر سين. وفي عام ١٩٨٥ ق . م تمكن العاهل الاموري اشبي ايرا من دحر العيلاميين وطردهم من اور.

١٢. ١٩٨٤ ـ ١٩٧٥ ق . م

استرجاع ثاني ملوك سلالة ايسن شو ـ ايليشو (Shu - Iliasu) تمثال الاله (ننار) اله القمر من اوان الى اور.

١٣. ١٧٩٢ ـ ١٧٥٠ ق . م

في عهد الملك البابلي حمورابي، تحالف العيلاميون مع اعداء حمورابي في مملكة اشنونا لكن حمورابي الحق بجيش العيلاميين هزيمة كبرى.

كرر العيلاميون محاولتهم التدخل في شؤون بلاد وادي الرافدين وعمدوا الى ايجاد تحالف عسكري مع اعداء حمورابي في كردستان ايران ومع ملك مالكيوم (عند التقاء ديالى بنهر دجلة وملك السوباريين (منطقة اشور وشمال سوريا) لكن حمورابي نجح في اكتساح هذا الحلف ووجه ضربة قوية الى عيلام فأضطر العيلاميون للانسحاب صوب الاراضي المرتفعة داخل ايران.

١٤. ١٧٥٠ ـ ١٧١٢ ق . م

في عهد الملك البابلي (سمسو ـ ايلونا) ابن حمورابي قام

الملك العيلامي (كوتر ناخونتي) بالهجوم على بلاد وادي الرافدين لكنه جوبه بكل حزم.

١٥. ١٧١١ ـ ١٦٨٤ ق . م

في عهد الملك البابلي (ابي ايشوخ) عاود كوتر ناخونتي العيلامي الهجوم وبقى هذا الهجوم الحاقد الذي خرجت من جرائه المدن ونهبت وسلبت وهتكت الاعراض وظل الامر يذكر بعد اكثر من الف عام.

١٦. بين ١٧٠٠ و ١٦٠٠ ق . م

سمحت عيلام للكيشيين بعبور اراضيها للهجوم على المدن العراقية.

١٧. ١٣٤٥ ـ ١٣٢٤ ق . م

اعتدى ملك عيلام خورباتيلا على الدولة الكاشية. لكن كوريكالزو الثاني دحر هذا الملك واحتل عيلام.

١٨. ١٢٧٥ ق . م

جاء الى الحكم في عيلام (اونتاش ـ نابيريشا) الذي عاصر الملك الاشوري شلمنصر الاول. وهجم على بلاد وادي الرافدين بحملة عبر مدينة الدير (قرب بدرة) ومن ثم اجتاح اشنونا.

١٩. ١٢٣٥ ـ ١٢١٠ ق . م

فترة حكم ملك عيلام (كيتن خوتران) الذي عاصر الملك الاشوري توكلتي ـ ننورتا الاول الذي حارب ملك

عيلام المعتدي على بابل والتقى مع ملكهم (كيتن خوتران) في احدى المعارك بالقرب من بدرة ومندلي فهزم الملك العيلامي واستمر بالتصدي لاعتداءات العيلاميين.

٢٠. ١٧٧١ ق . م

قام اخر ملوك سلالة عيلام وهو (شتروك ناخونتي) باستغلال سقوط الكاشية فهجم على بابل وقام بسلب الاثار الحضارية العراقية وعاد بها الى عيلام ومن بينها نسختان من مسلة حمورابي ومسلة النصر للملك الاكدي (نرام سين).

٢١. بحدود ١١٦٠ ق . م

قام الملك العيلامي (شتروك - ناخونتي) بهجوم غادر على بابل عبر سلسلة جبال حمرين بالقرب من خانقين، وكرر هجومه نفس السنة متوجها من الشوش حيث عبر نهر الكرخة وتوجه الى مدينة الدير وقد نهب العيلاميون خلالها نفائس الاثار من وادي الرافدين وبقيت الاجيال اللاحقة تردد قصص الويلات التي اصابت البلاد من جراء تلك الغزوة.

٢٢. ١١٥٠ - ١١٢٠ ق . م

قام ملك عيلام (سيلخاك - انشوشيناك) بمهاجمة بلاد وادي الرافدين عند منطقة الدير متوجها الى حلوان

وديالى وكركوك. وفي حدود عام ١١١٥ ق . م قام الملك نبوخذ نصر الاول بهجوم على عيلام للحد من طغيانها ووصل بهذا الهجوم الى احد فروع نهر الكرخة لكن المرض الم بجنوده فانسحب الا ان الملك العيلامي اعتقد بانه انهزم خوفا فلاحقه لكن شعب وادي الرافدين هب للنجدة فجاء المدد من كل حدب وصوب وفي عام ١١١٠ ق . م استكمل نبوخذنصر الاول كافة الاستعدادات العسكرية وشن هجومه الجديد وتمكن من دحر العيلاميين ولم تقم للعيلاميين بعد هذه المعركة قائمة حتى تعاظم شأن الامبراطورية الاشورية الحديثة فاستجمع الفرس قواهم وجددوا عدوانهم.

٢٣. ٨٨٤ ق . م

تحرشات الفرس ثم الميديين (٨٣٦ ق . م) في منطقة جبال زاغروس وتصدى لها الملك الاشوري شلمنصر الثالث.

٢٤. ٨٨١ ـ ٨٠٨ ق . م

اخترقت جيوش الميديين الحدود الاشورية لكنهم ردوا على اعقابهم.

٢٥. ٨٠٨ ق . م

شنت الجيوش الاشورية هجوماً على بلاد المانيين رداً

على تحرشاتهم واثارتهم للقبائل في الاجزاء المتاخمة لهم من العراق ضد الاشوريين.

٢٦. ٨٠١، ٧٩٥، ٧٩٠، ٧٨٧ ق.م

هجمات عديدة من الملك الاشوري ادد نراري الثالث ضد المانيين في شمال شرقي ايران الى الجنوب من بحيرة اروميا.

٢٧. ٧٤٥ ـ ٧٢٤ ق.م

في عهد تجلاتبليزر الثالث انضم الزعماء الايرانيون الى مملكة ارارات (ارمينية) في صراعها مع الدولة الاشورية. ان اعلان تجلاتبليزر الثالث (٧٤٥ ـ ٧٢٤ ق.م) الاشوري نفسه ملكا على بلاد بابل واتحاد بلاد بابل واشور في شخصه جعل العلاقات العراقية العيلامية تأخذ تحولا جديدا وخطيراً. فقد ادركت عيلام ان ليس من مصلحتها ان ترى العراق موحدا تحت تاج واحد. حيث اتجه الاشوريون منذ عهد تجلات بليزر الثالث الى توحيد العراق تحت حكمهم لذلك عملت عيلام بكل ما تستطيع من الوسائل لمنع هذا الاتحاد فأخذوا يعملون على تفريق الصفوف.

٢٨. ٦٦٤ ق.م

هجم اورتاكو ملك عيلام على بلاد بابل .ثم دحره الاشوريون عام ٦٦٣ ق.م

٢٩. ٦٥٣ ق . م

هاجم تيومان ملك عيلام بابل بجيش هائل. دحره الجيش الاشوري.

٣٠. ٦٥٢ ق . م

ساعدت عيلام الملك شمش ـ شوم ـ اوكن في بابل اثناء ثورته ضد اخيه اشور بانيبال وقدموا له المساعدات اللازمة لهذا التمرد لكن الاشوريين وضعوا حدا للتمرد وعادت بابل اليهم عام ٦٤٨ ق . م

٣١. ٦٤٦ ق . م

على اثر استمرار اعتداءات العيلاميين وتدخلهم في شؤون البلاد الداخلية قام اشور بانيبال بحملة على عيلام لوضع حد لاعتداءاتها فخرب بلاد عيلام وهدمت جيوشه الشوش واعاد تمثال الاله انانا (عشتار) الذي سرقه العيلاميون منذ اكثر من ٥٠٠ سنة قبل هذا التاريخ من مدينة الوركاء.

٣٢. ٦١٤ ق . م

هاجم الميديون الاشوريون عن طريق ارنجة (شمال غربي قلعة كركوك الحالية) ثم تحولوا باتجاه مدينة اشور العاصمة (قلعة شرقاط الحالية) فسقطت بايديهم بعد دفاع مستميت.

٣٣. ٦١٢ ق . م

هجم الميديون على نمرود ونينوى فسقطتا بعد اشهر من دفاع الاشوريين. وفي عام ٦١٠ ق . م اقام الاشوريون مؤسسات سلطة جديدة في حران بزعامة اشور - ابلوا.

٣٤. ٥٣٩ ق . م

هجم كورش الاخميني الفارسي على العراق واحتل بابل بمساعدة اليهود بعد قتال قاس على الرغم من فساد الادارة واهمال البلد على ايدي نواب نابونائيد في السلطة. وبدأت بذلك فترة الاحتلال الاخميني التي استمرت حتى دخول الاسكندر المقدوني العراق سنة ٣٣١ ق . م وفي هذه الفترة لم يكتف الفرس الاخمينيون بغزو العراق واجهاض حركته الحضارية وانما تهيأ لهم فرصة التجاوز على بقية اقسام بلاد العرب بسبب هذا الغزو لان العراق يمثل مفتاح بلاد العرب، فقد واصل الفرس غزوهم لسوريا وفلسطين ووصلوا في زمن قمبيز الى مصر كما توجه داريوس الى منطقة الخليج العربي لاحتوائها. وقد رد كورش الجميل لليهود بالسماح لهم في العودة الى فلسطين واعادة تأسيس مملكة صهيون فعاد منهم بحدود ٥٠ الف.

٣٥. ٤٨٢ ق . م

قمع الفرس الثورة التي اندلعت في بابل مستخدمين

العنف والقسوة في هدم حصون ومعابد بابل واحرقوا بعض هياكلها وشوهوا معالمها العربية. وقد ثارت بابل ضد الحكم الفارسي بقيادة بعل شيماني. لكن الفرس قابلوا التمرد بعنف ووحشية فخربوا الاسوار والبيوت والمعابد، واخذ تمثال الاله مردوخ معهم غنيمة الى عيلام.

٣٦. ٢٦٠ ق.م

خاض عرب الشام بقيادة اذينه ملك تدمر عددا من المعارك ضد الفرس بقيادة سابور الاول وخلفته زوجته الملكة زنوبيا عام ٢٦٨ ميلادية واستمرت في مواجهة الفرس من خلال معارك تحريرية ناجحة.

٣٧. ١٣٩ ق.م

حكم الفرثيون في العراق، وهم من الاقوام الارية، جاءوا من اقليم خراسان وانتهى حكمهم في العراق نتيجة لثورة قام بها اردشير الساساني ضد الملك ارطبان الخامس الفرثي في عام ٢٢٦ م وقد استطاع اردشير من مد نفوذه على كل بلاد ايران والعراق بعد سنتين. -

٣٨. ٢٢٦ ميلادية

بدأ الاحتلال الفارسي الساساني للعراق في عهد الملك (اردشير بن بابك) الساساني واتخذ مدينة طيسفون (المدائن) عاصمة له وفي هذه الفترة قضوا على المماليك

العربية التي كانت قائمة انذاك وبخاصة مملكة ميسان والحيرة كما سنرى واستمر الحكم الساساني حتى ٦٣٦ ميلادية (١٦) هجرية حيث طرد الفرس من ارض العراق العربي خلال الفتح العربي العظيم في معركة القادسية الاولى بقيادة سعد بن ابي وقاص.

٣٩. ٢٣٠ م

قضاء الساسانيين على مملكة ميسان العربية في العراق

٤٠. ٢٥٦ م

قام شابور (٢٤٢ ـ ٢٧١) بالاجهاز على مملكة الحضر العربية بعد حصار دام سنتين او اربع سنوات.

٤١. ٣٠٩ ـ ٣٧٩ م

عهد سابور الثاني (ذو الاكتاف) انشغل خلاله بالحروب مع العرب في غزوه الخليج العربي واحتلاله البحرين.

٤٢. ٣٥٠ م

حاول احد ملوك حدياب عاصمتها اربيل المسمى قرداغ الاستقلال عن الامبراطورية الساسانية في عهد شابور الثاني لكنه اخفق وقتل مدافعا.

٤٣. ٦٠٤ ـ ٦١٠ م

قتل كسرى النعمان الثالث وبذلك فقدت امارة الحيرة استقلالها الذاتي.

ثانيا ـ الملحق (ب)
قبيل وبعد الاسلام
من معركة ذي قار سنة ٦١٠ م وحتى سقوط بغداد بيد هولاكو سنة ١٢٥٨ م

١. معركة ذي قار (٦١٠ م)

اول معركة بين العرب والفرس الساسانيين من حيث العدد والعدة والاثار التي تترتب عليها وقد قال الرسول (ص) في تلك المعركة (هذا اول يوم انتصف فيه العرب من العجم وبي نصروا) وكان العرب بالاخص بنو تميم وبنو شيبان قد عانوا من اضطهاد الفرس[1] وقسوتهم، والمجازر التي ارتكبوها ضدهم.

ونتيجة ذلك ارسل الفرس جيشا بقيادة الهامرز ـ التتري، كما تشير الروايات والتقى بالعرب عند موقعة (ذي قار) وهزم الفرس شر هزيمة.

- خاض العرب حروباً تحريرية عديدة ضد الاحتلال الفارسي للاراضي العراقية بعث ابو بكر الصديق (رض) خالد بن الوليد لتحرير العراق فحرره بجيش قوامه ثمانية

---

(١) احمد بن عبدربه الاندلسي / العقد الفريد / مطبعة الاستقامة / القاهرة الجزء السادس / ١٩٥٣ ص ٩٦.

عشر الفا من المقاتلين ابتدأ من الابلة على شط العرب حتى الحيرة ثم اتجه الى شمال العراق ففتح الانبار ثم عين التمر وتطهير منطقة غرب الفرات من رجس الاحتلال الفارسي. ثم انتقل الى الشام لمطاردة الوجود البيزنطي وفي عهد الخليفة عمر بن الخطاب (رض) قام بارسال القائد ابي عبيدة الثقفي الى العراق لطرد الفرس وخاض اربع معارك ناجحة ضد الفرس، ثم تبعه في قيادة الجيش العربي القائد المثنى بن حارثة الشيباني الذي واصل تصديه للوجود الفارسي في الارض العربية فخاض ضدهم معركة البويب التي سجلت هزيمة منكرة للفرس ودحر جيشهم الكبير بقوات قليلة.

٢. ٦٣٦ / ١٥ هـ

معركة القادسية الاولى (١٩ ايلول ٦٣٦) واصل الخليفة عمر بن الخطاب (رض) رسم الخطط المحكمة لتحرير الاراضي العربية من قبضة الفرس حيث دارت معركة القادسية الاولى بقيادة سعد بن ابي وقاص في عام ٦٣٦م وقد واجه قوات العدو البالغة (١٢٠) الف مقاتل تحت قيادة رستم ودارت المعركة بين خندق سابور ونهر العتيق في اليوم الاول ارمات (الخميس ١٣ شعبان ١٥ هـ / المصادف ١٩ ايلول ٦٣٦ م) وانتهت بهزيمة ساحقة للفرس ومصرع قائدهم رستم.

٣. ٦٣٧م / ١٦ هـ (معركة جلولاء)

دارت هذه المعركة على ارض العراق وفي منطقة جلولاء (بين القائد العربي سعد بن ابي وقاص) والجيش الفارسي الذي يقوده (مهران الرازي) وانتهت بطرد الفرس.

٤. ٦٤٠ م / ٢١ هـ معركة نهاوند

بعد الهزائم الكبيرة التي مني بها الفرس المجوس على ايدي القوات العربية الاسلامية في معارك القادسية والمدائن وجلولاء. بدأوا يوحدون صفوفهم في عهد ملكهم (يزدجرد) ويحشدون كل ما لديهم من امكانيات بشرية ومادية لمواجهة العرب في معركة فاصلة وقد اتخذوا مدينة نهاوند مركزا لهم واختلف المؤرخون في تحديد هذه المعركة ولكن اغلبهم يجعلها في سنة ٦٤٠م(٢).

وتمكن القائد العربي النعمان بن المقرن المزني من حصر القوات الفارسية بقيادة هرمزان التي ارادت الانسحاب تحت ستار الليل ففر يزدجرد وطارده القعقاع وقتله. ودخل العرب المسلمون نهاوند منتصرين.

٥. حروب التحرير من الاحواز الى ما وراء النهر ٦٤٨م - ٦٥٢م

بعد معركة نهاوند استمر الخليفة عمر (رض) في طرد

---

(٢) غير واضح، الفتوح، مطبعة حيدر آباد، الركن ١٨٦٩.

الفرس من كافة الاقاليم العربية فاتجه صوب الحدود الشرقية للوطن العربي لتحرير الاحواز وما يجاورها من المدن العربية وكان قائد عمليات المشرق في هذه الجبهة هو القائد العربي عبد الله بن عامر بن كريز القرشي.
لقد شملت العمليات العسكرية في هذا القاطع مساحات واسعة تمتد من الاحواز الى تخوم ما وراء نهر جيحون لتشمل مناطق شاسعة تتوزع حاليا على مناطق تشمل ايران وافغانستان وبعض الاجزاء من الاتحاد السوفيتي وباكستان. ان معركة نهاوند والمعارك التي سبقتها في القادسية وجلولاء كانت فاتحة معارك العرب ضد الفرس واعطت مؤشرات انهيار الامبراطورية الفارسية وتمزقها.

٦. الاعتداءات الفارسية خلال العصر العباسي

ففي فترة القرون الثلاثة، الممتدة بين ٢٤٧ هـ / ٨٦١ م وهي بداية الضعف في الخلافة العباسية وسقوطها ٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ م وقع ما لا يقل عن عشرة اعتداءات عسكرية مهمة على العراق هذا باستثناء الاعتداءات والتحرشات الصغيرة او غير المهمة وهي:-

أ. اعتداء الصفاريين ٢٦٢ هـ / ٨٧٥ م.
ب. اعتداء الزياريين مرداويج بن زيار ٣١٦هـ / ٩٢٨ م.

جـ. واعتداءان لمعز الدولة البويهية ٣٣٣ هـ / ٩٤٤ م و ٣٣٤ هـ / ٩٤٥ م.

د. واعتداءان قام بهما عضد الدولة البويهية ٣٦٢هـ / ٩٧٢ م و ٣٦٦هـ / ٩٧٦ م.

ويبدو احيانا ان المعتدين. وان لم يكونوا فرسا احيانا او كانوا من غير الايرانيين الا انهم كانوا دائما يستخدمون الاراضي الايرانية كمنصة للوثوب وقاعدة للانقضاض على العراق. ويجندون الحشود الفارسية الحاقدة في اغراضهم العدوانية. كما حدث مثلا في هجوم هولاكو المغولي على العراق واحتلاله بغداد سنة ١٢٥٨ م.

هـ. اعتداء علاء الدين الخوارزمي ٦١٤ هـ / ١٢١٧م.

و. اعتداء جلال الدين الخوارزمي ٦٢٢ هـ / ١٢٢٥ م.

ز. اعتداء هولاكو المغولي ٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ م، وسقوط الخلافة العباسية والدولة العربية الاسلامية.

ثالثا. الملحق (ج)
العصور الوسيطة والحديثة
من الصفويين سنة ١٥٠٨ م حتى مجيء الخمينيين الى السلطة سنة ١٩٧٩ م وبداية عدوانهم على العراق

١. ١٥٠٨ م

بعد سنوات قليلة من استلام الصفويين للسلطة في ايران ١٥٠١ م ظهرت اطماعهم في احتلال العراق حيث قام الشاه اسماعيل الصفوي بأحتلال بغداد ومعظم العراق. وتعيين خادم بيك واليا على بغداد بلقب (خليفة الخلفاء): وهذا يعكس غطرسة الشاه واطماعه في البلاد، باكورة اعمال الشاه اجراء مذبحة مريعة بسكان بغداد.

٢. ١٥١٤

تحرر الاجزاء الشمالية من العراق (الجزيرة والموصل واربيل وكركوك) اثر اندحار الشاه اسماعيل في معركة جالد يران امام السلطان العثماني سليم الاول.

٣. ١٥٢٧ ـ ١٥٢٩ م

قيام حركة ذو الفقار بن علي الاستقلالية في بغداد وبادر

الشـاه طهماسب الى التحـرك بجيش كبير الى بغـداد، وقاومته المدينة ببسالة قبل ان تسقط بأيدي الغزاة.

٤. ١٥٣٤ م

نهاية السيطرة الصفوية التي لم تترك اثراً مهما في تاريخ العراق سياسيا واقتصاديا، واصبح العراق جزءاً من الدولة العثمانية.

٥. ١٦٢٣

استغل الشاه عباس (١٥٨٧ ـ ١٦٢٩) قيام حركة تمرد مسلح تزعمها بكر صوباشي في بغداد فتقـدم على رأس جيش كبير وبعد مقاومة باسلة نجح في دخـولها. وقـدر لسكـان بغداد ان يعـانوا مجـدداً «الوانا» من المـآسي والفواجع. كما جهز الشاه عباس في عام ١٦٢٤، جيشا بقيادة حاكم شيراز امام قلي خان لاحتلال مدينة البصرة التي كانت تتمتع آنذاك بحكم مستقل الا ان امير البصرة (افـرسياب) تمكن من صـد العدوان وافشـال المخطط الفارسي.

٦. ١٦٢٥ ـ ١٦٣٨

محـاولات العثمانيين لطرد الفرس من بغداد حملة حافظ احمد باشا سنة ١٦٢٥، وفي ذات العام حاول الفـرس

احتلال مدينة البصرة وذلك بأرسال قوة عسكرية، الا ان القوة انسحبت فجأة تاركة الكثير من احمالها.
ثم تبعتها حملة خسرو باشا على بغداد سنة ١٦٢٩، في ذات الوقت كان الشاه عباس قد جهز جيشا بقيادة امام قلي خان لاحتلال مدينة البصرة، الا ان اميرها المستقل علي باشا استطاع بجهود المدينة الذاتية ان يصد العدوان واجبار الفرس على الانسحاب والتقهقر ثم جاءت حملة السلطان مراد الرابع الذي نجح في ايقاع هزيمة ساحقة بالقوات الصفوية في سنة ١٦٣٨ م.

٧. ١٦٣٩

عقد معاهدة زهاب الشهيرة بين العثمانيين والصفويين والتي اصبحت نقطة الارتكاز للعلاقة بين العراق وايران حتى منتصف القرن التاسع عشر.

٨. ١٧٣٢ ـ ١٧٣٣

اختراق نادر قولي «نادر شاه ١٧٣٢» حدود العراق على رأس جيش كبير توزع على ثلاثة اتجاهات، كركوك، اربيل، الموصل، والقوة الرئيسية اطبقت الحصار على بغداد فتحطمت القوتان الاولى والثانية، وجرى التركيز على احتلال بغداد ففشلت كل المحاولات لاستماتة بغداد في الدفاع (كانون الاول ١٧٣٢ ـ تموز ١٧٣٣).. اندحار

الجيش الايراني في معركة الدجيل وفرار فلوله من العراق.

٩. ١٧٣٣

معاودة نادر الهجوم على العراق، حيث واجه مقاومة مستميتة اجبرته على طلب الصلح وتم التوصل الى اتفاق على اساس معاهدة زهاب.

١٠. ١٧٣٥

مهاجمة البصرة برا وعن طريق شط العرب في محاولة لاحتلالها واندحار الغزاة.

١١. ١٧٤٣

هجوم واسع على العراق بقيادة نادر شاه نفسه اخترق حدود العراق من ناحية مندلي وشهرزور وشرق البصرة والهدف احتلال بغداد والموصل والبصرة وتلقت الصدمة الاولى ولكنها صمدت ببطولة اسطورية ضد الشاه بعد اربعين يوماً من معارك الحصار ووجد الشاه نفسه مجبراً بعد فشل قواته في تحقيق نتائج مهمة في جبهتي بغداد والبصرة على طلب الصلح.

١٢. ١٧٧٤

هجوم قوات كريم خان الزند على شهرزور، وعند قرة جولان اصيب بهزيمة كبيرة.

١٣. ١٧٧٥

تحرك جيش كبير يقـوده صادق خـان من شيراز عن طريق الحويزة مستهـدفاً احتـلال البصرة وفي الوقت الذي كان فيه هذا الجيش يحاصر المدينة الباسلة تحرك جيش آخر يقوده (نظر علي خان) فأخترق حدود العراق من الوسط، فأوقع الخراب في خانقين والمناطق المجاورة وتواصلت الغارات الايرانية في هذا الجزء واسفرت عن احتلال ناحيتي كيـلان وكلفني من اراضي لواء زهاب وضمهما الى ايران (اقرب معاهـدة ارضروم الثـانية ١٨٤٧، كانت ايران قد سلخته من اراضي العراق).

تواصل الحصار الفارسي للبصرة التي قاومت ببطولة اسطورية قوات الحصار المتفوقة عليها. مدة تزيد على العـام قبل ان تفعـل المجاعـة والمرض وقلة الذخيـرة وفقدان الامل في وصول الامدادات فعلهـا وتؤدي الى سقوطها في براثن الاحتلال.

١٤. ١٧٧٦ ـ ١٧٧٩

البصرة تعيش ابشع سنوات محنتها (انخفض عـدد سكانها حوالي ٩٠ الف نسمة من قبيل الاحتلال الى اقل من ٥,٠٠٠ عند انسحاب الفرس في نيسان ١٧٧٩).

١٥. ١٧٧٨

في تموز اغارت قوة الاحتلال في البصرة على مدينة الزبير

فدمرتها تماماً وامر القائد الفارسي علي محمد خان بذبح كافة رجالها واستعباد نسائها واطفالها، وفي ايلول تمكن عرب المنتفك بقيادة ثامر السعدون من الحاق هزيمة ماحقة بقوة الاحتلال في معركة دارت قرب ضفة شط العرب على بعد ١٥ ميلاً من البصرة، ابيد الجيش الايراني ماعدا ثلاثة افراد (استغرق تطهير ارض المعركة عدة اسابيع وظلت اكداس عظام القتلى شاهدا لجيل كامل).

١٦. ١٧٧٩

تحرير البصرة.

١٧. ١٨٠٢ _ ١٨٤٩

صعد الحكم القاجاري بشكل خطير التدخل الايراني في شؤون العراق الداخلية، مستفيداً من المشاكل والخلافات بين امراء الاسر الكردية وسيلة لتصعيد المشاكل وشجع الايرانيون حركات التمرد والعصيان داخل العراق واختلقوا المبررات للتجاوز على المناطق الحدودية.

١٨ ١٨٠٢م

تهديد فتح علي شاه بالزحف على بغداد بحجة عجز والي بغداد امام الهجمات الوهابية.

١٩. ١٨٠٦ م

حاكم كرمنشاه يدعم الامير البابلني عبد الرحمن بجيش كبير لاحتلال السليمانية. وفي هذا العام تمكن الايرانيون من الاستيلاء المؤقت على درنة ودرتنك وقصر شيرين التابع لولاية بغداد، الذي عهد الى ضمها لاحقاً الى الاراضي الايرانية في سنة ١٨٢٠ م.

٢٠. ١٨١١ ـ ١٨١٢ م

تحرك جيش فارسي قوامه ٦٠,٠٠٠ مقاتل يقوده المرزا محمد علي نحو شهرزور وحاصر كوي، بهدف تثبيت حكم عبد الرحمن بابان على السليمانية، ولكن والي بغداد تمكن من دحره.

٢١. ١٨١٣ م

بأمر من فتح علي شاه تحرك حاكم كرمنشاه على رأس جيش كبير وتوغل داخل الاراضي العراقية ووصل (السعدية) وشنت القوات الايرانية غارات عدوانية على القرى القريبة، قبل انسحابها.

٢٢. ١٨١٦ م

قوة ايرانية تدعم محمود بن عبد الرحمن بابان للسيطرة على السليمانية.

٢٣. ١٨١٨ م

قوة ايرانية من ١٠,٠٠٠ رجل لدعم محمود مجددا في وجه والي بغداد داود باشا وتحريك قوة اخرى لاحتلال بدرة وجصان ومندلي، ولكنها فشلت في تحقيق هدفها.

٢٤. ١٨٢٠ ـ ١٨٢١ م

تحرك جيش ايراني كبير يقوده المرزا علي من كرمنشاه وتوغل في الاراضي العراقية وفرض الحصار على كركوك التي قاومت ببسالة ولكن تمكن من احتلالها ثم تبعها احتلال مدينة السليمانية بعد ذلك توجهت القوة الرئيسية نحو بغداد وتمركزت في دلي عباس (المنصورية) ووصلت طلائع الجيش الفارسي الى هبهب فأستعد داود باشا لمواجهة الغزاة وتوافدت العشائر العربية الى العاصمة لتعزيز قوتها، وحصلت اشتباكات متعددة قرب الخالص ولكن صمود بغداد وتفشي الكوليرا بين القوات الفارسية اجبرا المرزا على الانسحاب وتوفي عند مرجانة بالقرب من السعدية.

٢٥. ١٨٢١ م

حاول حاكم كرمنشاه الجديد ابن الحاكم السابق المرزا محمد حسين انجاز مافشل فيه ابوه فقاد حملة جديدة لاحتلال بغداد انتهت بأندحار كامل للغزاة.

٢٦. ١٨٢٣ م

عقدت معاهدة ارضروم الاولى التي استندت على اعتماد الحدود كما وردت في معاهدة زهاب، ولكن الجانب الايراني رفض اعادة المناطق التي استولى عليها خلال القرن الثاني عشر (لواء زهاب، درن ودرتنك، قصر شيرين) وعبر المبعوث العثماني اسعد افندي في ١٨٢٥ عن انتهازية السياسة الايرانية وعدم احترامها المواثيق بقوله (ان سدى ولحمة السياسة الفارسية الكذب والحيل والمناورة).

٢٧. ١٨٤٧ م

عقد معاهدة ارضروم الثانية وفيها وافقت الدولة العثمانية على ضم المحمرة الى ايران دون قناعة بأحقية الفرس في ضم تلك المنطقة العربية ارضاً وشعبا وتاريخاً اليهم بتوضيح الموقف العثماني هذا من البند الذي ورد في مطالعة الصدر الاعظم المرفوعة الى السلطان في اعقاب توقيع المعاهدة، (لقد أحرق بقاء المحمرة عند الطرف الآخر، وبأي صورة كانت قلوب الجميع، وان هذا المصير المؤلم هو نتيجة الاهمال الذي امتد منذ زمن بعيد).

٢٨. ١٨٤٩ م

تمكن العثمانيون من القضاء على الحكم الباباني في

السليمانية وبذلك وضعت السلطات العراقية، لبعض الوقت، حداً لتدخل الفرس في شؤون العراق الداخلية بأستغلال المشكلة البابانية.

٢٩. ١٩١٣ م

توقيع برتوكول الحدود بين الدولة العثمانية وايران في الاستانة وحصلت ايران بنتيجة على تثبيت ماحصلت عليه بالقوة من اراضي العراق. ومن ذلك (لواء اشني، لاهيجان، بانة، مريوان، اورمان، درنة، ودرتنك، زهاب، قصر شيرين، مهران، دهلران، وخسر العراق بذلك اجزاء مهمة واسعة من اراضيه التاريخية، وحصلت ايران كذلك على مرسى المحمرة بطول ٧,٥ كم يمر من مجرى الماء العميق (التالوك) في شط العرب.

٣٠. ١٩٢٥ م

اقدم رضا شاه فور استلامه السلطة على الاستيلاء على المحمرة آخر امارة عربية في الضفة الشرقية للخليج العربي عندما دبر محاولة (مكيدة) خبيثة لالقاء القبض على الشيخ خزعل واقتياده الى طهران واستيلاء الجيش الايراني على هذه الارض العربية في شهر نيسان من عام ١٩٢٥.

٣١. ١٩٣٤ ـ ١٩٣٧

جددت ايران اطماعها ومطاليبها بالاراضي والمياه

العراقية وحاولت استغلال ظروف ضعف الحكومة العراقية آنذاك للحصول على بعض الامتيازات في شط العرب، ففي عام ١٩٣٤ طالب رضا شاه بأعادة تثبيت الحدود مجددا وادعى بأن اتفاقية الاستانة ١٩١٣ كانت قد عقدت تحت ظروف استثنائية ولكن العراق رفض هذه المطاليب وتوجه نوري السعيد الى طهران لتسوية الموقف ولكن دون جدوى. وفي منتصف ١٩٣٧ استغلت ايران ضعف الحكومة العراقية وتخلخل موقفها الداخلي بسبب سلوك بكر صدقي وانفراديته، فأخذت ايران تطالب مجددا بتنازل العراق عن حقه وسيادته في شط العرب. مما ادى لعقد معاهدة الحدود بين العراق وايران في ٤ تموز ١٩٣٧، التي تم فيها التنازل الى ايران عن جزء من شط العرب امام عبادان، بحيث يمر خط الحدود مقابل عبادان لمسافة ٧,٥ كم وقد اعترفت حكومة طهران بهذه الاتفاقية.

٣٢. ١٩٦٩ ـ ١٩٧٥

تجاوز النظام الفارسي (الشاه) على المخافر الحدودية العراقية بشكل عام والغاء اتفاقية ١٩٣٧ من جانب واحد وقيام الجيش الايراني بفرض سيادته على نصف شط العرب منذ نيسان ١٩٦٩، واستمر استفزاز الفرس للسفن العراقية والاجنبية.

من جانب آخر قام نظام الشاه بتقديم الدعم والاسناد لحركة التمرد في شمال القطر واستمر ذلك الدعم والتدخل في الشؤون الداخلية حتى توقيع اتفاقية الجزائر في آذار ١٩٧٥.

ولم تكتف ايران بالعدوان ضد العراق والتدخل في شؤونه بل كانت هناك صفحة اخرى للعدوان على ارض عربية اخرى فقد استمرت مطالبتها بالبحرين الا انها اخفقت بأعلان استقلال البحرين في آب ١٩٧٠، استغلت ايران الانسحاب البريطاني من الخليج العربي في أواخر ١٩٧١، عندما قامت بأحتلال الجزر العربية الثلاث قبل يوم واحد من انسحاب القوات البريطانية من المنطقة وكان لايران جولة اخرى من العدوان على ارض قطر عربي آخر، وذلك بالتدخل العسكري المسلح في سلطنة عمان في أواخر ١٩٧٣ عندما ارسلت قواتها المسلحة الى ضفار لقمع المعارضة الداخلية هناك، وقد تزامنت هذه الاحداث مع التصعيد الخطير للدعم الفارسي الى الجيب العميل في شمال القطر اذ بلغ الامر الى حد ضرب المدفعية الايرانية للقوات العراقية وايصال الدعم والعتاد الى المتمردين.

٣٣. ١٩٧٥

تم توقيع اتفاق بين العراق وايران في آذار ١٩٧٥ والذي

تم بموجبه انهاء الخلافات الحدودية والاتفاق على تسوية المشاكل المعلقة بين البلدين.

٣٤. ١٩٧٩ ـ ١٩٨٠

ان سقوط الشاه في شباط ١٩٧٩ لم ينه اطماع ايران في الاراضي العراقية. اذ قام نظام خميني ومنذ الايام الاولى لاستلامه السلطة بتصعيد عدوانه وتدخله في الشؤون الداخلية للعراق، وانتهاكه لسيادة الاراضي العراقية وقد حددت تلك الانتهاكات من خلال المذكرات الرسمية التي ارسلت للحكومة الايرانية (٢٩٣ مذكرة) وفي ٤ ايلول ١٩٨٠ استخدمت ايران المدفعية الثقيلة في قصف مدن خانقين، مندلي، زرباطية نفط خانة وفي ٢٢ / ٩ / ١٩٨٠ جاء الرد العراقي على العدوان.

رقم الايداع في المكتبة الوطنية ببغداد ١٢٦٠ لسنة ١٩٨٧

طبع الدار العربية ـ بغـــداد